بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انزل الكتاب المبين على اشرف الانبياء والمرسلين وقص عليه
اخبار المتقدمين والمتاخرين وعلمه ما كان وما يكون الى يوم الدين نحمده
اذ جعلنا من امته ونشكره على عطائه ومننه ونشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له اذ من علينا بمعرفة احوال من مضى من الامم ولم يكشف عنا
ستره اذا زل بنا القدم وجعلنا امة عدلا وسطا وشهد لنا بذلك فى الكتاب
المعظم المكرم فقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر فظهر الفضل بما جاد به وتكرم ونشهد ان سيدنا ونبينا
محمدا عبده ورسوله الذى قال ادبنى ربى فاحسن تاديبى فساد على جميع
الانبياء وعليهم تقدم صلى الله عليه وعلى اله واصحابه وسلم وبعد
فيقول العبد الفقير الضعيف ذو العجز والتفريط فى ايامه وكثير التخليط
وزيادة اثامه محمد يعرف بدياب الاتليدى من اقليم المنوفية الخصيبية سالنى
بعض الاخوان الموفقين من لا يسعنى مخالفته ان اجمع له شيئا مما وقع فى زمن

الخلفاء المتقدمين من بني امية والخلفاء العباسيين فاجبته لذلك مع علي
اني لست اهلا لذلك فقد قالوا الامتثال خير من الادب وسميته
اعلام الناس بما وقع للبراسكة مع بني العباس وابتدات في ذلك بامير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه تبركا به وبذكره قيل لما رجع عمر رضي الله عنه
من الشام الى المدينة انفرد عن الناس ليتعرف اخبار رعيته فمر بعجوز في
خباء لها فقصدها فقالت ما فعل عمر رضي الله عنه قال قد اقبل من الشام
سالما فقالت يا هذا لا جزاه الله خيرا عني قال ولم قالت لانه ما انالني من
عطاياه منذ ولي امر المسلمين دينارا ولا درهما فقال وما يدري عمر بحالك
وانت في هذا الموضع فقال سبحان الله والله ما ظننت ان احدا يلي على الناس
ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها فبكى عمر رضي الله عنه وقال واعمراه
كل احد افقه منك حتى العجائز يا عمر ثم قال لها يا امة الله بكم تبيعيني
ظلامتك من عمر فاني ارحمه من النار فقالت لا تهزأ بنا يرحمك الله فقال عمر
لست اهزأ بك ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا
فبينما هو كذلك اذ اقبل علي بن ابي طالب رضي الله عنه وعبد الله بن مسعود
رضي الله عنهما فقالا السلام عليك يا امير المؤمنين فوضعت العجوز يدها
على راسها وقالت واسوأتاه شتمت امير المؤمنين في وجهه فقال لها عمر
رضي الله عنه لا باس عليك يرحمك الله ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم
يجد فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا
ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي الخلافة الى يوم كذا وكذا بخمسة
وعشرين دينارا فما تدعي عليه عند وقوفه في المحشر بين يدي الله تعالى
فهو بريء منه شهد على ذلك علي وابن مسعود ثم دفعها الى ولده وقال اذا
انا مت فاجعلها في كفني القى بها ربي وقال شرف الدين حسين بن ريان
اغرب ما نقلته من الاخبار واعجب ما عقلته عن الاخيار من كان يحضر مجلس

عمر بن الخطاب خليفة الاسلام ويسمع كلامه قال بينهما الامام جالس فى بعض الايام وعنده اكابر الصحابة واهل الراى والاصابة وهو يقول فى القضايا ويحكم بين الرعايا اذ اقبل شاب حسن الشباب نظيف الاثواب يكتنفه شابان من احسن الشباب نظيفا الثياب قد جذباه وسحباه واوقفاه بين يدى امير المؤمنين ولبباه فلما وقفوا بين يديه نظر اليهما واليه فامرهما بالكف عنه وادنوه منه فقالوا يا امير المومنين نحن اخوان شقيقان جديران باتباع الحق حقيقان كان لنا اب شيخ كبير حسن التدبير معظم فى قبائله منزه عن الرذائل معروف بفضائله ربانا صغارا واعزنا كبارا واولانا نعما غزارا كما قيل

لنا والد لو كان للناس مثله ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ اب آخر اغناهموا بالمناقب

خرج اليوم الى حديقة له يتنزه فى اشجارها ويقطف يانع ثمارها فقتله هذا الشاب وعدل عن طريق الصواب ونسألك القصاص عما جناه والحكم فيه بما اراك الله قال الراوى فنظر عمر الى الشاب وقال له قد سمعت فما الجواب والغلام مع ذلك ثابت الجاش خال من الاستيحاش قد خلع ثياب الهلع ونزع جلباب الجزع فتبسم عن مثل الجمان وتكلم بافصح لسان وحياه بكلمات حسان ثم قال يا امير المؤمنين والله لقد وعيا ما ادعيا وصدقا فيما نطقا وخبرا بما جرى وعبرا بما طرى وسانهى قصتى بين يديك والامر فيها اليك اعلم يا امير المؤمنين انى من العرب العربا نبت فى منازل البادية وصبحت على اسود السنين العادية فاقبلت الى ظاهر هذا البلد بالاهل والمال والولد فافضت بى بعض طرايقها الى المسير بين حدايقها بنياق حبيبات الى عزيزات على بينهن فحل كريم الاصل كثير النسل مليح الشكل حسن النتاج يمشى بينهن كانه ملك عليه تاج فدنت بعض النوق الى حديقة قد ظهر من الحايط شجرها فتناولته بمشفرها فطردتها عن تلك الحديقة فاذا شيخ قد ظهر وزفر وتسور الحائط وظهر وفى يده اليمنى حجر يتهادى كالليث اذا خطر فضرب الفحل بذلك

الحجر فقتله واصاب مقتله فلما رأيت الفحل قد سقط لجنبه وانقلب توقدت في جمرات الغضب فتناولت ذلك الحجر بعينه فضربته به فكان سبب حينه ولقي سوء منقلبه والمرء مقتول بما قتل به بعد ان صاح صيحة عظيمه وصرخ صرخة أليمه فاسرعت من مكاني فلم يكن بأسرع من هذين الشابين فامسكاني واحضراني كما تراني فقال عمر قد اعترفت بما اقترفت وتعذر الخلاص ووجب القصاص ولات حين مناص فقال الشاب سمعاً لما حكم به الامام ورضيت بما اقتضته شريعة الاسلام لكن لي اخ صغير كان له اب كبير خصه قبل وفاته بمال جزيل وذهب جليل واحضره بين يدي واسلم امره الي واشهد الله علي وقال هذا لاخيك عندك فاحفظه جهدك فاتخذت لذلك مدفنا ووضعته فيه ولا يعلم به الا انا فان حكمت الان بقتلي ذهب الذهب وكنت انت السبب وطالبك الصغير بحقه يوم يقضي الله بين خلقه وان انظرتني ثلاثة ايام اقمت من يتولى امر الغلام وعدت وافيا بالزمام ولي يضمنني على هذا الكلام فاطرق عمر ثم نظر الى من حضر وقال من يقوم على ضمانه والعود الى مكانه قال فنظر الغلام الى وجوه اهل المجلس الناظرين واشار الى ابي ذر دون الحاضرين وقال هذا يكفلني ويضمنني قال عمر يا ابا ذر تضمنه على هذا الكلام قال نعم اضمنه الى ثلاثة ايام فرضي الشابان بضمانة ابي ذر وانظراه ذلك القدر فلما انقضت مدة الامهال وكاد وقتها يزول او قد زال حضر الشابان الى مجلس عمر والصحابة حوله كالنجوم حول القمر وابو ذر قد حضر والخصم ينتظر فقالا اين الغريم يا ابا ذر كيف يرجع من لا تبرح من مكاننا حتى تفي بضماننا فقال ابو ذر وحق الملك العلام ان انقضى تمام الايام ولم يحضر الغلام وفيت بالضمان واسلمت نفسي وبالله المستعان فقال عمر والله ان تاخر الغلام لامضين في ابي ذر ما اقتضته شريعة الاسلام فهمت عبرات الناظرين اليه وعلت زفرات الحاضرين عليه وعظم الضجيج وتزايد النشيج فعرض كبار الصحابة

على الشابين اخذ الدية واغتنام الاثنية فاصرا على عدم القبول وابيا الا
الاخذ بثار المقتول فبينما الناس يموجون تلهفا للمام ويضجون تاسفا على
ابي ذر اذ اقبل الغلام ووقف بين يدي الامام وسلم عليه اتم السلام ووجهه
يتهلل مشرقا ويتكلل عرقا وقال قد اسلمت الصبي الى اخواله وعرفتهم بجنى امواله
واطلعتهم على مكان ماله ثم اقتحمت هاجرات الحر ووفيت وفاء الحر فعجب الناس
من صدقه ووفائه واقدامه على الموت واجترائه فقال من غدر لم يعف
عنه من قدر ومن وفا رحمه الطالب وعفا وتحققت ان الموت اذا حضر
لم ينج منه احتراس كي لا يقال ذهب الوفا من الناس فقال ابو ذر والله
يا امير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام ولم اعرفه من اي قوم ولا رايته
قبل ذلك اليوم ولكن نظر الى دون من حضر فقصدني وقال هذا يضمنني
فلم استحسن رده ورايت المروءة ان تخيب قصده اذ ليس في اجابة القصد
من باس كي لا يقال ذهب الفضل من الناس فقال الشابان عند ذلك
يا امير المؤمنين قد وهبنا هذا الغلام دم ابينا فبدل وحشته بايناس كي لا
يقال ذهب المعروف من الناس فاستبشر الامام بالعفو عن الغلام وصدقه
ووفائه واستغزر مروءة ابي ذر دون جلسائه واستحسن اعتماد الشابين
في اصطناع المعروف واثنى عليهما احسن ثنائه وتمثل بهذا البيت من
يصنع الخير لم يعدم جوائزه　　　لا يذهب العرف بين الله والناس
ثم عرض عليهما ان يصرف من بيت المال دية ابيهما اليهما فقالا انما عفونا
ابتغاء وجه ربنا الكريم ومن نيته هكذا لا يتبع احسانه منا ولا اذى
قال الراوي فاثبتها في ديوان الغرائب وسطرتها في عنوان العجائب
انتهى　واحضر الهرمزان بين يدي امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
عنه ماسورا فدعاه الى الاسلام　فابى فامر بضرب عنقه فقال يا امير المؤمنين
قبل ان تقتلني اسقني شربة من الماء ولا تقتلني ظمآنا فامر له عمر بقدح

مملوء ماء فلما صار القدح في يد الهرمزان قال انا آمن حتى اشربه قال نعم لك الامان حتى تشربه فالقى الهرمزان الاناء من يده فاراقه ثم قال الوفاء يا امير المؤمنين فقال عمر رضي الله عنه دعوه حتى انظر في امره فلما رفع السيف عنه قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال عمر رضي الله عنه لقد اسلمت خير الاسلام فما اخرك قال خشيت ان يقال اني اسلمت خوفا من السيف فقال عمر انك لفارس حكيم استحقيت ما كنت فيه من الملك ثم ان عمر رضي الله عنه بعد ذلك كان تشاوره في اخراج الجيوش الى ارض فارس ويعمل برايه انتهى وسياتي نظير ذلك في اخذ الامان بالحيلة ومما ذكره عبد الملك بن بدرون شارح قصيدة عبد المجيد بن عبدون عما وقع لجبلة بن الايهم حين لطم الفزاري على وجهه لما داس على ردائه وقاله عمر رضي الله عنه دعه يقتص منك او ما هذا معناه فقال لعمر وهل استوى انا وهو في ذلك فقال له نعم الاسلام ساوى بينكما فقال اجلني الى غد فلما اصبح مضى الى قيصر ملك الروم وارتد ثم ندم وقال ابياتا وهي هذه

تنصرت الاشراف من اجل لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني منها لجاج ونخوة ... فبعت بها العين الصحيحة بالعور
فياليت امي لم تلدني وليتني ... رجعت الى الامر الذي قال لي عمر
ويا ليتني ارعى المخاض بقفرة ... وكنت اسيرا في ربيعة او مضر
ويا ليت لي بالشام ادنى معيشة ... اجالس قومي ذاهب السمع والبصر

ولما تنصر جبلة بن الايهم ولحق بهرقل صاحب القسطنطينية اقطعه هرقل نيا لاموال والضياع وبقي ما شاء الله ثم ان عمر رضي الله عنه بعث الى قيصر رسولا يدعوه الى الاسلام او الى الجزية فلما اراد الانصراف قال هرقل للرسول القيت ابن عمك هذا الذي عندنا يعني جبلة الذي اتانا راغبا في ديننا قال لا قال ائته ثم ائتني اعطك جواب كتابك قال الرسول

فذهبت الى دار جبلة فاذا عليه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل قال فلم ازل اتلطف بالاذن حتى اذن لى فدخلت عليه فرايته اصهب اللحية ذا سبال وكان عهدى به اسود اللحية والراس فانكرته فاذا هو قد دعا بسحالة الذهب فذرها على لحيته حتى اصهبت وهو قاعد على سرير من قوارير على قوائمه اربعة اسود من ذهب فلما عرفنى رفعنى معه على السرير فجعل يسائلنى عن المسلمين فذكرت له خيرا وقلت قد اضعفوا اضعافا على ما تعرف فقال وكيف تركت عمر بن الخطاب فقلت بخير قال فرايت الغم فى وجهه لما ذكرت من سلامة عمر ثم انحدرت عن السرير فقال لم تابى الكرامة التى اكرمناك بها فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا فقال نعم نهى صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك ولا تبالى على ما قعدت فلما سمعته يقول صلى الله عليه وسلم طمعت فيه فقلت له ويحك يا جبلة الا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله فقال ابعد ما كان منى قلت نعم قد فعل رجل من فزارة اكثر ما فعلت ارتد عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام وقبل منه وخلفته بالمدينة مسلما وانما ذكرت له ان الذى فعل هذه الفعلة من فزارة وانه ضرب وجوه المسلمين بالسيف وارتد ورجع الى الاسلام لان الرجل الذى كان تنصر جبلة من اجله حين لطمه واراد عمران يقتص منه كان فزاريا ايضا فقلت له امرك اخف من امره ان رجعت الى الاسلام فانك لم تضرب وجوه المسلمين بالسيف كما فعل فقال ذرنى من هذا ان كنت تضمن لى ان يزوجنى عمر ابنته ويولينى الامر من بعده رجعت الى الاسلام فضمنت له التزويج ولم اضمن له تولية الامر قال ثم اوما الى خادم كان على راسه واقفا فذهب مسرعا فاذا خدم قد جاؤا يحملون الصناديق فيها طعام فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة وقال لى كل فقبضت يدى وقلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل فى انية الذهب والفضة قال نعم نهى صلى الله

عليه وسلم نهى عن الاكل فى آنية الذهب والفضة قال نعم نهى صلى الله
عليه وسلم وليكن نقى قلبك وكل فيما احببت قال فاكل فى الذهب و
اكلت انا فى الخبيز ثم دعا بطسوت الذهب واباريق الفضة فغسل
يديه فى الذهب وغسلت فى الصفر ثم اومأ الى خادم بين يديه فمر
مسرعا فسمعت حسا فاذا خدم معهم كراسى مرصعة بالجوهر فوضعت
عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله ثم جاءت الجوارى وعليهن تيجان
الذهب فقعدن عن يمينه وعن يساره على تلك الكراسى ثم
جاءت جارية ايضا كانها الشمس حسنا على رأسها تاج على ذلك التاج
طائر لم ار احسن منه وفى يدها جامة فيها مسك فتيت وفى يدها
الاخرى جامة فيها ماء ورد فاومأت تلك الجارية وصفرت بالطائر
الذى على تاجها فوقع فى جامة المسك فاضطرب فيها ثم صفرت به
ثانيا فوقع فى جامة ماء الورد فاضطرب فيها ثم اومأت اليه فطار ونزل
على صليب فى تاج على جبلة فلم يزل يرفرف حتى نفض ما فى ريشه عليه
فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت انيابه ثم التفت الى الجوارى
اللواتى عن يمينه فقال لهن اضحكنا فاندفعن يغنين فجعلن تخفق عيدانهن ويقلن

لله در عصابة نادمتهم　　يوما بجلق فى الزمان الاول الى قوله
اولاد جفنة حول قبر أبيهم　　قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم　　بردى يصفق بالرحيق السلسل

قال فضحك جبلة حتى بدت انيابه ثم قال اتدرى من يقول هذا
قلت لا قال حسان بن ثابت شاعر النبى صلى الله عليه وسلم ثم اشار
الى الجوارى اللواتى عن يساره وقال ابكيننا فاندفعن يغنين تخفق
عيدانهن ويقلن شعرا

لمن الدار اقفرت بمعان　　بين اعلى اليرموك فالخمان الى قوله

ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهر وحق تعاقب الازمان

قال فبكى جبلة حتى سالت دموعه على لحيته ثم قال اتدرى من يقول هذا قلت لا قال حسان ثم انشد الابيات التى اولها تنصرت الاشراف الى آخرها ثم سألنى عن حسان احى هو قلت نعم فأمر له بكسوة ولى ايضا كذلك ثم امر لحسان بمال ونوق موقورة برا ثم قال لى ان وجدته حيا فادفع اليه الهدية واقرئه منى السلام وان وجدته ميتا فادفعها الى اهله وانحر النوق على قبره قال فلما اخبرت عمر رضى الله عنه بخبره وما اشترطه على وضمنت له قال فهلا ضمنت له الامر فاذا افاء الله بحكمه وقضى علينا بحكمته ماكان الاما اراد ثم جهزنى عمر ثانية الى هرقل وامرنى ان اضمن له ما اشترط فلما دخلت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت ان الشقاء غلب عليه فى ام الكتاب انتهى وقيل انه قدم اهل الكوفة على عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشكون سعد بن ابى وقاص فقال من يعذرنى من اهل الكوفة ان وليتهم التقى ضعفوه وان وليتهم القوى فجروه فقال له المغيرة ابن شعبة يا امير المؤمنين ان التقى الضعيف له تقاه ولك ضعفه وان القوى الفاجر لك قوته وعليه فجوره قال صدقت انت القوى الفاجر فاخرج اليهم فلم يزل عليهم ايام عمر وايام عثمان رضى الله عنهما وايام معاوية حتى مات المغيرة انتهى وقيل دخل عمرو بن معدى كرب الزبيدى على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال عمر اخبرنى عن اجبن من لقيت واحيل من لقيت واشجع من لقيت قال نعم يا امير المؤمنين خرجت مرة اريد الغارة فبينما انا سائر اذا بفرس مشدود ورمح مركوز واذا رجل جالس كاعظم ما يكون من الرجال خلقا وهو محتبى بحمائل سيفه فقلت له خذ حذرك فانى قاتلك فقال ومن انت قلت انا عمرو بن معدى كرب الزبيدى فشهق شهقة فمات فهذا يا امير المؤمنين اجبن من رايت وخرجت مرة حتى انتهيت

الی حی فاذا انا بفرس مشدود ورمح مرکوز واذا صاحبه فی وهدة یقضی
حاجته فقلت خذ حذرك فانی قاتلك فقال ومن انت فاعلمته بی فقال
یا ابا ثور ما انصفتنی انت علی ظهر فرسك وانا علی الارض فاعطنی عهدا
انك لا تقتلنی حتی ارکب فرسی فاعطیته عهدا فخرج من الموضع الذی کان
فیه واحتبی بحمائل سیفه وجلس فقلت ما هذا فقال ما انا براکب فرسی
ولا بمقاتلك فان نکثت عهدك فانت اعلم بناکث العهد فترکته ومضیت
فهذا یا امیر المؤمنین احیل من رایت وخرجت مرة حتی انتهیت الی موضع
کنت اقطع فیه الطریق فلم ار احدا فاجریت فرسی یمینا وشمالا واذا انا
بفارس فلما دنا منی فاذا هو غلام حسن نبت عذاره من اجمل ما رایت
من الفتیان واحسنهم واذا هو قد اقبل من نحو الیمامة فلما اقترب منی سلم
علی فرددت علیه السلام وقلت من الفتی قال الحارث بن سعد فارس
الشهباء فقلت له خذ حذرك فانی قاتلك فقال الویل لك ممن انت قلت
عمرو بن معدی کرب الزبیدی قال الذلیل الحقیر والله ما یمنعنی من
قتلك الا استصغارك فتصاغرت نفسی یا امیر المؤمنین وعظم عندی
ما استقبلنی به فقلت له دع هذا وخذ حذرك فانی قاتلك والله لا ینصرف
الا احدنا فقال اذهب ثکلتك امك فانا من اهل بیت ما اثکلنا فارس
قط قلت هو الذی تسمعه قال اختر لنفسك فاما ان تطرد لی واما ان
اطرد لك فاغتنمتها منه فقلت له اطرد لی فاطرد وحملت علیه فظننت انی
وضعت الرمح بین کتفیه فاذا هو صار حزاما لفرسه ثم عطف علی فقنع
بالقناة راسی وقال یا عمرو خذها الیك واحدة ولولا انی اکره قتل
مثلك لقتلتك قال فتصاغرت نفسی عندی وکان الموت یا امیر المؤمنین
احب الی مما رایت فقلت له والله لا ینصرف الا احدنا فعرض علی مقالته
الاولی فقلت له اطرد لی فاطرد فظننت انی تمکنت منه فاتبعته

حتى ظننت انى وضعت الرمح بين كتفيه فاذا هو صار لبب الفرس ثم عطف علي فقنع بالقناة رأسي وقال خذها اليك يا عمرو ثانية فتصاغرت على نفسي جدا وقلت والله لا ينصرف الا احدنا فاطردلي حتى ظننت انى وضعت الرمح بين كتفيه فوثب عن فرسه فاذا هو على الارض فاخطأته فاستوى على فرسه واتبعنى حتى قنع بالقناة رأسي وقال خذها اليك يا عمرو ثالثة ولولا كراهتي لقتل مثلك لقتلتك فقلت اقتلني احب الى ولا تسمع فرسان العرب بهذا فقال يا عمرو انما العفو عن ثلاث واذا استمكنت منك فى الرابعة قتلتك وانشد يقول

وكدت اغلاظا من الايمان ان عدت يا عمرو الى الطعان
لتجدن لهب السنان اولا فلست من بنى شيبان

فهبته هيبة شديدة وقلت له ان لى اليك حاجة قال وما هى قلت اكون صاحبا لك قال لست من اصحابى فكان ذلك اشد على واعظم مما صنع فلم ازل اطلب صحبته حتى قال ويحك اتدرى اين اريد قلت لا والله قال اريد الموت الاحمر عيانا قلت اريد الموت معك قال امض بنا فسرنا يومنا اجمع حتى اتانا الليل ومضى شطره فوردنا على حى من احياء العرب فقال لى يا عمرو فى هذا الحى الموت الاحمر فاما ان تمسك على فرسى فانزل وآتى بحاجتى واما ان تنزل واسمك فرسك فتأتينى بحاجتى فقلت بل انزل انت فانت اخبر بحاجتك منى فرمى الى بعنان فرسه فرضيت والله يا امير المؤمنين بان اكون له سايسا ثم مضى الى قبة فاخرج منها جارية لم تر عيناى احسن منها حسنا وجمالا فحملها على ناقة ثم قال يا عمرو فقلت لبيك قال اما ان تحمينى واقود الناقة او احميك وتقودها انت قلت لا بل اقودها وتحمينى انت فرمى الى بزمام الناقة ثم سرنا حتى اذا اصبحنا قال يا عمرو قلت ما تشاء قال التفت فانظر هل ترى احدا فالتفت فرايت جمالا فقلت ارى جمالا قال اغذ السير ثم قال يا عمرو

انظر فان كانوا قليلا فالجلد والقوة وهو الموت الاحمر وان كانوا كثيرا فليسوا بشیء فالتفت وقلت هم اربعة او خمسة قال عند ذا السير ففعلت ووقف و سمع وقع حوافر الخيل عن قرب فقال يا عمرو كن عن يمين الطريق وقف وحول وجه دوابنا الى الطريق ففعلت ووقفت عن يمين الراحلة ووقف عن يسارها ودنا القوم منا واذا هم ثلاثة نفر شابان وشيخ كبير وهو ابو الجارية والشابان اخواها فسلموا فرددنا السلام فقال الشيخ خل عن الجارية يا ابن اخي فقال ما كنت لاخليها ولا لهذا اخذتها فقال لاحد ابنيه اخرج اليه فخرج وهو يجر رمحه فحمل عليه الحارث وهو يقول

من دون ما ترجوه خضب الذابل   من فارس ملتثم مقاتل

ينمى الى شيبان خير وائل   ما كان يسرى نحوها بباطل

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة قد منها صلبه فسقط ميتا فقال الشيخ لابنه الآخر اخرج اليه فلا خير في الحياة على الذل فاقبل الحارث وهو يقول

لقد رأيت كيف كانت طعنتي   والطعن للقرن الشديد الهمة

والموت خير من فراق خلتي   فقتلتي اليوم ولا مذلتي

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة سقط منها ميتا فقال له الشيخ خل عن الظعينة يا ابن اخي فاني لست كمن رأيت فقال ما كنت لاخليها ولا لهذا قصدت فقال الشيخ يا ابن اخي اختر لنفسك فان شئت نازلتك وان شئت طاردتك فاغتنمها الفتى ونزل فنزل الشيخ وهو يقول شعرا

ما ارتجي عند فناء عمري   ساجعل التسعين مثل شهر

تخافني الشجعان طول الدهر   ان استباح البيض قصم الظهر

فاقبل الحارث وهو ينشد ويقول شعرا

بعد ارتحالي وطال سفري   وقد ظفرت وشفيت صدري

فالموت خير من لباس الغدر   والعار اهديه لحي بكر

ثم دنا فقال له الشيخ يا ابن اخي ان شئت ضربتك فان ابقيت فيك بقية
فاضربني وان شئت فاضربني فان ابقيت في بقية ضربتك فاغتنمها الفتى
وقال انا ابدأ فقال الشيخ هات فرفع الحارث يده بالسيف فلما نظر الشيخ
انه قد اهوى به الى رأسه ضرب بطنه بطعنة قد منها امعاءه ووقعت
ضربة الفتى على رأس عمه فسقطا ميتين فاخذت يا امير المؤمنين اربعة
افراس واربعة اسياف ثم اقبلت الى الناقة فقالت الجارية يا عمرو الى ابن
ولست بصاحبتك ولست لي بصاحب ولكن رايت فقلت اسكتي قالت
ان كنت لي صاحبا فاعطيني سيفا او رمحا فان غلبتني فانا لك وان غلبتك قتلتك
فقلت ما انا بمعطي ذلك ولقد عرفت اهلك وجراءة قومك وشجاعتهم فرمت
نفسها عن البعير ثم اقبلت تقول

ابعد شيخي ثم بعد اخوتي	يطيب عيشي بعدهم ولذتي
واصحبن من لم يكن ذا همته	هلا تكون قبل ذا منيتي

ثم اهوت الى الرمح كادت تنزعه من يدي فلما رايت ذلك منها خفت ان ظفرت
بي قتلتني فقتلتها فهذا يا امير المؤمنين اشجع ما رأيت قيل اتى رجل الى عمر بن
الخطاب يستحمله فقال له خذ لك بعيرا من ابل الصدقة فتناول ذنب بعير
فجذبه فاقتلعه فتعجب عمر رضي الله عنه من شدته وقوته فقال له هل رأيت
اقوى منك من احد قال نعم خرجت بامرأة من اهلي اريد بها زوجها فنزلت
على حوض فاقبل رجل معه ذود فضرب ذوده الى الحوض فسار رمايعني
المرأة فنادتني فما انتهيت اليهما حتى خالطها فجئت لادفعه عنها فاخذ راسي بين
عضده وجنبه فما استطعت التحريك حتى قضى وطره منها فقالت اي فحل هذا
لو كان منجبه فامهلته حتى امتلأ نوما فقمت له بالسيف فضربت ساقه فانتبه
فتناول رجله فرماني بها فاهوانى اي فاتني واصاب راس بعير فقتله فقال
عمر رضي الله عنه ما فعلت بالمرأة فقال هذا احديث الرجل فكرر عليه السؤال

فلم یزده علی هذا ففطن انه قتلها انتهی ویحکی ان عبد الله بن ابی رواحۃ رضی الله عنه کان عنده جاریۃ جمیلۃ وکان یحبها محبۃ شدیدۃ ولم یتمکن منها خوفا من زوجته فمضت یوما وجته لحاجۃ ثم عادت فوجدته هو والجاریۃ معتنقین نائمین فقالت اوعلتها قال لم اکن فاعلها قالت فاقرا فقال اعوذ بالله من الشیطان الرجیم

علمت بان وعد الله حق　　وان النار مثوی الکافرینا

وان العرش فوق الماء طاف　　وفوق العرش رب العالمینا

وتحمله ملائکۃ کرام　　ملائکۃ الاله مسومینا

قالت صدقت وکذبت عیناای قال فذهبت واخبرت النبی صلی الله علیه وسلم فضحک حتی بدت نواجذه وصار یکررها ویقول کیف قلت انتهی

اول دولۃ بنی امیۃ معاویۃ بن ابی سفیان رضی الله عنه

جلس یوما فی مجلس کان له بدمشق وکان الموضع مفتح الجوانب الاربع یدخل فیه النسیم من کل جانب قال فبینما هو جالس ینظر الی بعض الجهات وکان یوما شدید الحر لانسیم فیه قال وکان وسط النهار وقد لفحت الهواجر اذ نظر الی رجل یمشی نحوه وهو یتلظی من حر التراب ویحجل فی مشیته حافیا فتامله وقال لجلسائه هل خلق الله سبحانه وتعالی اشقی ممن یحتاج الی الحرکۃ فی هذا الوقت وفی مثل هذه الساعۃ فقال بعضهم لعله یقصد امیر المؤمنین فقال والله لئن کان قاصدی لاجل شئ لاعطینه واستجلب الامر به او مظلوما لانصرنه یاغلام قف بالباب فان طلبنی هذا الاعرابی فلا تمنعه من الدخول علی فخرج فوافاه فقال ماترید قال امیر المؤمنین قال ادخل فدخل فسلم فقال له معاویۃ ممن الرجل قال من تمیم قال فما الذی جاء بک فی هذا الوقت قال جئتک مشتکیا وبک مستجیرا قال ممن قال من مروان بن الحکم عاملک وانشد یقول

معاوی یاذا الجود والحلم والبذل | ویاذا الندی والعلم والرشد والنبل
اتیتك لما ضاق فی الارض مذهبی | فیا غوث لا تقطع رجائی من العدل
وجدلی بانصاف من الجائر الذی | بلانی بشیٔ کان ایسره قتلی
سبانی سعدی وانبری لخصومتی | وجار ولم یعدل واغصبنی اهلی
وهم بقتلی غیر ان منیتی | تانت ولم استکمل الرزق من اجلی

قال فلما سمع معاویة کلامه والنار تتوقد من فیه قال له مهلا یا اخا العرب اذکر قصتك وابن لی عن امرك فقال یا امیر المؤمنین کانت لی زوجة وکنت لها محبا وبها کلفا وکنت بها قریر العین طیب النفس وکانت لی جذعة من الابل کنت استعین بها علی قوام حالی وکفایة اودی فاصابتنا سنة اذهبت الخف والحافر فبقیت لا املك شیئا فلما قل ما بیدی وذهب مالی وفسد حالی بقیت مهانا ثقیلا علی الذی یألفنی وابعدنی من کان یشتهی قربی وازورّ من لا یرغب فی زیارتی فلما علم ابوها ما بی من سوء الحال وشر المال اخذها منی وجحدنی وطردنی واغلظ علی فاتیت الی عاملك مروان بن الحکم راجیا النصرة فلما احضر اباها وسأله عن حالی قال ما اعرفه قط فقلت اصلح الله الامیر ان رأی ان یحضرها ویسألها عن قول ابیها ففعل وبعث خلفها فلما حضرت بین یدیه وقعت منه موقع الاعجاب فصار لی خصما وعلی منکرا واظهر لی الغضب وبعث بی الی السجن فبقیت کانما خررت من السماء واستهوت بی الریح فی مکان سحیق ثم قال لابیها هل لك ان تزوجنیها علی الف دینار وعشرة آلاف درهم وانا ضامن خلاصها من هذا الاعرابی فرغب ابوها فی البذل واجابه الی ذلك فلما کان من الغد بعث الی واحضرنی ونظر الی کالاسد الغضبان وقال طلق سعادی فقلت لا فسلط علی جماعة من غلمانه فاخذونی یعذبوننی بانواع العذاب فلم اجد لی بدا من طلاقها ففعلت فاعادنی الی السجن فمکثت فیه الی ان انقضت عدتها فتزوجها اطلقنی وقد اتیتك راجیا وبك مستجیرا والیك ملتجئا وانشد یقول

في القلب مني غرام | للنار فيه استعار
والجسم مني سقيم | فيه الطبيب يحار
وفي فؤادي جمر | والجمر فيه شرار
والعين تهطل دمعا | فدمعها مدرار
وليس الا بربي | وبالامير انتصار

قال ثم اضطرب واصطكت لهاته وصار مغشيا عليه وأخذ يتلوى كالحية قال فلما سمع معاوية كلامه وانشاده قال تعدى ابن الحكم في حدود الدين وظلم واجترا على حرم المسلمين ثم قال لقد اتيتني يا اعرابي بحديث لم اسمع بمثله قط ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب الى مروان بن الحكم كتابا يقول فيه انه قد بلغني انك تعديت على رعيتك في حدود الدين وينبغي لمن كان واليا ان يكف بصره عن شهواته ويزجر نفسه عن لذاته ثم كتب بعده كلاما طويلا اختصرته وانشد يقول

وليت امرا عظيما لست تدركه | فاستغفر الله من فعل امرئ زان
وقد اتانا الفتى المسكين منتحبا | يشكو الينا ببث ثم احزان
اعطي الاله يمينا لا اكفرها | نعم وابرأ من ديني وايمان
ان انت خالفتني فيما كتبت به | لاجعلنك لحما بين عقبان
طلق سعاد وعجلها مجهزة | مع الكميت ونصر ابن ذبيان

ثم طوى الكتاب وطبعه واستدعى بالكميت ونصر بن ذبيان وكان يستنهضهما في المهمات لامانتهما فاخذا الكتاب وسارا حتى قدما المدينة ندخلا على مروان بن الحكم وسلما عليه وسلما اليه الكتاب واعلماه بصورة الحال فصار مروان يقرأ ويبكي ثم قام الى سعاد واعلمها ولم يسعه مخالفة معاوية فطلقها بمحضر الكميت ونصر بن ذبيان وجهزهما وصحبتهما سعاد ثم كتب مروان كتابا يقول فيه هذه الابيات

لا تعجلن امیر المؤمنین فقد | اوفی بنذرك فی سر و اعلان
وما اتیت حراما حین اعجبنی | فکیف ادعی باسم الخائن الزانی
اعذر بانك لو ابصرتها لجرت | فیك الامانی علی تمثال انسان
فسوف یأتیك شمس لیس یدرکها | عند الخلیفة من انس و من جان

ثم ختم الکتاب ودفعه الی الرسولین وسارا حتی وصلا الی معاویة وسلما الیه الکتاب وقراءه فقال لقد احسن فی الطاعة واطنب فی ذکر الجاریة ثم امر باحضارها فلما رآها رای صورة حسناء لم یر أحسن منها ولا مثلها فی الحسن والجمال والقد والاعتدال فخاطبها فوجدها فصیحة اللسان حسنة البیان فقال علی بالاعرابی فاتی به وهو فی غایة من تغیر الحال فقال یا اعرابی هل لك عنها من سلوة و اعوضك عنها ثلاث جوار نهد ابکار کانهن الاقمار مع کل جاریة الف دینار واقسم لك فی بیت المال کل سنة ما یکفیك و ما یغنیك قال فلما سمع الاعرابی کلام معاویة شهق شهقة ظن معاویة انه مات فقال له معاویة ما بالك بشر بال وسوء حال فقال الاعرابی استجرت بعدلك من جور ابن الحکم فمن استجیر من جورك وانشد یقول

لا تجعلنی فداك الله من ملك | کالمستجیر من الرمضاء بالنار
اردد سعاد علی حیران مکتئب | یمسی ویصبح فی هم وتذکار
اطلق وثاقی ولا تبخل علی بها | فان فعلت فانی غیر کفار

ثم قال والله یا امیر المؤمنین لو اعطیتنی الخلافة ما اخذتها دون سعدی و انشد یقول

ابی القلب الا حب سعدی وبغضت | علی نساء مالهن ذنوب

فقال له معاویة انك مقر علی انك طلقتها ومروان مقر بانه طلقها ونحن نخیرها ان اختارت سواك تزوجناها وان اختارتك حولناها الیك قال افعل فقال ما تقولین یا سعدی ایما احب الیك امیر المؤمنین فی عزه و شرفه وقصوره وسلطانه و اموالہ و ما ابصرتیه عنده او مروان بن الحکم فی تعسفه وجوره او هذا الاعرابی

فی جوعه و فقره فانشدت تقول

هذا وان کان فی جوع واضرار اعز عندی من قومی ومن جاری
وصاحب التاج او مروان عامله وکل ذی درهم عندی ودینار

ثم قالت والله یا امیر المؤمنین ما انا بخاذلته لحادثة للزمان ولا للغدر ان الایام
وان له صحبة قدیمة لا تنسی ومحبة لا تبلی وانا احق من یصبر معه فی الضراء
کما تنعمت معه فی السراء فتعجب معاویة من عقلها ومودتها له وموافاتها ودفع
لها عشرة آلاف درهم ودفع مثلها للاعرابی واخذها وانصرف حتی

ومن ثمرات الاوراق عن الاجوبة الهاشمیة وبلاغتها فی المحل الرفیع
فمن اجل ذلک انه اجتمع عند معاویة عمرو بن العاص رضی الله عنه والولید
ابن عقبة وعتبة بن ابی سفیان والمغیرة بن شعبة فقالوا یا امیر المؤمنین
ابعث الی الحسن بن علی احضره لنا قال لهم ولم قالوا کی نوبخه ونعرفه ان
اباه قتل عثمان فقال لهم معاویة انکم لن تطیقوه ولن تنتصفوا منه ولا تقولوا
له شیئا الا کذبکم ولا یقول لکم ببلاغته شیئا الا صدقه الناس فقالوا
ارسل الیه فانا نکفیه فارسل معاویة فلما احضره قال یا حسن انی لم ارسل
الیک ولکن هؤلاء ارسلوا الیک فاسمع مقالتهم فقال الحسن رضی الله عنه
فلیتکلموا ونحن نسمع فقام عمرو بن العاص رضی الله عنه فحمد الله واثنی علیه ثم قال
یا حسن هل تعلم ان اباک اول من اثار الفتنة وطلب الملک فکیف رایت صنع الله
تعالی ثم قام الولید بن عقبة فحمد الله واثنی علیه ثم قال یا بنی هاشم کنتم اصهار
عثمان بن عفان فنعم الصهر کان لکم لقربه من رسول الله صلی الله علیه وسلم
یقربکم ویفضلکم ثم بغیتم علیه وقتلتموه وقد اردنا قتل ابیک فانقذنا الله
منه ولو قتلناه ما کان علینا من الله من ذنب ثم قام عتبة بن ابی سفیان
فقال یا حسن ان اباک قد تعدی علی عثمان فقتله حسدا علی الملک والدنیا
فسلبهما الله منه ولقد اردنا قتل ابیک حتی قتله الله تعالی ثم قام المغیرة بن شعبة

وقال كلا اما سبا العلی و تنطبها العثمان فقام الحسن رضی اللہ عنہ فحمد اللہ و
اثنی علیہ وقال بك ابدا یا معاویہ لم یشتمنی ھؤلاء ولکن انت تشتمنی بغضا
وعداوۃ وخلافا لجدی رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ثم التفت الی الناس
وقال انشد کم اللہ ان الذی شتمہ ھؤلاء اما کان ابی وھو اوّل من آمن باللہ
وصلی الی القبلتین وانت یا معاویہ کافر تشرك باللہ وکان مع ابی لوا النبی
صلی اللہ علیہ وسلم یوم بدر و لواء المشرکین مع معاویۃ ثم قال انشد کم اللہ
تعالی اما کان معاویۃ یکتب لجدی صلی اللہ علیہ وسلم فارسل الیہ یوما فرجع
الرسول وقال ھو یاکل فرد الیہ الرسول ثلاث مرات کل ذلك یقول ھو یاکل
فقال النبی صلی اللہ علیہ وسلم لا اشبع اللہ بطنہ یا معاویۃ اما تعرف ذلك
من بطنك ثم قال وانشد کم اللہ اما تعلمون ان معاویۃ کان یقود بابیہ علی وھو
جمل واخوہ ھذا یسوقہ فقال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ما قال وانت تعلم
ذلك ھذا کلہ لك یا معاویۃ واما انت یا عمرو تنازعت خمسۃ من قریش فغلب
علیك شبہ الایھم وھو اقلھم حسبا واسوأھم منصبا ثم قمت وسط قریش
فقلت انی شانئ محمدا بثلاثین بیتا من الشعر فقال النبی صلی اللہ علیہ وسلم
اللھم انی لا احسن الشعر اللھم العن عمرو بن العاص بکل بیت لعنۃ ثم انطلقت
الی النجاشی بما عملت وعلمت فکذبك ورد لك خائبا فانت عدو بنی ہاشم فی الجاھلیۃ والاسلام
فلا نلومك علی بغضك الآن واما انت یا ابن ابی معیط فکیف الوم علی سبك
لابی وقد جلدك ابی فی الخمر ثمانین جلدۃ وقتل اباك صبرا بامر جدی وقتلہ جدی
بامر ربی ولما قدمہ للقتل قال من للصبیۃ بعدی یا محمد فقال جدی لھم النار
فلم یکن لھم عند جدی غیر النار ولم یکن لھم عند ابی غیر السوط والسیف واما
انت یا عتبۃ فکیف تعیب احدا بالقتل فلم قتلت الذی وجدتہ علی فراشك
مضاجعا لزوجتك ثم امسکتھا بعد ان بغت واما انت یا اعور ثقیف ففی ای
شئ تسب علیا افی بعدہ من رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ام لحکمہ جائرہ فی

رغبة في الدنيا فان قلت في شيء من ذلك كذبت وكذبك الناس وان زعمت
ان عليا قتل عثمان فقد كذبت وكذبك الناس وانما مثلك كمثل بعوضة
وقعت على نخلة فقالت لها استمسكي فاني اريد ان اطير فقالت لها النخلة
ما علمت بوقوعك فكيف يشق على طيرانك فكيف يا اعور ثقيف يشق
علينا سبك ثم نفض ثيابه وقام فقال لهم معاوية الم اقل لكم لا تنتصفون
منه فوالله لقد اظلم على البيت حتى قام وروى ان معاوية رضي الله
عنه خرج يوما حاجا فمر بالمدينة ففرق على اهلها اموالا جزيلة ولم يحضر
الحسن بن علي رضي الله عنهما فلما حضر قال له معاوية مرحبا مرحبا برجل
تركنا حتى نفد ما عندنا وتعرض لنا ليبخلنا فقال له الحسن رضي الله عنه
كيف ينفد ما عندك وخراج الدنيا يجبى اليك فقال له معاوية قد امرت
لك بمثل ما امرت به لاهل المدينة وانا ابن هند فقال الحسن قد رددته
عليك وانا ابن فاطمة الزهراء رضي الله عنها وقيل ان معاوية رضي الله
عنه جلس يوما بين اصحابه اذ اقبلت قافلتان من البرية فقال لبعض من
كان بين يديه انظروا هؤلاء القوم وائتوني باخبارهم فمضوا وعادوا وقالوا
يا امير المؤمنين احداهما من اليمن والاخرى من قريش فقال ارجعوا اليهم
وادعوا قريشا وانزلوا اهل اليمن ينزلون في اماكنهم الى ان ناذن لهم
بالدخول فلما دخلت قريش سلم عليهم وقربهم وقال اتدرون يا اهل قريش
لم اخرت اهل اليمن وقربتكم قالوا لا والله يا امير المؤمنين قال لانهم لم
يزالوا يطاولون علينا بالفخار ويقولون ما ليس فيهم واني اريد اذا دخلوا
عندي ان اخذوا اماكنهم من الجلوس اقوم فيهم نذيرا والقي عليهم من المسائل
ما اقلل به اكرامهم وانقص به مقامهم فاذا دخلوا واخذوا اماكنهم من الجلوس
وسالوا عن شيء فلا يجيبهم احد غيري (قال الراوي) وكان المقدم عليهم
رجل يقال له الطرماح بن الحكم الباهلي فاقبل على اصحابه وقال اتدرون

یا اهل الیمن لم اخر کم ابن هند و قدم قریشا قالوا لا قال لانه فی غداة غد یقوم فیکم نذیرا و یلقی علیکم من المسائل ما یقل به اکرامکم و یرخص به مقامکم فاذا دخلتم علیه و اخذ تم اماکنکم من الجلوس و سألکم عن شیٔ فلا یجیبه احد غیری فلما کان من الغد دخلوا علیه و اخذوا اماکنهم فنهض معاویة قائما علی قدمیه و قال ایها الناس من تکلم بالعربیة قبل العرب و علی من انزلت العربیة فقام الطرماح و قال نحن یا معاویة و لم یقل یا امیر المؤمنین فقال لماذا فقال لانه لما نزلت العرب ببابل و کانت العبرانیة لسان الناس کافة ارسل الله تعالی العربیة علی لسان یعرب بن قحطان الباهلی و نحو جدنا فقرأ العربیة و تداولها قومه من بعده الی یومنا هذا فنحن یا معاویة عرب بالجنس و انتم عرب بالتعلیم فسکت معاویة زمانا ثم رفع راسه و قال ایها الناس من اقرب العرب ایمانا و من شهد له بذلک فقال الطرماح نحن یا معاویة قال لم قال لان الله بعث محمدا صلی الله علیه و سلم نکذبتموه و سفهتموه و جعلتموه مجنونا فآویناه و نصرناه فانزل الله و الذین آووا و نصروا اولئک هم المؤمنون حقا و کان النبی صلی الله علیه و سلم یحسننا لنا متجاوزا عن سیئاتنا فلم لم تفعل انت کذلک کانک خالفت رسول الله صلی الله علیه و سلم قال فسکت زمانا ثم رفع راسه و قال ایها الناس من افصح العرب لسانا و من شهد له بذلک قال الطرماح نحن یا معاویة قال و لم ذلک قال لان امرأ القیس بن حجر الکندی منا قال فی بعض قصائده

یطعمون الناس غبا	فی السنین المسحلات
فی جفان کالجوابی	و قدور راسیات

و قد تکلم بالقرآن قبل ان ینزل و شهد له رسول الله صلی الله علیه و سلم بذلک قال فسکت معاویة زمانا و قال ایها الناس من اقوی العرب شجاعة و کرا و من شهد له بذلک قال الطرماح نحن یا معاویة قال و لم ذلک قال لان منا عمرو بن معدی کرب الزبیدی کان فارسا فی الجاهلیة و فارسا فی الاسلام و شهد له

بذلك النبی صلی اللہ علیہ وسلم فقال له معاویة وابن انت وقد اتی به مصفدا بالحديد فقال له الطرماح ومن اتی به قال معاویة اتی به علی قال الطرماح واللہ لو عرفت مقداره لسلمت الیه الخلافة ولا طمعت فیها ابدا فقال له معاویة اتجعلنی یا عجوز الیمن قال نعم اجعلک یا عجوز مضر لان عجوز الیمن بلقیس آمنت باللہ وتزوجت بنبیه سلیمان بن داؤد علیهما السلام وعجوز مضر جدتك التی قال اللہ فی حقها وامرأته حمالة الحطب فی جیدها حبل من مسد قال فسکت معاویة زمانا ثم رفع رأسه وقال جزاك اللہ خیرا من صاحب ووفر عقلك ورحم سلفك واعطاه واحسن الیه انتهی قال الراوی وخطب معاویة یوما فقال یا ایها الناس ان اللہ تعالی قال وان من شیء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فعلام تلوموننی اذا قصرت عنکم فی عطایاکم فقال له الاحنف بن قیس انا واللہ ما نلومك فیما فی خزائن اللہ ولکن وضعت یدك علی ما انزل اللہ من خزائنه فجعلته فی خزائنك وحلت بیننا وبینه ومما یروی عن الشعبی قال استأذنت سودة بنت عمارة بن الاسد علی معاویة بن ابی سفیان فأذن لها فلما دخلت علیه قال لها یا بنت الاسد لست القائلة شعرا

شمر کفعل ابیك یا ابن عمارة	یوم الطعان وملتقی الاقران
وانصر علیا والحسین ورهطه	واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام اخا النبی محمد	علم الهدی ومنارة الایمان
وقد الجیوش وسر امام لوائه	وارمی بابیض صارم وسنان

قالت بلی یا معاویة ومن مثلی من رغب عن الحق واعتذر قال فما حملك علی ذلك قالت حب علی واتباع الحق قال واللہ ما اری علیك من اثر علی شیئا قالت انشدك اللہ یا معاویة لا تذکر اعادة ما مضی قال هیهات وما مثلك ومقام اخیك یسینی وما لقیت من اخیك قالت صدقت یا معاویة لم یکن اخی ذمیم المقام ولا خفی وهو واللہ کقول الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به ‌ ‌ ‌ ‌ كأنه علم في رأسه نار

وانا اسالك يا معاوية اعفاءك مما استعفيت به قال قد فعلت فما حاجتك قالت
يا معاوية انك اصبحت للناس سيدا ولامورهم واليا والله سائلك عن
امرنا وما افترض عليك من حقنا ولا تزال تقدم علينا من يغرك ويبطش
بسلطانك ويحصدنا حصد السنبل ويدرسنا درس العصفر ويسومنا
الخسف ويبلينا الخبل هذا ابن ارطاة قدم علينا فقتل رجالي واخذ مالي
ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فاما عزلته فشكرناك واما اقررته فعرفناك
فقال لها ابقولك تهدديني هممت ان احملك على قتب جمل اشرس واسيرك
اليه لينفذ فيك امره فاطرقت وبكت وانشدت تقول

صلى الاله على روح تضمنه ‌ ‌ ‌ ‌ قبر فاصبح فيه الحق مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلا ‌ ‌ ‌ ‌ فصار بالحق والايمان مقرونا

قال ومن ذاك قالت امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال وما قالت
اتيته في رجل ولاه علينا ولم يكن بيننا وبينه الا كما بين الغث والسمين فوجدته
قائما يصلي فلما نظر الي انفتل من صلاته ثم قال برافة ورحمة ألك حاجة فاخبرته
فبكى ثم قال اللهم اشهد علي وعليهم اني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك
ثم اخرج من جيبه قطعة من جلد كهيئة طرف الجراب فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم
قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم
ولا تعثوا في الارض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم
بحفيظ اذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك حتى يقدم عليك من يقبضه
منك والسلام فاخذته منه واوصلته اليه فامتثل ورجع عما كان فيه فقال
معاوية اكتبوا لها برد مالها والعدل في احوالها فقالت الي خاصة ام لي و
لقومي قال بل انت قالت اذا الفحشاء واللؤم هي والله اما عدلا شاملا والا انا
كسائر قومي قال اكتبوا لها بحاجتها وقومها ولما اتصلت بميسون بنت بحدل

بمعاوية رضی الله عنه ونقلها من البدو والی لنا ام كانت تكثر الحنين علی ناسها والتذكر لمسقط راسها فاستمع عليها ذات يوم فسمعها تنشد وتقول

لبيت تخفق الارياح فيه	احب الی من قصر منيف
واكل كسرة من كسر بيتي	احب الی من اكل الصنوف
واصوات الرياح بكل فج	احب الی من نقر الدفوف
ولبس عباءة وتقر عيني	احب الی من لبس الشفوف
وكلب ينبح الطراق حولی	احب الی من قط الوف
وبكر يتبع الاظعان صعب	احب الی من بغل زفوف
وخرق من بنی عمی ضعيف	احب الی من علج عنيف

قال الراوی فلما سمع معاوية الابيات قال ما رضيت ابنة بحدل حتی جعلتنی علجا عنيفا حكاية اجنبية عن المقام يحكی ان بهرام لما ولی الملك بعد ابيه اقبل علی اللهو واللذات والنزه والصيد ولا يفكر فی ملكه ولا فی رعيته حتی خرجت البلاد عن يده وخربت فی ايامه وقلت العمارة وتعطلت بيوت الاموال فلما كان فی بعض الايام ركب الی بعض منازهه وصيده وهو يسير نحو المدائن وكانت ليلة مقمرة فدعا بالموبذ وهو عند المجوس كالحاخام عند اليهود والقسيس عند النصاری لامر خطر بباله فجعل يحادثه فتوسطا فی سيرهما بين خرابات كانت من امهات الضياع قد خربت فی مدة ملكه لا انيس فيها الا البوم واذا ببومة يصيح وصاحبته تجاوبه من تلك الخرابات فقال بهرام اتری ان احدا من الناس اعطی فهم لغة هذا الطائر المصوت فی الليل البهيم فقال الموبذ ايها الملك انا ممن خصه الله بذلك فقال فما يقول هذا الطائر وما يقول الطائر الآخر فقال الموبذ هذا بوم ذكر يخطب بومة ويقول لها متعينی نفسك حتی يخرج من بيننا اولاد يسبحون الله ويبقی لنا فی هذا العالم عقب يكثرون الترحم علينا فاجابت البومة ان الذی تدعونی اليه لی فيه الحظ الاكبر والنصيب الاوفر فی العاجل

والآجل الا انی اشترط علیك خصالا ان اعطیتها اجبتك الی ذلك فقال لها
الذکر وما تطلبیه منی قالت ان تعطینی من خرابات امهات الضیاع عشرین
قریة مما خربت فی ایام هذا الملك السعید فقال له الملك فما الذی قال لها
الذکر قال الموبذ کان من قوله لها ان دامت ایام هذا الملك السعید اقطعك
منها الف قریة خراب فما تصنعین قالت فی اجتماعنا یحصل ظهور النسل وکثرة
الذکر فنقطع لکل ولد من اولاد ناضیعة من هذه الخرابات فقال لها الذکر
هذا اسهل امر سألتنیه وانا ملی بذلك ما حی هذا الملك فلما سمع الکلام
من الموبذ عمل فی نفسه واستیقظ من نومه وفکر فیما خوطب به فنزل من ساعته
ونزل بنزوله الناس وخلا بالموبذ فقال ایها القائم بامر الدین والناصح للملك
والمنبه له عما اغفله من امور ملکه واضاعة بلاده ورعیته ما هذا الکلام الذی
خاطبتنی به فقد حرکت منی ما کان ساکنا فقال الموبذ صادفت من الملك
السعید جدة وقت سعد العباد والبلاد فجعلت الکلام مثلا وموعظة علی لسان
الطائر عند سؤال الملك ایای عما سأل فقال له الملك ایها الناصح اکشف لی
عن هذا الغرض ما المراد منه فقال ایها الملك ان الامر لا یتم الا بالشریعة والقیام
لله بطاعته ولا قوام للشریعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام
للرجال الا بالمال ولا سبیل للمال الا بالعمارة ولا سبیل للعمارة الا بالعدل وهو
المیزان المنصوب بین الخلیقة نصبه الرب جل وعلا وجعل له قیما وهو الملك
فقال الملك اما ما وصفت فحق فابن لی عما الیه تقصد واوضح لی فی البیان
قال نعم ایها الملك انك عمدت الی الضیاع فاقطعتها الخدم واهل البطالة
فعمدوا الی ما تعجل من غلاتها فاستعجلوا المنفعة وترکوا العمارة والنظر
فی العواقب وما یصلح الضیاع وسومحوا فی الخراج لقربهم من الملك ووقع
الحیف علی الرعیة وعمار الضیاع فانجلوا عن ضیاعهم وقلت الاموال
وهلکت الجنود والرعیة وطمع فی ملك فارس من اطاف بها من الملوك

والامم

والامر لعلمهم بانقطاع المواد التي بسببها تستنفهم دعائم الملك فلما سمع الملك ذلك اقام في موضعه ثلاثة ايام واحضر الوزراء والكتاب وارباب الدواوين فانتزعت الضياع من ايدي الخاصة والحاشية وردت الى اربابها وحملوا على رسومهم السالفة واخذ وافي العمارة وقوي من ضعف منهم فعمرت البلاد بذلك واخصبت وكثرت الاموال عند الجباة وقويت الجنود وانقطعت مواد الاعداء واقبل الملك يباشر الامور بنفسه فحسنت سيرته وانتظم ملكه حتى كانت ايامه بعده تدعى بالاعياد مما عم الناس من الخصب وشملهم من العدل اهـ حكاية اخرى اجنبية حكي عن الاصمعي انه قال دخلت البصرة اريد بادية بني سعد وكان على البصرة يومئذ خالد بن عبد الله القسري فدخلت عليه يوما فوجدت قوما متعلقين بشاب ذي جمال وكمال وادب ظاهر بوجه زاهر حسن الصورة طيب الرائحة جميل البزة عليه سكينة ووقار فقدموه الى خالد فسألهم عن قصته فقالوا هذا لص اصبناه البارحة في منازلنا فنظر اليه فاعجبه حسن هيئته ونظافته فقال خلوا عنه ثم ادناه منه وسأله عن قصته فقال ان القول ما قالوه والامر على ما ذكروه فقال له ما حملك على ذلك وانت في هيئة جميلة وصورة حسنة قال حملني الشره في الدنيا وبذا قضى الله سبحانه وتعالى فقال له خالد ثكلتك امك اما كان لك في جمال وجهك وكمال عقلك وحسن ادبك زاجر لك عن السرقة قال دع عنك هذا ايها الامير وانفذ ما امرك الله تعالى به فذلك بما كسبت يداي وما الله بظلام للعبيد فسكت خالد ساعة يفكر في امر الفتى ثم ادناه منه وقال له ان اعترافك على رؤس الاشهاد قد رابني وانا ما اظنك سارقا وان لك قصة غير السرقة فاخبرني بها فقال ايها الامير لا يقع في نفسك سوى ما اعترفت به عندك وليس لي قصة اشرحها لك الا اني دخلت دار هؤلاء فسرقت منها ما لا قدر فادركوني واخذوه مني وحملوني اليك فامر خالد بحبسه وامر

منادیا ینادی فی البصرة الا من احب ان ینظر الی عقوبة فلان اللص وقطع یده فلیحضر من الغد فلما استقر الفتی فی الحبس ووضع فی رجلیه الحدید تنفس الصعداء ثم انشا یقول

هددنی خالد بقطع یدی ان لم ابح عنده بقصتها
فقلت هیهات ان ابوح بما تضمن القلب من محبتها
قطع یدی بالذی اعترفت به اهون للقلب من فضیحتها

فسمعه الموکلون فأتوا خالدا واخبروه بذلک فلما جن اللیل امر باحضاره عنده فلما حضر استنطقه فرآه ادیبا عاقلا لبیبا ظریفا فاعجب به فامر له بطعام فاکلا وتحادثا ساعة ثم قال له خالد قد علمت ان لک قصة غیر السرقة فاذا کان غدا وحضر الناس والقضاة وسألتک عن السرقة فانکرها واذکر فیها شبها تدرأ عنک القطع فقد قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات ثم امر به الی السجن فلما اصبح الناس لم یبق بالبصرة رجل ولا امرأة الا حضر لیری عقوبة ذلک الفتی ورکب خالد ومعه وجوه اهل البصرة وغیرهم ثم دعا بالقضاة وأمر باحضار الفتی فاقبل یحجل فی قیوده ولم یبق احد من النساء الا بکی علیه ولا ارتفعت اصوات النساء بالبکاء والنحیب وأمر بتسکیت الناس ثم قال له خالد ان هؤلاء القوم یزعمون انک دخلت دارهم وسرقت مالهم فما تقول قال صدقوا ایها الامیر دخلت دارهم وسرقت مالهم فقال خالد لعلک سرقت دون النصاب قال بل سرقت نصابا کاملا قال فلعلک سرقته من غیر حرز مثله قال بل من حرز مثله قال فلعلک شریک القوم فی شیء منه قال بل هو جمیعه لهم لا حق لی فیه فغضب خالد وقام الیه بنفسه وضربه علی وجهه بالسوط وقال متمثلا بهذا البیت

یرید المرء ان یعطی مناه ویأبی الله الا ما ارادا

ثم دعا بالجلاد لیقطع یده فحضر واخرج السکین ومد یده ووضع علیها

السكين فبرزت جارية من صف النساء عليها آثار وسخ فصرخت ورمت بنفسها عليه ثم اسفرت عن وجه كانه البدر وارتفع للناس ضجة عظيمة كادان تقع منها فتنة ثم نادت باعلى صوتها اناشدتك الله ايها الامير لا تعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة ثم دفعت اليه رقعة ففضها خالد فاذا هي مكتوب فيها هذه الابيات

أخالد هذا مستهام متيم ... رمته لحاظي من قسي الحمالق
فاصماه سهم اللحظ مني فقلبه ... حليف الجوى من دائه غير فائق
اقرّ بما لم يقترفه لانه ... رأى ذاك خيرا من هتيكة عاشق
فمهلا على الصب الكئيب لانه ... كريم السجايا في الهوى غير سارق

فلما قرأ الابيات تنحى واعتزل عن الناس واحضر المرأة ثم سالها عن القصة فاخبرته ان هذا الفتى عاشق لها وهي له كذلك وانه اراد زيارتها وان يعلمها بمكانه فرمى بحجر الى الدار فسمع ابوها واخوتها صوت الحجر فصعدوا اليه فلما احس بهم جمع قماش البيت كله وجعله صرة فاخذوه وقالوا هذا سارق واتوا به اليك فاعترف بالسرقة واصر على ذلك حتى لا يفضحني بين اخوتي وهان عليه قطع يده لكي يستر علي ولا يفضحني كل ذلك لعزازة مروته وكرم نفسه فقال خالد انه خليق بذلك ثم استدعى الفتى اليه وقبل مابين عينيه وامر باحضار ابي الجارية وقال له ياشيخ اناكنا عزمنا على انفاذ الحكم في هذا الفتى بالقطع وان الله عزوجل عصمني من ذلك وقد امرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده وحفظه لعرضك وعرض ابنتك وصيانته لكما من العار وقد امرت لابنتك بعشرة آلاف درهم وانا اسالك ان تاذن لي في تزويجها منه فقال الشيخ قد اذنت ايها الامير بذلك قال فحمدالله واثنى عليه ويخطب خطبة حسنة وقال للفتى قد زوجتك هذه الجارية الحاضرة باذنها ورضاها واذن ابيها على هذا المال

وقدره عشرة آلاف درهم فقال الفتى قبلت منك هذا التزويج وامر بحمل المال الى دار الفتى بزفوفا فى الصوانى وانصرف الناس مسرورين ولم يبق احد فى سوق البصرة الا نثر عليهما اللوز والسكر حتى دخلا منزلهما مسرورين مزفوفين قال الاصمعى فما رايت يوما اعجب منه اوله بكاء وترح وآخره سرور وفرح وهذه حكاية تشابه ما تقدم قال حماد الراوية كنت عند جعفر بن سليمان بالبصرة اذ اتى بشاب حسن الوجه ومعه جارية كانها قضيب بان فقال صاحب الشرطة اصلح الله الامير انى وجدت هذا وهذه مجتمعين فى خلوة وليس لها بمحرم فقال جعفر للفتى ما تقول فقال صدق ولقد طال والله غرامى بها منذ ثلاث سنين والله ما امكننى الخلوة بها الا فى هذا الوقت وانشد يقول شعرا

تمنيت من ربى افوز بقربها ... فلما تهيا لى المنى عاقنى الصبر

فوالله بل والله ما كان ريبة ... وما كان الا اللفظ والضحك والبشر

فدونكمو جلدى ولا تجلدونها ... فكم من حرام كان من دونه ستر

قال فجعلت الجارية تبكى بكاء شديدا فقال لها وانت لم تبكين فقالت والله شفقة على ما حل بنا وكيف احتلت حتى خرجت وكيف بلينا بهذه البلية قال الحبيبة قالت فلم غررت بنفسى قال لها انت حرة ام مملوكة قالت بل مملوكة فامر بها فخلت الدار واحضر مولاها فاشتراها منه بمائتى دينار واعتقها وزوجها الفتى ووهب له مائة دينار وكساها وانشد الفتى يقول

لقد جدت يا ابن الاكرمين بنعمة ... جمعت بها بين المحبين فى ستر

فلازلت بالاحسان كهفا وملجأ ... وقد جل ما قد كان منك عن الشكر

قال فضحك وامر لهما بجائزة وانصرفا مسرورين انتهى فى ايام دولة عبد الملك ابن مروان وهو اول من تسمى عبد الملك فى الاسلام وكان يلقب برشح الحجر ذكره فى حياة الحيوان وذكر محمد بن واسع الهيتى ان عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم

الى الحجاج بن يوسف اذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته نشتري لي ثلاث جوار مولدات نهداً ابكاراً يكون الهن المنتهى في الجمال واكتب لي بصفة كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين اي الياسرجية ثم امرهم بما امره به امير المؤمنين وامرهم ان يغوصوا في البلاد حتى يقفوا على الغرض فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى وقفوا على الغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار نهداً ابكار مولدات ليس لهن مثيل وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن وثمنها من المال فوجدهن لا يقوم بقيمة وان ثمنهن ثمن واحدة منهن. ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلني كتاب امير المؤمنين متعني الله ببقائه يأمر فيه ان اشتري له ثلاث جوار مولدات نهداً ابكاراً وان اكتب له بصفة كل واحدة منهن وثمنها اما الجارية الاولى اطال الله بقاء امير المؤمنين فانها لطيفة السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حلوة الوجنتين قد انهدت نهداها والتفت فخذاها كانها ذهب شيب بفضة وهي كما قيل

بيضاء في طرفها دعج يميزها	كانها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا امير المؤمنين ثلاثون الف درهم واما الجارية الثانية فانها فائقة في الجمال معتدلة القد والكمال يشفي السقيم كلامها الرخيم وثمنها يا امير المؤمنين ثلاثون الف درهم واما الجارية الثالثة فانها فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كانها خشف غزال وثمنها يا امير المؤمنين ثمانون الف درهم ثم اطنب في الشكر والثناء على امير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا بالنخاسين وقال تجهزوا للسفر بهؤلاء الجوار لامير المؤمنين فقال احد النخاسين ايد الله الامير اني رجل كبير ضعيف عن السفر ولي ولد ينوب عني أتأذن لي ان اجهزه قال نعم فتجهزوا وخرجوا ففي بعض مسيرهم نزلوا ليستريحوا في بعض الاماكن فنامت الجواري فهبت ريح فانكشفت

احداهن وهي الكوفية فظهر نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها الساعة فأتاها على غفلة من اصحابه وجعل يقول

امكتوم عيني ما تمل من البكاء | وقلبي باسهام الاسي يتمزق
امكتوم كم من عاشق قتل الهوى | وقلبي رهين كيف لا اتعشق

فاجابته تقول

لو كان حقا ما تقول لزرتنا | ليلا اذا هجعت عيون الحسد

فلما جن الليل انتضى ابن النخاس بسيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فاخذها واراد الهرب بها ففطن به اصحابه فاخذوه وكتفوه واوثقوه بالحديد ولم يزل ماسورا معهم الى ان قدموا على عبد الملك فلما قدموا بالجواري بين يديه اخذ الكتاب وفتحه وقرأه فوجد الصفة موافقة في اثنين ولم توافق في الثالثة ورأى بوجهها صفرة وهي الجارية الكوفية فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق عليها الصفة التي ذكرها الحجاج في كتابه وما هذا الاصفرار الذي بها وهذا الانحال فقالوا يا امير المؤمنين تقول علينا الامان قال ان صدقتم امنتم وان كذبتم هلكتم فخرج احد النخاسين واتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدي امير المؤمنين بكى بكاء شديدا وايقن بالعذاب ثم انشأ يقول هذه الابيات

امير المؤمنين اتيت رغما | وقد شدت الى عنقي يديا
مقر بالقبيح وسوء فعلي | ولست بما رميت به بريا
فان تقتل فقوق القتل ذنبي | وان تعفو فمن جود عليا

فقال له عبد الملك يا فتى ما حملك على ما فعلت استخفافا بنا ام هوى للجارية فقال وحقك يا امير المؤمنين وعظيم قدرك ما هو الا هوى بالجارية فقال هي لك بما اعد لها فاخذ الغلام الجارية بكل ما اعد لها امير المؤمنين

من الحلي والجمان وسار بها فرحا مسرورا حتى اذا كانا ببعض الطريق نزلا منزلا ليلا فتعانقا فلما اصبح الصباح واراد الناس الرحيل نبهوهما فوجدا ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما في الطريق ومضى خبرهما الى امير المؤمنين عبد الملك ابن مروان فبكى عليهما وتعجب من ذلك انتهى وهذه حكاية تشابهها في العشق حكى عن عبد الله بن معمر القيسي انه قال حججت سنة الى بيت الحرام فلما قضيت حجي عدت لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبينما انا ذات ليلة جالس بين القبر والروضة اذا سمعت انينا عاليا وحنينا باديا فانصت اليه فاذا هو يقول هذه الابيات

أشجاك نوح حمائم السدر | فاهجن منك بلابل الصدر
ام عز نومك ذكر غانية | اهدت اليك وساوس الفكر
يا ليلة طالت على دنف | يشكو الغرام وقلة الصبر
اسلمت من يهوى لحر جوى | متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهد انني كلف | مغرى بحب شبيهة البدر
ما كنت احسبني بها شجنا | حتى بليت وكنت لا ادري

قال ثم انقطع الصوت ولم ادر من اين جاءني فبقيت حائرا واذا به قد اعاد البكاء والحنين وانشأ يقول هذه الابيات

اشجاك من ريا خيال زائر | والليل مسود الذوائب عاكر
واعتاد مقلتك الهوى برسيسه | واهتاج مقلتك الخيال الزاهر
ناديت ليلى والظلام كأنه | يم تلاطم فيه موج زاخر
والبدر يسري في السماء كأنه | ملك ترحل والنجوم عساكر
يا ليل طلت على محب ما له | الا الصباح مساعد ومؤازر
فاجابني مت حتف انفك واعلمن | ان الهوى لهو الهوان الحاضر

قال فنهضت عند ابتدائه الابيات اؤم الصوت فما انتهى لآخر الابيات الا وانا عنده فرأيته غلاما كما نزل عذاره وقد خرق الدمع وجنتيه خرقين

فقلت نعمت غلاما فقال وانت فمن الرجل قلت عبد الله بن معمر القيسي قال
افلك حاجة قلت له كنت جالسا في الروضة فما راعني في هذه الليلة الا صوتك
بنفسي افديك ما الذي تجده قال اجلس فجلست قال انا عتبة بن الحباب بن
المنذر بن الجموح الانصاري غدوت الى مسجد الاحزاب فبقيت راكعا وساجدا ثم
اعتزلت عن بعيد واذا بنسوة يتهادين كالاقمار وفي وسطهن جارية بديعة الجمال
كاملة الملاحة فوقفت علي وقالت يا عتبة ما تقول في وصل من يطلب وصالك ثم
تركتني وذهبت فلم اسمع لها خبرا ولا وقفت لها على اثر فانا حيران انتقل من مكان
الى مكان ثم صرخ وانكب على الارض مغشيا عليه ثم افاق كانما صبغت خداه بورس
ثم انشد يقول هذه الابيات

اراكم بقلبي من بلاد بعيدة	تراكم تروني بالقلوب على بعد
فؤادي وطرفي ياسفان عليكم	وعندكم روحي وذكركم عندي
ولست الذ العيش حتى اراكم	ولو كنت في الفردوس او جنة الخلد

قال فقلت له يا ابن اخي تب الى ربك واستغفر من ذنبك فان بين يديك
هول المطلع فقال هيهات ما انا بسال حتى يؤوب القارظان ولم ازل به حتى
طلع الفجر فقلت قم بنا الى مسجد الاحزاب فقمنا اليه فجلسنا حتى صلينا الظهر
واذا بنسوة قد اقبلن واما الجارية فليست فيهن فقلن يا عتبة ما ظنك بطالبة
وصالك وكاشفة ما بك قال وما بالها قلن اخذها ابوها وارتحل الى السماوة
فسالتهن عن الجارية فقلن هي ريا بنت الغطريف السلمي فرفع راسه وانشا يقول

خليلي ريا قد اجد بكورها	وسار الى ارض السماوة غيرها
خليلي اني قد غشيت من البكا	فهل عند غيري عبرة استعيرها

فقلت له يا عتبة اني وردت بمال جزيل اريد به اهل الستر والله لابذلنه
امامك حتى تبلغ رضاك وفوق ارضى فقم بنا الى مسجد الانصار فقمنا حتى
اشرفنا على ملا منهم فسلمت فاحسنوا الرد ثم قلت ايها الملا ما تقولون

فی عتبۃ وابیہ قالوا من سادات العرب قلت فانہ رمی بداھیۃ من الھوی فارید منکم المساعدۃ الی السماوۃ قالوا سمعا وطاعۃ و رکبنا و رکب القوم معنا حتی اشرفنا علی منازل بنی سلیم فاعلم الغطریف بمکاننا فخرج مبادرا واستقبلنا وقال حییتم باکرام قلنا وانت حییت انا لک اضیاف فقال نزلتم باکرم منزل ثم نادی یا معشر العبید انزلوا فنزل العبید ففرشت الانطاع والنمارق وذبحت النعم والغنم فقلنا لسنا بذائقین طعامک حتی تقضی حاجتنا فقال وما حاجتکم قلنا نخطب بنتک الکریمۃ لعتبۃ بن الحباب ابن المنذر العالی المفخر الطیب العنصر فقال یا اخی ان التی تخطبونہا امرھا الی نفسھا وانا ادخل واخبرھا ثم نہض مغضبا و دخل الی ریا فقالت یا ابت مالی اری الغضب بین عینیک فقال ورد علی قوم من الانصار یخطبونک منی فقالت سادات کرام استغفر لہم النبی صلی اللہ علیہ وسلم فلمن الخطبۃ فیہم قال لفتی یعرف بعتبۃ بن الحباب قالت سمعت عن عتبۃ ھذا انہ یفی بما وعد ویدرک ما طلب قال اقسمت لا زوجتک بہ ابدا فقد نمی الی بعض حدیثک معہ قالت ما کان ذلک قال ولکن اقسمت الی ان زوجک بہ قالت احسن الیہم فان الانصار لا یردون مورد اقبیحا فاحسن الرد قال بای شئ قالت اغلظ علیہم المھر فانہم یرجعون قال ما احسن ما قلت ثم خرج مبادرا فقال ان فتاۃ الحی قد اجابت ولکن ارید لھا مہر مثلھا فمن القائم بہ قال عبد اللہ فقلت انا فقال ارید لھا الف سوارۃ من ذھب احمر وخمسۃ آلاف درھم من ضرب ھجر ومائۃ ثوب من الابراد والحبر وخمسۃ اکرشۃ من العنبر قال قلت لک ذلک فھل اجبت قال اجل فانفذ عبد اللہ نفرا من الانصار الی المدینۃ المنورۃ فأتوا بجمیع ما ضمنہ وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لاکل الطعام قال فاقمنا علی ھذا الحال اربعین یوما ثم قال خذوا فتاتکم فحملناھا علی ھودج وجہزھا بثلاثین راحلۃ من التحف ثم ودعنا وانصرف

وسرنا حتى اذا بقي بيننا وبين المدينة المنورة مرحلة خرجت علينا خيل تريد الغارة واحسب انها من بني سليم فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل عدة رجال والجرف راجعا وبه طعنة ثم سقط الى الارض واتتنا النصرة من سكان تلك الارض فطردوا عنا الخيل وقد قضى عتبة نحبه فقلنا واعتبناه فسمعنا الجارية تقول واعتبناه فالقت نفسها من على البعير وانكبت عليه وجعلت تصيح وتقول بحرقة هذه الابيات

تصبرت لا انى صبرت وانما | اعلل نفسى انها بك لاحقه
ولو انصفت روحى لكانت الى الردى | اماما من دون البرية سابقه
فما احد بعدى وبعدك منصف | خليلا ولا نفس لنفس موافقه

ثم شهقت شهقة واحدة قضت نحبها واحتفرنا لهما قبرا واحدا وواريناهما التراب ورجعت الى ديار قومى واقمت سبع سنين ثم عدت الى الحجاز ووردت المدينة المنورة للزيارة فقلت لاعودن الى قبر عتبة فاتيت الى القبر فاذا الشجرة عليها عصائب حمر وصفر وخضر فقلت لارباب المنزل ما يقال لهذه الشجرة فقالوا شجرة العروسين فاقمت عند القبر يوما وليلة وانصرفت وكان آخر العهد به ومثل ما تقدم من العشق وما ورد فى كتمان الهوى مع تحقق النظر عند اعلائه ما حكى عن بعض المعمرين من ذوى النعم قال بينما انا فى منزلى اذ دخل على خادم لي ومعه كتاب فقال رجل بالباب دفع الي هذا الكتاب ففتحته فاذا فيه شعر

تجنبك البلاء ونلت خيرا | وبخاك المليك من الغموم
تعندك لو منت شفاء نفسى | واعضاضنين من الكلوم

فقلت عاشق والله وقلت للخادم اخرج وائتنى به فخرج فلم ير احدا فعجبت من امره واحضرت الجوارى كلهن من يخرج منهن ومن لم يخرج منهن وسألتهن عن ذلك فحلفن انهن لا يعرفن من حديث هذا الكتاب شيئا فقلت انى لم

افعل ذلك بجلا بمن يهوى منكن فمن عرفت بحال هذا الفتى فهى هبة منى له بمالها ومائة دينار وكتبت جوابه اشكره على ذلك واساله قبولها ووضعت الكتاب فى جنب البيت ومائة دينار وقلت من عرف شيئا فلياخذه فمكث الكتاب والذهب ايا ما لا ياخذه احد فغمنى ذلك وقلت هذا تنع ممن يحبه بالنظر فمنعت من يخرج من جوارى من الخروج فما كان الا يوما او بعض يوم اذ دخل على الخادم ومعه كتاب وقال هذا من بعض اصدقائك بعث به اليك فقلت اخرج وائتنى به فخرج فلم يجده ففتحت الكتاب فاذا فيه هذه الابيات

ماذا اتيت الى روح معلقة عند التراقى وحادى الموت حاديها
حثثت حاديها ظلما فجد بها فى السير حتى تخلت عن تراقيها
والله لو قيل لى تأتى بفاحشة وان عقباك دنيانا وما فيها
لقلت لا والذى اخشى عقوبته ولا باضعافها ما كنت آتيها
لولا الحياء لبحنا بالذى سكنت بيت الفؤاد وابدينا امانيها

قال فغمنى امره وقلت للخادم لا يأتينك احد بكتاب الا قبضت عليه قال وقرب موسم الحاج قال فبينما انا قد افضت من عرفة واذا فتى الى جانبى على ناقة لم يبق منه الا الخيال فسلم على فرددت عليه السلام ورحبت به فقال اتعرفنى فقلت وما انكرك بسوء فقال انا صاحب الكتابين فانكببت عليه فقلت له يا اخى لقد غمنى امرك واقلقنى كتمانك لنفسك ووهبت لك طلبتك و مائة دينار فقال بارك الله لك انما اتيتك مستحلا من نظر كنت انظره على غير حكم الكتاب والسنة فقلت غفر الله لك وللجارية فسر معى الى منزلى لاسلمها اليك ومائة دينار ومثلها فى كل سنة فقال لا حاجة لى بذلك فالححت عليه فلم يفعل فقلت له اما اذ ابيت فعرفنى من هى من جوارى لا كرمها من اجلك فقال ما كنت لا سميها لاحد وودعنى وانصرف وكان آخر العهد به اهـ وعدنا الى الكلام على ما وقع فى زمان عبد الملك بن مروان

روی انه لما ولی الحجاج الحرمین الشریفین حظی عنده ابراهیم بن محمد بن طلحة فلما اراد الحجاج الرجوع الی الشام الی عبد الملك بن مروان وفد معه ابراهیم ابن محمد بن طلحة وقال اتیتك برجل الحجاز فی الشرف والابوة والفضل والمروة یا امیر المؤمنین مع ما هو علیه من حسن الطاعة وجمیل المناصحة والله لم یکن فی الحجاز له نظیر فبالله علیك یا امیر المؤمنین الا فعلت معه من الخیر ما هو مستحقه فقال عبد الملك من هو یا ابا محمد قال له ابراهیم بن محمد بن طلحة قال یا ابا محمد لقد ذکرتنا لحق واجب ائذن له فی الدخول فلما دخل علی عبد الملك امر بجلوسه فی صدر المجلس ثم قال ان ابا محمد الحجاج ذکر لنا ما نعرفه من کمال مروتك وحسن نصیحتك فلا تدع فی صدرك حاجة الا اعلمتنا بها حتی نقضیها لك ولا نضیع شکر ابی محمد الحجاج فیك قال ابراهیم ان الحاجة التی ابتغی بها وجه الله تعالی والتقرب الی النبی صلی الله علیه وسلم فی القیامة ونصیحة امیر المؤمنین فانا ابدیها یا امیر المؤمنین قال قل قال لا اقولها وبینی وبینك ثالث قال ولا الحجاج قال لا قال قم فقام خجلا وهو لا یعرف این تطأ رجله فلما مضی قال لی هات نصیحتك فقال ابراهیم یا امیر المؤمنین ولیت الحجاج الحرمین الشریفین وفیهما من تعرف من اولاد المهاجرین والانصار وصحابة رسول الله صلی الله علیه وسلم مع ما تعلمه من ظلمه وعسفه وجوره وبعده عن الحق وقربه الی الباطل یسومهم الخسف ویطؤهم بالعسف فلیت شعری ای جواب اعددته لرسول الله صلی الله علیه وسلم اذا سألك فی عرصات القیامة عن ذلك فبالله علیك یا امیر المؤمنین الا عزلته وادخرتها قربة الی الله تعالی.

فقال عبد الملك لقد ظن الحجاج الخیر بغیر اهله ثم قال یا ابراهیم قم فقمت علی اخس حال وخرجت من المجلس وقد اسودت الدنیا فی وجهی فتبعنی حاجبه وقبض علی یدی وجلس بی فی الدهلیز ثم دعا عبد الملك بالحجاج فدخل فمکث طویلا فما شککت الا انهما یتشاوران فی قتلی ثم دعانی فقمت ودخلت

فوافاني الحجاج خارجا فانفني وقال جزاك الله عني خيرا في هذه النصيحة اما والله لئن عشت لارفعن قدرك وتركني وخرج ودخلت وانا اقول بمرأى وهو معدود فدخلت على عبد الملك فاجلسني مجلسي الاول ثم قال لي قد علمت صدقك وقد عزلته عن الحرمين وولية العراق واعلمته انك استقللت له الحجاز واستدعيت له العراق وانك تطلب له الزيادة في الاعمال وهو يظن انك السبب في توليته العراق وقد تهلل وجهه فرحا لذلك فسر معه ابنا توجه يولك خيرا ولا تقطع نصيحتك عنا والله اعلم وفي مروج الذهب للمسعودي وشرح السيرة وغيرهما ان ام الحجاج بن يوسف وهي الفارعة بنت همام ولدته مشوها لا دبر له فنقب دبره وابى ان يقبل ثدي امه وغيرها فاعياهم امره فيقال ان الشيطان تصور لهم في صورة الحارث ابن كلدة فقال ما خبركم فقالوا ولد ليوسف الثقفي من الفارعة ولد وقد ابى ان يقبل ثدي امه فقال اذبحوا له تيسا اسود والعقوه دمه ثم اذبحوا له اسود سالخ واولغوه من دمه واطلوا به وجهه ثلاثة ايام ففعلوا فقبل الثدي في اليوم الرابع فكان لا يصبر عن سفك الدماء وارتكاب امور لا يقدر عليها غيره انتهى من حياة الحيوان في حرف التاء وحكى ان الحجاج انفرد يوما من عسكره فلقي اعرابيا فقال له يا وجه العرب كيف الحجاج فقال ظالم غاشم قال هلا شكوته الى عبد الملك بن مروان قال اظلم واغشم عليهما لعنة الله فبينما هو كذلك اذ تلاحقت به عساكره فعلم الاعرابي انه الحجاج فقال الاعرابي ايها الامير السر الذي بيني وبينك لا يطلع عليه احد الا الله فتبسم الحجاج واحسن اليه وانصرف وذكر اهل التواريخ ان الحجاج بن يوسف الثقفي سهر ليلة وعنده جماعة منهم خالد بن عرفطة فقال يا خالد ائتني بمحدث من المسجد والناس اذ ذاك يطلبون المقام في المسجد فانتهى الى شاب قائم يصلي فجلس حتى سلم ثم قال اجب الامير قال ابعثك الامير الي قاصدا قال نعم فمضى معه حتى انتهى الى الباب فقال له خالد كيف انت ومحادثة الامير قال سيجدني كما يحب ان شاء الله تعالى فلما دخل عليه قال له الحجاج هل قرأت القرآن قال نعم وقد حفظته قال فهل

تروى شيئا من الشعر قال ما من شاعر الا وارى عنه قال فهل تعرف من انساب
العرب ووقائعها قال لا يذهب عنى شئ من ذلك فلم يزل يحدثه بكل ما احب
حتى اذا هم بالانصراف قال يا خالد مر للفتى ببرذون وغلام ووصيفة واربعة
آلاف درهم فقال الفتى اصلح الله الامير بقى من حديثى اظرفه واعجبه فعاد الحجاج
الى مجلسه وقال حدثنى فقال اصلح الله الامير هلك والدى وانا طفل صغير
فنشأت فى حجر عمى وله ابنة بسنى وكان فى الصبا من التصابى وما كنا فيه اعجوبة
حتى اذا بلغت وبلغت تنافس الخطاب فيها وبذلوا فيها اموالا لجمالها وكمالها فلما
رايت ذلك تمارضت السقم وضنيت ورميت على الفراش ثم عدت الى خابية عظيمة
فملأتها رمالا وصخرا واتبرت راسها ودفنتها تحت فراشى فلما تم على ذلك ايام بعثت
الى عمى فقلت يا عم انى كنت اريد اسافر فوقعت على مال عظيم وخفت ان اموت
ولا يعلمه احد فان حدث بى امر فاخرجه واعتق عنى عشر نسمات واحج عنى عشر
حجج وجهز عنى عشر رجال بخيولهم واسلحتهم وتصدق عنى بالف دينار ولا تبال
يا عم فان المال كثير فلما سمع عمى مقالتى اتى امرأته فاخبرها بقولى فما كان باسرع
من ان اقبلت بجواريها حتى دخلت على فوضعت يدها على راسى ثم قالت والله
يا ابن اخى ما علمت بسقمك وما علمت حتى اخبرنى ابو فلان الساعة واقبلت تلاطفنى
وتعالجنى بالادوية وحملت لى لطائف وردت الخطاب عن ابنتها فلما رايت ذلك
تحاملت ثم بعثت الى عمى فقلت يا عمى ان الله عز وجل قد احسن الى وعافانى فابتغ
لى جارية من خصالها وكمالها وجمالها كيت وكيت ولا يسالونك شيئا الا اعطيته
فقال يا ابن اخى ما يمنعك من ابنة عمك فقلت هى من اعز خلق الله تعالى على غير انى
قد خطبتها قبل ذلك فامتنعت قال كلا ان الامتناع كان من قبل امها وهى الآن قد
سمحت ورضيت بذلك قلت شأنك فرجع الى امرأته فاخبرها بقولى فجمعت عشيرتها
فزوجونى اياها فقلت عجل على بابنة عمى كيف شئت ثم اريك الخابية فاهديت
الى ولم تدع شيئا يصنع باشراف النساء الا فعلته ثم زفت ابنتها على واحضرتها بكل ما

وجدت اليه سبيلا واخذ عمي متاعا من التجار بعشرة آلاف درهم وكان يأتينا
في كل صباح من قبل ابو بها الطائف ويخف مدة فلما كان بعد ذلك بايام اتاني
عمي وقال يا ابن اخي انا قد اخذنا من التجار متاعا بعشرة آلاف درهم وليسوا
صابرين على حبس الثمن قلت شانك والخابية فمر مسرعا حتى جاء بالرجال و
الحبال فاستخرجها وحملها ومر مسرعا بها الى منزله فلما بطحها كان فيها ما
علمت فما كان باسرع من ان جاءت امها بجواريها فلم تدع في منزلي كثيرا ولا
قليلا الا حملته فبقيت مهانا على الارض وجفتنا كل الجفاء فهذا حالي اصلح الله
الامير فانا من خجلي وضيق صدري آوي الى المساجد فقال الحجاج يا خالد مر
للفتى بثياب ديباج وفرس ارمنية وجارية وبرذون وغلام وعشرة آلاف درهم
وقال يا فتى اغد الى خالد غدا حتى تستوفي منه المال فخرج الفتى من عند الحجاج
قال فلما انتهيت الى باب داري سمعت ابنة عمي تقول ليت شعري ما ابطأ ابن عمي
اقتل ام مات ام عرض له سبع قال فدخلت عليها وقلت يا ابنة عمي البشرى وقري
عينا فاني ادخلت على الحجاج فكان من القصة كيت وكيت وحكيت لها ما كان من امري
فلما سمعت الفتاة مقالتي لطمت وجهها وصاحت فسمع ابوها وامها واخوتها
صراخها فدخلوا عليها وقالوا لها ما شأنك فقالت لابيها لا وصل الله رحمك ولا
جزاك عني وعن ابن اخيك خيرا اجفيته وضيعته حتى اصابته الخفة وذهب عقله
اسمع مقالته فقال العم يا ابن اخي ما حالك فقلت والله ما بي من باس الا اني ادخلت
على الحجاج وذكر له من امره ما كان وانه امر له بمال جزيل فقال العم لما سمع مقالته
هذه مرة صفراء ثائرة فباتوا يحرسونه تلك الليلة فلما اصبحوا بعثوا الى المعالج
فجعل يعالجه ويسعطه مرة ويسهله اخرى فيقول الفتى والله ما بي من بأس وانما
ادخلت على الحجاج فكان كيت وكيت فلما رأى الفتى ان ذكر الحجاج لا يزيده الا بلاء
كف عنه وعن ذكره ثم قال له ما تقول في الحجاج قال ما رأيته ثم خرج المعالج فقال
لهم قد ذهب عنه الاذى ولكن لا تعجلوا بحل قيوده فبقي الفتى مقيدا مغلولا فلما كان

بعد ايام ذكره الحجاج فقال يا خالد ما فعل بالفتى فقال اصلح الله الامير ما رايته منذ خرج من حضرة الامير قال فابعث اليه احدا فابعث اليه خالد حرسيا فمر الحرسي على عم الفتى فقال له ما فعل ابن اخيك فان الحجاج يطلبه قال ان ابن اخي لفي شغل عن الحجاج قد ابتلى ببلاء في عقله قال لا ادري ما تقول لا بد من الذهاب به الساعة فدخل عليه العم فقال يا ابن اخي ان الحجاج قد بعث في طلبك افاحملك قال لا الا بين يديه فحمل في قيوده وغله على ظهور الرجال حتى ادخل على الحجاج فلما نظره من بعد جعل يرحب به حتى انتهى اليه فكشف قيده وغله وقال اصلح الله الامير ان آخر امري اعجب من اوله وحدثه بحديثه فعجب الحجاج وقال يا خالد اضعف للفتى ما كنا قد امرنا له فقبض المال اجمع وحسن حاله ولم يزل مسامرا للحجاج حتى مات انتهى وحضر اعرابي عند الحجاج فقدم الطعام فاكل الناس منه ثم قدمت الحلوى فترك الحجاج الاعرابي حتى اكل منها لقمة ثم قال من اكل من الحلوى ضربت عنقه فامتنع الناس من اكلها وبقي الاعرابي ينظر الى الحجاج مرة والى الحلوى مرة ثم قال ايها الامير اوصيك باولادي خيرا ثم اندفع يأكل فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه وامر له بصلة وحكى ان الحجاج امر صاحب حراسته ان يطوف بالليل فمن وجده بعد العشاء ضرب عنقه فطاف ليلة فوجد ثلاث صبيان يتمايلون وعليهم اثر الشراب فاحاط بهم وقال لهم

من انتم حتى خالفتم الامير فقال الاول

انا ابن من دانت الرقاب له	ما بين مخزومها وهاشمها
تأتي اليه الرقاب صاغرة	ياخذ من مالها ومن دمها

فامسك عن قتله وقال لعله من اقارب امير المؤمنين وقال الثاني

انا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره	وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس افواجا الى ضوء ناره	فمنهم قياما حولها وقعود

فامسك عن قتله وقال لعله من اشراف العرب وقال الثالث

وفوقهما بالسيف حتى استقامت		انا ابن الذى خاض الصفوف بعزمه
اذا الخيل فى يوم الكريهة ولت		وكاباه لاتنفك رجلاه منهما

فاسئلت عن قتله وقال لعله من شجعان العرب فلما اصبح رفع امرهم الى الحجاج فاحضرهم وكشف عن حالهم فاذا الاول ابن حجام والثانى ابن فوال والثالث ابن حائك فتعجب الحجاج من فصاحتهم وقال لجلسائه علموا اولادكم الادب فوالله لولا الفصاحة لضربت اعناقهم ثم اطلقهم وانشد

يغنيك محموده عن النسب		كن ابن من شئت واكتسب ادبا
ليس الفتى من يقول كان ابى		ان الفتى من يقول ها انا ذا

وقيل امر الحجاج بقتل اسرى فقتل منهم جماعة فقال رجل منهم وقد عرض للقتل يا حجاج ان كنا اسأنا فى الذنب فما احسنت فى العفو والله تعالى يقول فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فهذا قول الله فى الكفار فكيف بالمسلمين

وقد قال الشاعر

اذا اثقل الاعناق حمل القلائل		وما نقتل الاسرى ولكن نفكهم

فقال الحجاج اف لهؤلاء الجيف والله لو قال هؤلاء مثل ما قال هذا الرجل ما قتلت منهم احدا ولكن اطلقوا بقيتهم قال الراوى ولما ولى الحجاج العراق قال على بالمرأة الحرورية فلما حضرت قال لها كنت بالامس فى وقعة ابن الزبير تحرضين الناس على قتل رجالى ونهب اموالى قالت نعم قد كان ذلك يا حجاج فالتفت الحجاج الى وزرائه وقال ما ترون فى امرها فقالوا عجل بقتلها فضحكت المرأة فاغتاظ الحجاج وقال ما اضحكك قالت وزراء اخيك فرعون خير من وزرائك هؤلاء قال وكيف ذلك قالت لانه استشارهم فى موسى فقالوا ارجه واخاه اى انظره الى وقت آخر وهؤلاء يسئلونك بتعجيل قتلى فضحك الحجاج وامر لها بعطاء واطلقها وحكى ان هند بنت

النعمان كانت احسن نساء زمانها فوصف للحجاج حسنها فخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي الف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت معه الى بلد ابيها المعرة وكانت هند فصيحة اديبة فاقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة ثم ان الحجاج رحل بها الى العراق فاقامت معه ماشاء الله ثم دخل عليها في بعض الايام وهي تنظر في المرآة وتقول

وما هند الا مهرة عربية	سلالة افراس تحللها بغل
فان ولدت مهرا فلله درها	وان ولدت بغلا فجاء به البغل

فلما سمع الحجاج كلامها انصرف راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فاراد الحجاج طلاقها فانفذ اليها عبد الله بن طاهر وانفذ لها معه مائتي الف درهم وهي التي كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك ابو محمد الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا الف درهم التي كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر انا والله كنا فما حمدنا وبنا فما ندمنا وهذه المائتا الف درهم هي لك بشارتك بخلاصي من كلب ثقيف ثم بعد ذلك بلغ امير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فارسل اليها يخطبها لنفسه فارسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا امير المؤمنين ان الكلب ولغ في الاناء فلما قرا عبد الملك بن مروان الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب في اناء احدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب فغسل الاناء يحل الاستعمال فلما قرأت كتاب امير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت اليه تقول بعد الثناء عليه اعلم يا امير المؤمنين اني لا اجري العقد الا بشرط فان قلت ما الشرط اقول ان يقود الحجاج محملي من المعرة الى بلدك التي انت فيها ويكون ماشيا حافيا بحليته التي كان فيها اولا فلما قرأ ذلك الكتاب عبد الملك ضحك ضحكا شديدا وارسل الى الحجاج يأمره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة امير المؤمنين اجاب ولم يخالف وامتثل الامر وارسل الحجاج الى هند يأمرها بالتجهز فتجهزت وسار الحجاج في موكبه حتى وصل المعرة

بلد هند فركبت هند في محمل وركب حولها جواريها وخدمها فانزحل الحجاج وهو حاف واخذ بزمام البعير يقوده بسيرها فاخذت تهزأ عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت لدايتها يا دايتي اكشفي لي ستارة المحمل فشم رائحة النسيم نكشفته فوقع وجهها في وجهه فضحكت عليه فانشد يقول

فان تضحكي يا هند يا طول ليلة	تركتك فيها كالقباء المفرج

فاجابته تقول

وما بنا لي اذا ارواحنا سلمت	بما فقدناه من مال ومن نشب
فالمال مكتسب والعز مرتجع	اذ النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل تلعب وتضحك الى ان قربت من بلد الخليفة فلما قربت من البلد رمت من يدها دينارا على الارض وقالت يا جمال انه سقط منا درهم فادفعه الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم ير الا دينارا فقال انما هو دينار فقالت بل درهم قال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله دينارا فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها وكان من امرها ما كان اذكر في حياة الحيوان قال عون بن ابي شداد العبدي بلغني ان الحجاج بن يوسف لما ذكر له سعيد بن جبير ارسل قائدا من الشام يسمى المتلمس بن الاحوص ومعه عشرون رجلا فبينما هم يطلبونه اذا هم براهب في صومعة له فسألوه عنه فقال الراهب صفوه لي فوصفوه فدلهم عليه فانطلقوا فوجدوه ساجدا يناجي ربه بأعلى صوته فدنوا منه فسلموا عليه فرفع رأسه فاتم بقية صلوته ثم رد عليهم السلام فقالوا له ارسل الحجاج اليك فاجبه قال ولا بد من الاجابة قالوا لا بد فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قام فمشى معهم حتى انتهى الى دير الراهب فقال الراهب يا معشر الفرسان اصبتم صاحبكم قالوا نعم قال اصعدوا الى الدير فان الاسد واللبوة يأويان الدير فعجلوا الدخول قبل المساء ففعلوا ذلك وابى سعيد ان يدخل الدير فقالوا

ما اربك الا تريد الحرب قال لا ولكن لا ادخل منزل مشرك ابدا قالوا فانا لا نامن عليك من السباع تقتلك قال سعيد ان معی ربی يبصر فيها عنی ويجعلها حرسا لی من كل سوء ان شاء الله تعالى قالوا فانت نبی من الانبياء قال ما انا من الانبياء ولكن عبد من عبيد الله خاطئ مذنب قالوا احلف لنا انك لا تبرح فحلف لهم فقال لهم الراهب اصعدوا الدير واوتروا القسی لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح فانه كره الدخول علی فی الصومعة لمكانكم فدخلوا واوتروا القسي فاذا هم بلبوة قد اقبلت فلما دنت من سعيد تحككت به وتمسحت به ثم ربضت قريبا منه واقبل الاسد فصنع مثل ذلك فلما رأى الراهب ذلك واصبحوا نزل اليه وساله عن شرائع الاسلام وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ففسر سعيد ذلك كله فاسلم الراهب وحسن اسلامه واقبل القوم على سعيد يعتذرون اليه ويقبلون يديه ورجليه ويأخذون التراب الذی وطئه بالليل ويصلوا عليه وقالوا يا سعيد حلفنا للحجاج بالطلاق والعتاق ان نحن رايناك لا ندعك حتى نشخصك اليه فمرنا بما شئت قال امضوا لشأنكم فانه لابد من الرجوع لخالقی ولا راد لقضائه فساروا حتى وصلوا واسط فلما انتهوا قال لهم سعيد يا معشر القوم قد تحرمت بكم وصحبتكم ولست اشك ان اجلی قد حضر وان المدة قد انقضت فدعونی الليلة آخذ اهبة الموت واستعد لمنكر ونكير واذكر عذاب القبر وما يحثی علی من التراب فاذا اصبحتم فالميعاد بينی وبينكم المكان الذی تريدون فقالوا لبعضهم لا نريد اثرا بعد عين قال بعضهم قد بلغتم امنيتكم واستوجبتم جوائزكم من الامير فلا تعجزوا عنه فقال بعضهم هو علی ادفعه اليكم ان شاء الله فنظروا الى سعيد قد دمعت عيناه واغبر لونه ولم ياكل ولم يشرب ولم يضحك منذ لقوه فقالوا باجمعهم يا خير اهل الارض ليتنا لم نعرفك ولم نرسل اليك الويل لنا كيف ابتلينا ما عذرنا عند خالقنا يوم الحشر الاكبر والمجاوب له قال كفيله اسالك يا سعيد بالله الا ما زودتنا من دعائك وكلامك فانا لا نلقى مثلك ابدا فدعا لهم سعيد ثم خلوا سبيله فغسل راسه ومدرعته وكساءه وهم مختفون الليل كله

فلما انكشف عمود الصبح جاءهم سعيد بن جبير فقرع الباب فقالوا اصابكم ورب الكعبة فنزلوا اليه وبكوا معه طويلا ثم ذهبوا به الى الحجاج فدخل عليه المتلمس فسلم عليه وبشره بقدوم سعيد بن جبير فلما مثل بين يديه قال ما اسمك قال سعيد بن جبير قال انت شقي ابن كسير قال بل امي كانت اعلم باسمي منك قال شقيت انت وشقيت امك قال الغيب يعلمه غيرك قال لابدلنك بالدنيا نارا قال لو علمت ان ذلك بيدك لاتخذتك الها قال فما قولك في محمد قال نبي الرحمة قال فما قولك في علي افي الجنة ام في النار قال لو دخلتهما وعرفت اهلهما عرفت من فيهما قال فما قولك في الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فايهم احب اليك قال ارضاهم لخالقي قال فايهم ارضى للخالق قال علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم قال فما بالك لا تضحك قال ايضحك مخلوق خلق من الطين والطين تاكله النار قال فما بال الناس يضحك قال لم تستوا القلوب قال ثم امر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فوضعه بين يديه فقال سعيد ان كنت جمعت هذا لتفتدى به من فزع يوم القيمة فصالح والا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما ارضعت ولا خير في شئ جمع للدنيا الا ما طاب وزكا ثم دعا الحجاج بآلات اللهو فبكى سعيد فقال الحجاج ويلك يا سعيد اي قتلة تريد ان اقتلك قال اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلني قتلة الا قتلك الله مثلها في الآخرة قال افتريد ان اعفو عنك قال ان كان العفو من الله بلى واما انت فلا قال اذهبوا به فاقتلوه فلما خرج من الباب ضحك فاخبر الحجاج بذلك فامر برده وقال له ما اضحكك قال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عليك فامر بالنطع فبسط بين يديه وقال اقتلوه قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين قال وجهوه لغير القبلة قال سعيد فاينما تولوا فثم وجه الله قال كبوه لوجهه فقال سعيد منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فقال الحجاج اذبحوه فقال سعيد اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله اللهم لا تسلطه على احد يقتله بعدي فذبح

على النطع رحمه الله فكانت رأسه بعد قطعها تقول لا اله الا الله وعاش الحجاج بعدها خمسة عشر يوما وذلك فى سنة خمس وتسعين وكان عمر سعيد رضى الله عنه نحو اربعين سنة والله اعلم

خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان

كان يختم القرآن فى ثلاث وكان يختم فى رمضان سبع عشرة ختمة قال ابراهيم بن علية كان يعطينى اكياس الدنانير اقسمها فى الصالحين وكان يقول لولا ان الله عز وجل ذكر اللواط فى كتابه العزيز ما ظننت ان احدا يفعله قال الحافظ ابن عساكر كان الوليد عند اهل الشام من افضل خلفائهم بنى المسجد بدمشق وفرض للمجذومين ما يكفيهم وقال لا تسألوا الناس واعطى كل مقعد خادما وكل اعمى قائدا وذكر ان جملة ما انفق على بناء المسجد الاموى اربعمائة صندوق فى كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار وكان فيه ستمائة سلسلة ذهب للقناديل وما كمل بناءه الا اخوه سليمان لما ولى الخلافة وفعل خيرات كثيرة وآثارا حسنة وبعد هذا كله فقد روى ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال لما ادرج فى اكفانه غلت يداه الى عنقه نسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ونسأله حسن الخاتمة انتهى من حياة الحيوان

خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان

فمما يذكر من محاسنه ان رجلا دخل عليه فقال يا امير المؤمنين انشدك الله والاذان فقال سليمان اما انشدك الله فقد عرفناه فما الاذان قال قوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين فقال سليمان ما ظلامتك قال ضيعتى الفلانية غلبنى عليها عاملك فلان فنزل سليمان عن سريره ورفع البساط ووضع خده على الارض وقال والله لا رفعت خدى من الارض حتى يكتب له برد ضيعته فكتب الكتاب وهو واضع خده على الارض لما سمع كلام ربه الذى خلقه وخوله فى نعمه خشى من لعن الله وطرده رحمه الله قيل انه اطلق من سجن الحجاج ثلثمائة

الف نفس ما بين رجل وامرأة وصادر آل الحجاج واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز
وزيرا ومشيرا وكان شرها فی الاكل نكاحا قال ابن خلكان فی ترجمته انه كان
يأكل كل يوم نحو مائة رطل شامی قال محمد بن سيرين رحمه الله سليمان افتتح خلافته
بخير وختمها بخير افتتحها باقامة الصلاة لمواقيتها الاولی وختمها باستخلافه لعمر بن
عبد العزيز رضی الله عنه وقال ابو سويد حدثنی ابو زيد الاسدی قال دخلت
علی سليمان بن عبد الملك وهو جالس فی ايوان مباطٍ بالرخام الاحمر مفروش بالديباج
الاخضر فی وسط بستان ملتف قد اثمر واينع وعلی رأسه وصائف كل واحدة منهن
احسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح
علی الاشجار وتمايلت فقلت السلام عليك ايها الامير ورحمة الله وبركاته وكان
مطرقا فرفع رأسه وقال يا ابا زيد فی مثل هذا الحين تصالحنا فقلت اصلح الله
الامير اوقامت القيامة قال نعم علی اهل المحبة ثم اطرق مليا ورفع رأسه وقال يا ابا زيد
ما يطيب فی يومنا هذا قلت اعز الله الامير قهوة حمراء فی زجاجة بيضاء تناولها
غادة هيفاء ملفوفة لفاء اشربها من كفها وامسح فی بعدها فاطرق سليمان مليا
لا يرد جوابا تتحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأين الوصائف ذلك تنحين عنه
ثم رفع رأسه فقال يا ابا زيد حضرت فی يوم انقضاء اجلك ومنتهی مدتك وتصرم
عمرك والله لاضربن عنقك او لتخبرنی ما اثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم
ايها الامير كنت جالسا علی باب اخيك سعيد بن عبد الملك فاذا انا بجارية قد خرجت
من باب القصر كانها غزال انفلتت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندرانی
يبين منها بياض ثدييها وتدوير سرتها وتقبض نكتها وفی رجليها نعلان صفراوان قد
اشرق بياض قدميها علی حمرة نعليها بذوابتين تضرب حقويها ولها اصداغ كانها
نونان وحاجبان قد تقوسا علی محاجر عينيها وعينان مملوءتان سحرا وانف كانه
قصبة بلور وثم كانه جرح يقطر دما وهی تقول عباد الله من لی بدواء من لا يسلی
وعلاج من لا يسمی طال الحجاب وابطأ الجواب فالقلب طائر والعقل عازب والنفس

والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة والى العزاء سبيل لكان امرا جميلا ثم اطرقت مليا ورفعت راسها فقلت ايتها الجارية انسية انت ام جنية سماوية اما ارضية فقد اعجبني ذكاء عقلك واذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كانها لم ترني ثم قالت اعذرايها المتكلم فما اوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله اصلح الله الامير ما اكلت طيبا الا غصصت به لذكرها وما رايت حسنا الا سمج في عيني لحسنها فقال سليمان يا ابا زيد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني لتحيو ما سمعت اعلم يا ابا زيد ان تلك الجارية التي رايتها هي الذلفاء التي قيل فيها

كانما الذلفاء ياقوتة ◦ اخرجت من كيس دهقان

شراؤها على اخي الف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله ان مات انما يموت بحبها ولا يدخل القبر الا بغصها وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت هيبة قم يا ابا زيد في دعة الله يا غلام ثقلها ببدرة فاخذتها وانصرفت قال فلما افضت الخلافة له صارت اليه الذلفاء فامر بفسطاط فاخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها انواع الزهر من اصفر فاقع واحمر ساطع وابيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان كان به يانس واليه يسكن فامره ان يضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المتنزه فلم يزل في اكل وشرب وسرور الى ان انصرف شيء من الليل فذهب الى فسطاطه وذهب سنان ايضا فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قرى اصلحك الله قال وما قراكم قالوا اكل وشرب وسماع قال اما الاكل والشرب فمباحان لكم واما السماع فقد عرفتم غيرة امير المؤمنين ونهيه الا ما كان في مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا اغنيكم وقال غننا بصوت كذا وكذا قال فشرع يتغنى بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتي فارقها | من آخر الليل لما نبه السحر
في ليلة البدر ما يدري مضاجعها | اوجهها عنده ام عنده القمر
لم يحجب الصوت احراس ولا غلق | ندمعها الطرف الصوت يخدره
لو مكنت لمشت نحوي على قدم | وكاد من لينها للمشي ينفطر

قال فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط فجعلت لا تسمع شيئاً من حسن خلق ولطافة الالات ذلك كله في نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة فقال ماهذا يا ذلفاء فقالت

الا رب شخص رائع ومشوّه | تهيج المحيا واصح الاب والجدّ
يروحك منه صوته ولعله | الى امة يعزى معا والى العبد

فقال سليمان دعيني من هذا المحال فوالله لقد خامر قلبك منه يا غلام علىّ بسنان فدعت الذلفاء خادما لها وقالت له ان سبقت رسول امير المؤمنين الى سنان فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وانت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول امير المؤمنين فلما اتى به قال يا سنان الم انهك عن مثل هذا قال يا امير المؤمنين حملني الشمول وانا عبد امير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى امير المؤمنين ان يعفو عني فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن اما علمت الفرس اذا صهل تودقت له الحجرة وان الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل اذا تغنى صغت اليه المرأة واياك والعود الى ما كان منك فيطول غمك انتهى وقيل كان في ايام سليمان رجل يقال له خزيمة بن بشر من بني اسد كانت له مروة ظاهرة ونعمة حسنة وفضل وبر بالاخوان فلم يزل على تلك الحالة حتى تعد به الدهر فاحتاج الى اخوانه الذين كان يتفضل عليهم وكان يواسيهم فواسوه حينا ثم ملوه فلما لاح له تغيرهم اتى امرأته وكانت ابنة عمه فقال لها يا ابنة عمي قد رأيت من اخواني تغيرا وقد عزمت على ان الزم بيتي الى

ان يأتيني الموت فاغلق بابه واقام يتقوت بما عنده حتى نفد وبقي حائرا
وكان يعرفه عكرمة الفياض الربعي متولي الجزيرة فبينما هو في مجلسه اذ ذكر خزيمة
ابن بشر فقال عكرمة للفياض ما حاله فقالوا قد صار الى امر لا يوصف وانه اغلق
بابه ولزم بيته وانما سمي بذلك لاجل كرمه فما وجد خزيمة بن بشر مواسيا
ولا مكافئا فقال لو الا فامسك عن الكلام ثم لما كان الليل عمد الى اربعة آلاف
دينار فجعلها في كيس واحد ثم امر باسراج دابته وخرج سرا من اهله فركب
ومعه غلام من غلمانه يحمل المال ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فاخذ الكيس
من الغلام ثم ابعده عنه وتقدم الى الباب فدفعه بنفسه فخرج اليه خزيمة
فناوله الكيس وقال اصلح بهذا شأنك فتناوله فرآه ثقيلا فوضعه عن يده ثم
امسك بلجام الدابة وقال له من انت جعلت فداك فقال له عكرمة يا هذا ما جئتك
في هذا الوقت والساعة واريد ان تعرفني قال فما اقبله الا ان عرفتني من انت
فقال انا جابر عثرات الكرام قال زدني قال لا ثم مضى ودخل خزيمة بالكيس الى
ابنة عمه فقال لها ابشري فقد اتى الله بالفرج والخير ولو كانت فلوسا فهي كثيرة
قومي فاسرجي قالت لا سبيل الى السراج فبات يلمسها بيده فيجد خشونة الدنانير
ولا يصدق واما عكرمة فانه رجع الى منزله فوجد امرأته فقدته وسألت عنه
فاخبرت بركوبه فانكرت ذلك وارتابت وقالت له والي الجزيرة يخرج بعد هدو
من الليل منفردا من غلمانه في سر من اهله الا الى زوجة او سرية فقال اعلمي اني
ما خرجت في واحدة منهما قالت فخبرني فيم خرجت قال يا هذه ما خرجت في هذا
الوقت وانا اريد ان يعلم بي احد قالت لا بد ان تخبرني قال فتكتميه اذن قالت فاني
افعل فاخبرها بالقصة على وجهها وما كان من قوله ورده عليه ثم قال اتحبين ان
احلف لك ايضا قالت لا فان قلبي قد سكن وركن الى ما ذكرت واما خزيمة لما
اصبح صالح الغرماء واصلح ما كان من حاله ثم انه تجهز يريد سليمان بن عبد الملك
وكان نازلا يومئذ بفلسطين فلما وقف ببابه واستأذن دخل الحاجب فاخبره

بمكانه وكان مشهورا بمروته وكرمه وكان سليمان به عارفا فاذن له فلما دخل سلم
عليه بالخلافة فقال له سليمان بن عبد الملك يا خزيمة ما ابطاك عنا قال سوء الحال
قال فما منعك من النهضة الينا قال ضعفي يا امير المؤمنين قال فبم نهضت الينا الآن
قال لم اعلم يا امير المؤمنين الا اني بعد هدء من الليل لم اشعر الا ورجل يطرق
الباب وكان من امره كيت وكيت واخبره بقصته من اولها الى آخرها فقال سليمان
هل تعرف الرجل فقال خزيمة ما عرفته يا امير المؤمنين وذلك انه كان متنكرا وما
سمعت من لفظه الا اني جابر عثرات الكرام قال فتلهب وتلهف سليمان بن عبد
الملك على معرفته وقال لو عرفناه لكافاناه على مروته ثم قال علي بقناه فاتى بها
فعقد لخزيمة بن بشر المذكور على الجزيرة عاملا عوضا عن عكرمة الفياض فخرج
خزيمة طالب الجزيرة فلما قرب منها خرج عكرمة واهل البلد للقائه فسلما على
بعضهما بعضا ثم سارا جميعا الى ان دخلا البلد فنزل خزيمة في دار الامارة و
امر ان يؤخذ لعكرمة كفيل وان يحاسب فحوسب فوجد عليه فضول اموال كثيرة
فطالبه باداتها قال ما لي الى شيء من سبيل قال لا بد منها قال ليست عندي
فاصنع ما انت صانع فامر به الى الحبس ثم انفذ اليه من يطالبه فارسل يقول
اني لست ممن يصون ماله بعرضه فاصنع ما شئت فامر ان يكبل بالحديد فاقام
شهرا كذلك او اكثر فاضناه ذلك فاضر به وبلغ ابنة عمه خبره فجزعت واغتمت
لذلك ثم دعت مولاة لها وكانت ذا عقل ومعرفة وقالت لها امضي الساعة الى
باب هذا الامير خزيمة بن بشر وقولي عندي نصيحة فاذا طلبت منك فقولي
لا اقولها الا للامير خزيمة بن بشر فاذا دخلت عليه فسليه ان يخليك فاذا فعل ذلك
فقولي له ما كان هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك كافاته بالحبس والضيق و
الحديد ففعلت الجارية ذلك فلما سمع خزيمة كلامها نادى برفيع صوته واسوأتاه
وانه لهو قالت نعم فامر لوقته بدابته فاسرجت وبعث الى وجوه اهل البلد فجمعهم
اليه واتى بهم الى باب الحبس ففتح ودخل خزيمة ومن معه فرآه قاعدا في قاعة الحبس

تتغير اضناه الضر والالم وثقل القيود والاغلال فلما نظر اليه عكرمة والى الناس احشمه ذلك فنكس رأسه فاقبل خزيمة حتى اكب على رأسه فقبلها فرفع عكرمة اليه رأسه وقال ما اعقب هذا منك قال كريم فعالك وسوء مكافاتي قال يغفر الله لنا ولك ثم اتى بالحداد نفك القيود عنه وامر خزيمة ان توضع القيود في رجل نفسه فقال عكرمة ماذا تريد فقال اريد ان ينالني من الضر مثل ما نالك فقال اقسم عليك بالله لا تفعل فخرجا جميعا حتى وصلا الى دار خزيمة فودعه عكرمة واراد الانصراف عنه فقال ما انت ببارح قال وما تريد قال اغير حالك وان حيائي من ابنة عمك اشد حياء منك ثم امر بالحمام فاخلي ودخلاه معا فقام خزيمة وتولى امره وخدمه بنفسه ثم خرجا فخلع عليه وحمله وحمل معه مالا كثيرا ثم سار معه الى داره واستأذنه في الاعتذار الى ابنة عمه فاعتذر اليها وتذمم من ذلك قال ثم سأله بعد ذلك ان يسير معه الى سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ مقيم بالرملة فانعم له بذلك وسارا جميعا حتى قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب فاعلمه بقدوم خزيمة بن بشر فراعه ذلك وقال والي الجزيرة يقدم بغير امرنا ما هذا الا لحادث عظيم فلما دخل قال له قبل ان يسلم ما وراءك يا خزيمة قال الخير يا امير المؤمنين قال فما الذي اقدمك قال ظفرت بجابر عثرات الكرام فاحببت ان اسرك به لما رأيت من تلهفك وتشوقك الى رؤيته قال ومن هو قال عكرمة الفياض قال فأذن له بالدخول فدخل وسلم عليه بالخلافة فرحب به وادناه من مجلسه وقال يا عكرمة ما كان خيرك له الا وبالا عليك ثم قال سليمان اكتب حوائجك كلها وما تحتاج اليه في رقعة ففعل ذلك فامر بقضائها من ساعته وامر له بعشرة الآف دينار وسفطين ثيابا ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وارمينية واذربيجان وقال له امر خزيمة اليك ان شئت ان تبقيه وان شئت عزلته قال بل رده الى عمله يا امير المؤمنين ثم انصرفا من عنده جميعا ولم يزالا عاملين لسليمان مدة خلافته والله اعلم

خلافة امیر المؤمنین عمر بن عبد العزیز رضی اللہ عنہ

امہ ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضی اللہ عنہ فھو تابعی جلیل قال الامام احمد بن حنبل لیس احد من التابعین قولہ حجۃ الا عمر بن عبد العزیز کان رضی اللہ عنہ عفیفا زاھدا ناسکا عابدا مومنا تقیا صادقا ازال ما کانت بنو امیۃ تذکر بہ رضی اللہ عنہ علی المنابر وجعل مکان ذلک قولہ تعالی ان اللہ یأمر بالعدل والاحسان الآیۃ ولما ولی الخلافۃ رضی اللہ عنہ وفد الشعراء الیہ واقاموا ببابہ ایاما لا یؤذن لھم فبینما ھم کذلک اذ مر بھم رجاء بن حیوۃ وکان جلیس عمر فلما رآہ جریر داخلا قام الیہ وانشد یقول ھذہ الابیات

یا ایھا الرجل المرخی عمامتہ ۔۔۔ ھذا زمانک فاستأذن لنا عمرا

فدخل ولم یذکر شیئا من امرھم ثم مر بھم عدی ابن ارطاۃ فقال جریر ابیاتا آخرھا قولہ

لا تنس حاجتنا لقیت مغفرۃ ۔۔۔ قد طال مکثی عن اھلی وعن وطنی

قال فدخل عدی علی عمر وقال یا امیر المؤمنین الشعراء ببابک وسھامھم مسمومۃ واقوالھم نافذۃ فقال ویحک یا عدی مالی والشعراء قال اعز اللہ امیر المؤمنین ان رسول اللہ قد امتدح واعطی ولک فی رسول اللہ اسوۃ حسنۃ قال کیف قال امتدحہ العباس بن مرداس السلمی فاعطاہ حلۃ قطع بھا کلامہ قال او تروی من قولہ قال نعم وانشد یقول

رایتک یا خیر البریۃ کلھا ۔۔۔ نشرت کتابا جاء بالحق معلما

شرعت لنا دین الھدی بعد جورنا ۔۔۔ عن الحق لما اصبح الحق مظلما

ونورت بالبرھان امرا مدنسا ۔۔۔ واطفأت بالاسلام نارا تضرما

فمن مبلغ عنی النبی محمدا ۔۔۔ وکل امرئ یجزی بما کان قدما

اقمت سبیل الحق بعد اعوجاجہ ۔۔۔ وقد کان قدما رکنہ قد تھدما

فقال ویلک یا عدی من بالباب منھم قال عمر بن ربیعۃ قال الیس ھو الذی

يقول شعرا

ثم نبهتها فمدت كعابا طفلة ما تبين رجع الكلام

ساعة ثم انها لي قالت ويلتي قد عجلت يا ابن الكرام

فلو كان عدو الله اذ فجر كتم على نفسه لكان استر له لا يدخل على والله

ابدا من بالباب سواه قال الفرزدق قال اوليس هو الذي يقول

هما دلتاني من ثمانين قامة كما انقض باز أكتم الرأس كاسره

فلما استوت رجلاي في الارض قالتا احي فيرجى ام قتيل نحاذره

لا يدخل على والله ابدا من سواه منهم قال الاخطل قال يا عدي هو

الذي قال

ولست بصائم رمضان طوعا ولست بآكل لحم الاضاحي

ولست بزاجر عيسى بكورا الى بطحاء مكة للنجاح

ولست بقائم كالعود ادعوا قبيل الصبح حي على الفلاح

ولكني ساشربها شمولا واسجد عند مبتلج الصباح

والله لا يدخل على ابدا وهو كافر فمن بالباب سوى من ذكرت قال الاحوص

قال هو الذي يقول

الله بيني وبين سيدها يفر بها عني واتبعه

فمن بالباب دون من ذكرت ايضا قال جميل بن معمر قال اوليس هو الذي يقول

فيا ليتنا نحيا جميعا وان امت يوافق موتي موتها وضريحها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحا لكان اصلح

والله لا يدخل على ابدا فهل احد سوى من ذكرت قال جرير قال اوليس

هو الذي يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام

فان كان ولا بد هو الذي يدخل فلما مثل بين يديه قال يا جرير اتق الله

ولا تقل الا حقا فانشد قصيدته الرائية المشهورة التي منها هذه الابيات

انا لنرجو اذا ما الغيث اخلفنا   من الخليفة ما نرجو من المطر

جاء الخلافة او كانت له قدرا   كما اتى ربه موسى على قدر

هذي الارامل قد قضيت حاجتها   فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

الخير ما دمت حيا لا يفارقنا   بوركت يا عمر الخيرات من عمر

فقال يا جرير لا ارى لك فيما ها هنا حقا قال بلى يا امير المومنين انا ابن سبيل منقطع فاعطاه من طيب ماله مائة درهم وقال ويحك يا جرير لقد ولينا هذا الامر ولم نملك الا ثلثمائة درهم فمائة اخذها عبد الله ومائة اخذتها ام عبد الله يا غلام اعطه المائة الاخرى فاخذها جرير وقال والله لهي احب الي مما اكتسبته في عمري ثم خرج فقال له الشعراء ما وراءك يا جرير فقال ما يسوئكم خرجت من عند خليفة يعطي الفقراء ويمنع الشعراء واني عنه لراض وانشد يقول

رايت رقى الشيطان لا يستفزه   وقد كان شيطاني من الجن راقيا

خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان

قال ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني قال يونس الكاتب خرجت الى الشام في خلافة هشام بن عبد الملك ومعي جارية غانية وكنت علمتها جميع ما تحتاج اليه وانا اقدر فيها انها تساوي مائة الف درهم قال فلما اقتربنا من الشام نزلت القافلة على غدير من الماء ونزلت ناحية منه واصبت من طعام كان معي واخرجت ركوة كان فيها نبيذ فبينما انا كذلك واذا بفتى حسن الوجه والهيئة على فرس اشقر ومعه خادمان فسلم علي وقال اتقبل ضيفا قلت نعم فاخذت بركابه ونزل وقال اسقنا من شرابك فسقيته فقال ان شئت ان تغني صوتا فغنيته

حازت من الحسن ما لا حازه البشر   فلذ لي في هواها الدمع والسهر

فطرب طربا شديدا واستعاده مرارا ثم قال قل لجاريتك فلتغن فامرتها فغنت

جوهرة حار قلبي في محاسنها   فلا قضيب ولا شمس ولا قمر

فطرب طربا شديدا واستعاده مرارا ولم يزل مقيما الى ان صلينا العشاء ثم قال ما اقدمك علينا هذا البلد قلت اردت بيع جاريتي هذه فكم املت فيها من الثمن قلت ما اقضي به ديني واصلح به حالي قال ثلاثون الفا قلت ما احوجني الى فضل الله والمزيد فيه قال ايقنعك اربعون الفا قلت فيها اقضاء ديني وابقى صفر اليد قال قد اخذناها بخمسين الفا من الدراهم ولك بعد ذلك كسوة ونفقة طريقك واشركك في حالي ابدا ما بقيت فقلت قد بعتكها قال افتثق بي ان اوصل ذلك غدا اليك واحملها معي او تكون عندك الى ان احمل ذلك اليك غدا فحملني السكر والحياء مع الخشية منه على ان قلت نعم قد وثقت بك فخذها بارك الله لك فيها فقال لاحد غلاميه احملها على دابتك وارتدف وراءها وامض بها ثم ركب فرسه وودعني وانصرف فما هو الا ان غاب عني ساعة فعرفت موضع خطائي وغلطي وقلت ماذا صنعت بنفسي اسلم جاريتي الى رجل لا اعرفه ولا ادري من هو وهب اني عرفته فمن اين الصلة اليه فجلست متفكرا الى ان صليت الصبح ودخلوا اصحابي دمشق وجلست حائرا لا ادري ما اصنع وقرعتني الشمس وكرهت المقام فهممت بالدخول الى دمشق ثم قلت لم آمن ان الرسول يأتي فلا يجدني فاكون قد جنيت على نفسي جناية ثانية فجلست في ظل جدار هناك فلما اضحى النهار واذا احد الغلامين اللذين كانا معه قد اقبل علي فما اذكر اني سررت بشيء اعظم من سروري ذلك الوقت بالنظر اليه فقال لي يا سيدي ابطأنا عليك فلم اذكر له شيئا مما كان بي ثم قال لي تعرف الرجل قلت لا قال هو الوليد بن هشام ولي العهد فسكت عند ذلك ثم قال قم فاركب واذا معه دابة فركبتها وسرنا الى ان وصلنا الى داره فدخلت اليه واذا بالجارية قد وثبت وسلمت علي فقلت ما كان من امرك قالت انزلني هذه الحجرة وامر لي بما احتاج اليه فجلست عندها ساعة واذا انا قد اتاني خادم له فقال لي قم فقمت فادخلني على سيده فاذا هو صاحبي بالامس وهو جالس على سريره فقال من تكون فقلت يونس الكاتب قال مرحبا بك قد كنت والله اليك

بضنين وكنت اسمع بخبرك فكيف كان مبيتك فى ليلتك قلت بخير اعزك الله قال فلعلك ندمت على ما كان منك البارحة وقلت دفعت جاريتي الى رجل لا اعرفه ولا اعرف اسمه ولا من اى البلاد هو فقلت معاذ الله ايها الامير ان اندم ولو اهديتها الى الامير كانت اقل واخس وما قدر هذه الجارية فقال والله ولكنى ندمت على اخذها منك وقلت رجل غريب لا يعرفنى وقد دهمته وسفهت عليه فى استعجالى لاخذ الجارية افتذكر ما كان بيننا قلت نعم قال بعتنى هذه الجارية بخمسين الف درهم قلت نعم قال هات يا غلام المال فوضعوه بين يديه فقال هات يا غلام الف دينار فاتى بها ثم قال يا غلام هات خمسمائة دينار اخرى فجاء بها ثم قال هذا ثمن جاريتك فضمه اليك وهذه الف دينار لحسن ظنك بنا وهذه الخمسمائة دينار لنفقة طريقك ومما تبتاعه لاهلك رضيت قلت رضيت وقبلت يده وقلت والله قد ملأت عينى ويدى ثم قال والله انى لم ادخل بها ولا شبعت من غنائها على بها فجاءت فامرها بالجلوس فجلست فقال لها غنى فانشدت تقول شعرا

ايا من حاز كل الحسن طرا	ويا حلو الشمايل والدلال
جميع الحسن فى عجم وعرب	وما فى الكل مثلك يا غزالى
فاعطف يا مليح على محب	بوعدك او بطيف من خيال
حلا لى فيك ذلى وافتضاحى	وطاب لمقلتى سهر الليالى
وما انا فيك اول مستهام	فكم قبلى قتلت من الرجال
رضيتك لى من الدنيا نصيبا	وانت اعز من روحى ومالى

فطرب طربا شديدا وشكر حسن تاديبى لها وتعليمى اياها ثم قال يا غلام قدم له دابة بسرجها وآلتها لركوبه وبغلا لحمل حوائجه وثقله ثم قال يا يونس اذا بلغك ان هذا الامر قد افضى الى فالحق بى فوالله لاملأن لك يدك ولاعلين قدرك ولاغنينك ما بقيت قال فاخذت المال وانصرفت فلما افضت الخلافة اليه سرت اليه فوفى والله بوعده وزاد فى اكرامى وكنت معه على اسر حال واسنى منزلة وقد اتسعت احوالى

وكثرت اموالی وصار لی من الضیاع والاملاك ما یکفینی الی مماتی ویکفی من بعدی ولم ازل معہ حتی قتل عفا اللہ عنہ وقیل انہ لما حج ھشام فی ایام ابیہ طاف بالبیت و جھد ان یصل الی الحجر الاسود لیستلمہ فلم یقدر علیہ لکثرۃ الزحام فنصب لہ منبر وجلس علیہ ینظر الی الناس ومعہ جماعۃ من اھل الشام فبینما ھو کذلك اذا قبل زین العابدین علی بن الحسین علی بن ابیطالب رضی اللہ عنھم اجمعین وکان من احسن الناس وجھا واطیبھم ارجا فطاف بالبیت فلما انتھی الی الحجر الاسود تنحی لہ الناس حتی استلم فقال رجل من اھل الشام من ھذا الذی قد ھابہ الناس ھذہ الھیبۃ فقال ھشام لا اعرفہ مخافۃ ان یرغب فیہ اھل الشام وکان ابو فراس الفرزدق حاضرا فقال انا اعرفہ فقال الشامی من ھذا یا ابا فراس فقال

ھذا الذی تعرف البطحاء وطاتہ	والبیت یعرفہ والحل والحرام
ھذا ابن خیر عباد اللہ کلھم	ھذا التقی النقی الطاھر العلم
اذا راتہ قریش قال قائلھا	الی مکارم ھذا ینتھی الکرم
ینمی الی ذروۃ العز التی قصرت	عن نیلھا عرب الاسلام والعجم
یکاد یمسکہ عرفان راحتہ	رکن الحطیم اذا ما جاء یستلم
فی کفہ خیزران ریحہ عبق	من کف اروع فی عرنینہ شمم
یغضی حیاء ویغضی من مھابتہ	فما یکلم الا حین یبتسم
ینشق نور الھدی من نور غرتہ	کالشمس ینجاب عن اشراقھا القتم
مشتقۃ من رسول اللہ نبعتہ	طابت عناصرہ والخیم والشیم
ھذا ابن فاطمۃ ان کنت جاھلہ	بجدہ انبیاء اللہ قد ختموا
اللہ شرفہ قدما وعظمہ	جری بذاك لہ فی لوحہ القلم
ولیس قولك من ھذا بضائرہ	العرب تعرف من انکرت والعجم
کلتا یدیہ غیاث عم نفعھما	یستوکفان ولا یعروھما عدم
سھل الخلیقۃ لا تخشی بوادرہ	یزینہ اثنان حسن الخلق والشیم

حمال اثقال اقوام اذا افترحوا حلو الشمائل يحلو عنده نعم

ما قال لا قط الا في تشهده لولا التشهد كانت لاءه نعم

عم البرية بالاحسان فانقشعت عنها الغياهب والاملاق والعدم

من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم

ان عد اهل التقى كانوا ائمتهم او قيل من خير اهل الارض قيل هم

لا يستطيع جواد بعد غايتهم ولا يدانيهم قوم وان كرموا

هم الغيوث اذا ما ازمة ازمت والاسد اسد الشرى والباس محتدم

لا ينقص العسر بسطا من اكفهم سيان ذلك ان اثروا وان عدموا

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم في كل بدء ومختوم به الكلم

يأبى لهم ان يحل الذم ساحتهم خلق كريم وايد بالندى هضموا

اي الخلائق ليست في رقابهم لاولية هذا اوله نعم

من يعرف الله يعرف اولية ذا فالدين من بيت هذا ناله الامم

فلما سمع هشام ذلك غضب وحبس الفرزدق فانفذ له زين العابدين رضي الله عنه اثني عشر الف درهم فردها وقال مدحته لله لا للعطاء والصلات فقال زين العابدين انا اهل بيت اذا وهبنا شيئا لا نعد فيه فقبلها الفرزدق اه

ومما يحكى ان هشام بن عبد الملك كان ذات يوم في صيده وقنصه اذ نظر الى ظبي تتبعه الكلاب فتبعه واحالته الحاجة الى اعرابي يرعى غنما فقال هشام يا صبي دونك هذا الظبي فأتني به فرفع الصبي رأسه اليه وقال له يا جاهل بقدر الاخيار لقد نظرت الي باستصغار وكلمتني باحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار فقال هشام يا صبي ويلك ما تعرفني فقال قد عرفني بك سوء ادبك اذ بدأتني بكلامك قبل سلامك فقال له ويلك انا هشام بن عبد الملك فقال له الاعرابي لا قرب الله دارك ولا حيا مزارك ما اكثر كلامك واقل اكرامك فما استتم حتى احدقت به الجيوش من كل جانب كل منهم يقول السلام عليك يا امير المؤمنين فقال هشام اقصروا الكلام واحفظوا الغلام فقبضوا

عليه ورجع هشام الى قصره وجلس فى مجلسه وقال على الغلام البدوى فاتى به
فلما رأى الغلام كثرة الغلمان والحجاب والوزراء والكتاب وابناء الدولة وارباب الصولة
لم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقنه على صدره وجعل ينظر حيث تقع قدماه
الى ان وصل الى هشام فوقف بين يديه ونكس راسه الى الارض وسكت الغلام وامتنع
من الكلام فقال بعض الخدام يا كلب العرب ما منعك ان تسلم على امير المؤمنين فالتفت
اليه مغضبا وقال يا بردعة الحمار منعنى من ذلك طول الطريق ونهز الدرجة والتعويق
فقال هشام وقد تزايد به الغضب يا صبى قد حضرت فى يوم حضر فيه اجلك وخاب
فيه املك وانصرم فيه عمرك فقال له الصبى والله يا هشام لئن كان فى المدة تأخير
ما ضرنى من كلامك قليل ولا كثير فقال له الحاجب بلغ من امرك ومحلك يا اخس
العرب ان تخاطب امير المؤمنين كلمة بكلمة فقال له سرعا لقيك الخذل ولا مك
الويل والهبل ما سمعت ما قال الله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها
فاذا كان الله يجادل جدلا فمن هشام حتى لا يخاطب خطابا فعند ذلك قام هشام
واغتاظ غيظا شديدا وقال يا سياف علىّ برأس هذا الغلام فقد اكثر الكلام فيما
لا يخطر على الاوهام فقام السياف واخذ الغلام وبرك فى نطع الدم وسل سيف
النقمة على راسه وقال يا امير المؤمنين عبدك المدل بنفسه المنقلب فى رمسه اضرب
عنقه وانا برئ من دمه قال نعم فاستأذنه فاذن له ثم استأذنه ثالثة فهم ان يأذن له
فضحك الصبى حتى بدت نواجذه فازداد هشام منه تعجبا وقال يا صبى اظنك معتوها
ترى انك مفارق الدنيا ومزايل الحياة وانت تضحك هزوا بنفسك فقال يا امير المؤمنين
لئن كان فى المدة تأخير ولم يكن فى الاجل تقصير ما ضرنى منك قليل ولا كثير ولكن
ابياتا حضرت الساعة فاسمعها فقتلى لا يفوت فاكثر الصموت فقال هشام هات
واوجز فهذا اول اوقاتك من الآخرة وآخر اوقاتك من الدنيا فانشأ يقول هذه الابيات

نبئت ان الباز علق مرة	عصفور بر ساقه المقدور
فتعلق العصفور فى اظفاره	والباز منهمك عليه يطير

فاتی لسان الحال یخبر قائلا ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ها قد ظفرت وانی ماسور

مثلی فما یغنی لمثلک جوعة ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ولئن اکلت فاننی محقور

فتبسم الباز المدل بنفسه ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ طربا واطلق ذلک العصفور

قال فتبسم هشام وقال قرابتی من رسول الله صلی الله علیه وسلم لو تلفظ بهذا من اول وقت من اوقاته وطلب مادون الخلافة لاعطیته یاخادم احش فاه درا وجوهرا واحسن جائزته ودعه یمضی الی حال سبیله وقیل وفد عروة بن اذینة علی هشام بن عبد الملک فشکا الیه فقره فقال الست القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقی ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ان الذی هو رزقی سیاتینی

اسعی الیه فیعیینی تطلبه ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ وان قعدت اتانی لیس یعیینی

وخرجت الآن من الحجاز الی الشام فی طلب الرزق فقال یا امیر المؤمنین وعظت فابلغت وخرج فرکب ناقته وکر الی الحجاز راجعا فلما کان اللیل نام هشام علی فراشه فذکر عروة فقال رجل من قریش قال حکمة ووفد علی فرددته خائبا فلما اصبح وجه الیه بالفی دینار فقرع علیه الرسول باب داره بالمدینة فاعطاه المال فقال ابلغ عنی امیر المؤمنین السلام وقل له کیف رایت قولی سعیت فاکدیت فرجعت خائبا فجلست فی داری فاتانی رزقی فی منزلی انتهی

ابتداء دولة العباسیة

کان القائم بهذه الدولة ابو مسلم الخراسانی وکان اسمه عبد الرحمن بن مسلم فمن قوله هذه الابیات

ادرکت بالحزم والکتمان ماعجزت ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ عنه ملوک بنی مروان اذ حشدوا

مازلت اسعی بجهدی فی دمارهم ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ والقوم فی غفلة والناس قد رقدوا

حتی ضربتهم بالسیف فانتبهوا ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ من نومة لم ینمها قبلهم احد

ومن رعی غنما فی ارض مسبعة ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ونام عنها تولی رعیها الاسد

اولهم ابو عبد الله السفاح

ذکر ابن الجوزی فی کتاب الاذکیاء عن خالد بن صفوان انه دخل یوما علی ابی العباس

السفاح وليس عنده احد فقال يا امير المؤمنين انى والله ما زلت منذ قلدك الله خلافته اطلب ان اصير معك بمثل هذا الموقف فى الخلوة فان رأى امير المؤمنين ان يأمر بامساك الباب فعل حتى نفرغ فامر الحاجب بذلك فقال يا امير المؤمنين انى فكرت فى امرك واستجليت الفكر فيك فلم ار احداً له قدرة واتساع فى الاستمتاع بالنساء ولا اضيق فيهن عيشا منك انك ملكت نفسك امرأة من نساء العالمين فاقتصرت عليها فان مرضت مرضت وان غابت غبت وان عزلت عزلت وحرمت يا امير المؤمنين على نفسك التلذذ بما تشتهى منهن فان منهن الطويلة التى تشتهى لحسنها والبيضاء التى تحب لونها والسمراء اللعساء والصفراء الذهبية ومولدات المدينة والطائف واليمامة ذوات الالسنة العذبة والجواب الحاضر وبنات سائر الملوك وما يشتهى من نضارتهن ونظافتهن وتخلل خالد لسانه فاطنب فى صفات ضروب الجوارى وشوقه اليهن فلما فرغ من كلامه قال له السفاح ويحك ملأت مسامعى ما اشغل خاطرى والله ما سلك مسامعى كلام احسن من هذا فاعد على كلامك فقد وقع منى موقعا فاعاد عليه خالد كلامه باحسن مما ابتدأ به ثم قال له انصرف فانصرف وبقى ابو العباس مفكرا فدخلت عليه ام سلمة زوجته وكان قد حلف لها انه لا يتزوج عليها ولا يتخذ عليها سرية ووفى لها فلما رأته على تلك الحالة قالت له انى لانكرك يا امير المؤمنين فهل حدث شئ تكرهه او اتاك خبر ارتعت له قال لا فلم تزل به حتى اخبرها بمقالة خالد فقالت له وما قلت لابن الفاعلة فقال لها اينصحنى وتشتمينه فخرجت الى مواليها وامرتهم بضرب خالد قال خالد فخرجت من الدار مسرورا بما القيت الى امير المؤمنين ولم اشك فى الصلة فبينما انا واقف اذ اقبلوا يسألوا عنى فحققت الجائزة فقلت لهم ها انا واقف فاستبق الى احدهم بخشبة فغمزت برذونى فلحقنى وضرب كفل البرذون وركضت ففتهم واستخفيت فى منزلى اياما ووقع فى قلبى انى أُتيت من ام سلمة فبينما انا ذات يوم جالس فى المنزل فلم اشعر الا بقوم قد هجموا على فقالوا اجب امير المؤمنين فسبق الى قلبى انه الموت فقلت انا لله وانا اليه راجعون لم ار دم شيخ اضيع من دمى

فركبت الى دار امير المؤمنين فاصبته جالسا ولحظت فى المجلس بيتا عليه ستور رقاق وسمعت حسا خفيفا خلف الستر فاجلسني ثم قال يا خالد انت وصفت لامير المؤمنين صفة فاعدها فقلت نعم يا امير المؤمنين اعلمتك ان العرب ما اشتقت اسم الضرتين الا من الضر وان احدا لم يكثر من النساء اكثر من واحدة الا كان فى ضر وتنغيص فقال السفاح لم يكن هذا من كلامك اولا قلت بلى يا امير المؤمنين واخبرتك ان الثلاث من النساء يدخلن على الرجل البؤس وتشييب الرؤس فقال برئت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعته هذا منك اولا ومر فى حديثك قلت بلى يا امير المؤمنين واخبرتك ان الاربع من النساء شر مجتمع لصاحبه يشيبنه ويهرمنه قال والله ما سمعت هذا منك اولا قلت بلى يا امير المؤمنين و اخبرتك ان ابكار الاماء رجال الا انه ليست لهن خصاء قال امير المؤمنين اتكذبني قلت افتقتلني قال خالد فسمعت ضحكا خلف الستر ثم قلت واخبرتك ان عندك ريحانة قريش وانك تطمح بعينيك الى النساء والجوارى فقيل لى من وراء الستر صدقت والله يا عماه هذا حديثك ولكنه غير حديثك ونطق بما فى خاطره عن لسانك فقال السفاح ما لك قاتلك الله قال خالد فانسللت وخرجت فبعثت الى ام سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذون وتمت ثياب انتهى (وروى) ان ابا دلامة الشاعر كان واقفا بين يدى السفاح فى بعض الايام فقال سلني حاجتك فقال له ابو دلامة اريد كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة اتصيد عليها فقال اعطوه دابة فقال وغلاما يقود الكلب والصيد فقال اعطوه غلاما فقال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه فقال اعطوه جارية فقال هؤلاء يا امير المؤمنين عيال ولا بد لهم من دار يسكنونها فقال اعطوه دارا تجمعهم ثم قال وان تكن لهم الدار فمن اين يعيشون قال قد اقطعتك عشرة ضياع عامرة من فيافى بنى اسرائيل قال وما معنى الغامرة يا امير المؤمنين قال ما لا نبات فيها قال قد اقطعتك انا يا امير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافى بنى سعد فضحك منه وقال اعطوها آناها عامرة قال الحافظ فانظر الى حذقه بالمسالة و

ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتي بمسألة على ترتيب ونكاهة حتى نال ما سأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليها بارك الله فيه انتهى وروي عن الحسن بن الحصين قال لما افضت الخلافة الى بني العباس كان من جملة ما اختفى ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك فلم يزل مختفيا الى ان اضناه واضجره الاختفاء فاخذ له امان من السفاح وكان ابراهيم رجلا اديبا بليغا حسن المحاضرة فحظي عند السفاح فقال له لقد مكثت زمانا طويلا مختفيا فحدثني باعجب ما رأيت في اختفائك فلنعم ايام تكدر فقال يا امير المؤمنين وهل سمع باعجب من حديثي لقد كنت مختفيا في منزل انظر منه الى البطحاء فبينما انا على مثل ذلك واذا باعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فوقع في ذهني انها خرجت تطلبني فخرجت متنكرا حتى اتيت الكوفة من غير الطريق وانا والله متحير ولا اعرف بها احدا واذا انا بباب كبير في رحبة منيعة فدخلت لتلك الرحبة فوقفت قريبا من الدار واذا برجل حسن الهيئة وهو راكب فرسا ومعه جماعة من اصحابه وغلمانه فدخل الرحبة فرآني واقفا تائبا فقال لي ألك حاجة قلت غريب خائف من القتل قال ادخل فدخلت الى حجرة في داره فقال هذه لك وسيأتي ما احتاج اليه من فرش وآنية ولباس وطعام وشراب واقمت عنده والله ما سألني قط من انا ولا ممن اخاف وهو في اثناء ذلك يركب في كل يوم ويعود منعويا متأسفا كأنه يطلب شيئا فاته ولم يجده فقلت له يوما اراك تركب في كل يوم وتعود منعويا متأسفا كأنك تطلب شيئا فاتك فقال لي ان ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك قتل ابي وقد بلغني انه مختف من السفاح وانا اطلبه لعلي اجده آخذ بثاري منه فتعجبت والله يا امير المؤمنين من هربي وشؤم بختي الذي ساقني الى منزل رجل يريد قتلي ويطلب ثاره مني فكرهت الحياة واستعجلت الموت لما انا فيه من الشدة فسألت الرجل عن اسم ابيه وعن سبب قتله فعرفت الخبر فوجدته صحيحا فقلت يا هذا قد وجب علي حقك ومن حقك ان ادلك على قاتل ابيك واقرب عليك الخطوة واسهل عليك ما بعد فقال اتعلم اين

هو قلت نعم فقال اين هو فقلت والله هوانا فخذ بثارك مني فقال الحسن ان الاختفاء افناك
نكرهت الحياة قلت نعم والله انا قتلته يوم كذا وكذا فلما علم صدقي تغير لونه واحمرت
عيناه واطرق رأسه ساعة ثم رفع رأسه الي وقال لي اما ابي سيلقاك غدا يوم القيمة
فيحاكمك عند من لا تخفى عليه خافية واما انا فلست مخفر ذمتي ولا مضيعا رجاءك
اخرج عني فاني لا آمن نفسي عليك بعد هذا اليوم ثم وثب يا امير المؤمنين الى صندوق
فاخرج منه صرة فيها خمسمائة دينار وقال خذ هذه واستعن بها على اختفائك فكرهت
اخذها وخرجت من عنده وهو اكرم رجل رايت فبقي السفاح يهتز طربا ويتعجب

وعن الهيثم بن عدي قال كان ابو العباس السفاح تعجبه المسامرة ومنازعة الرجال
فحضرت ذات ليلة في مسامرة ابراهيم بن مخرمة الكندي وناس من بني الحارث
ابن كعب وهم اخواله وخالد بن صفوان بن ابراهيم التميمي فخاضوا في حديث و
تذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم يا امير المؤمنين ان اليمن هم العرب الذين دانت
لهم الدنيا وكانت لهم القرى ولم يزالوا ملوكا اربابا وورثوا ذلك كابرا عن كابر
اولا عن آخر منهم النعمانيات والمنذريات والقابوسيات والتبابعة ومنهم من
مدحته الزبر ومنهم غسيل الملائكة ومنهم من اهتز لموته العرش ومنهم من كلمه
الذئب ومنهم الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس شيء له خطر الا واليهم
ينسب فرس رائع او سيف قاطع او درع حصينة او حلة مصونة او درة مكنونة
ان سئلوا اعطوا وان سيموا ابوا وان نزل بهم ضيف قروا لا يبلغهم مكابر ولا
ينالهم مفاخر هم العرب العرباء وغيرهم المتعربة قال ابو العباس السفاح ما اظن
التميمي يرضى بقولك ثم قال له ما تقول يا خالد قال ان اذنت في الكلام تكلمت وقد
اذنت في الكلام فتكلم ولا تهب احدا فقال اخطا يا امير المؤمنين المقتحم بغير علم و
الناطق بغير صواب فكيف يكون ما قال وان القوم ليست لهم السن فصيحة ولا لغة
صحيحة ولا حجة صحيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة وهم منا على منزلتين ان جاوزوا
عن قصدنا اكلوا وان جاوزوا احكمنا قتلوا يفخرون علينا بالنعمانيات والمنذريات

وغير ذلك مما سناتي عليه ونفخر عليهم بخير الانام واكرم الكرام محمد عليه افضل الصلوٰة
والسلام ولله المنة علينا وعليهم لقد كانوا اتباعه فيه عزوا وله اكرموا فمنا النبي صلى الله عليه
والسلم ومنا الخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور والمسعى وزمزم والمقام والمنبر والركن
والحطيم والمشاعر والحجابة والبطحاء مع ما لا يخفى من المآثر ولا يدرك من المفاخر
فليس يعدل بنا عادل ولا يبلغ فضلنا قول قائل ومنا الصديق والفاروق والوصي
واسد الله وسيد الشهداء وذو الجناحين وسيف الله عرفوا الله واتاهم اليقين
فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم التفت الى ابراهيم فقال اعالم انت
بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين قال الجحمة قال فما اسم السن قال الميذن
قال فما اسم الاذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشناتر قال فما اسم اللحية
قال الزب قال فما اسم الذئب قال الكتع قال افمؤمن انت بكتاب الله قال نعم قال فان
الله تعالى يقول انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وقال تعالى بلسان عربي
مبين وقال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا
نزل الم تر ان الله قال العين بالعين ولم يقل الجحمة بالجحمة وقال السن بالسن
ولم يقل الميذن بالميذن وقال الاذن بالاذن ولم يقل الصنارة بالصنارة وقال
يجعلون اصابعهم في اذانهم ولم يقل شناترهم وقال لا تاخذ بلحيتي ولا برأسي
ولم يقل بزبي وقال تعالى يأكله الذئب ولم يقل يأكله الكتع ثم قال اسألك عن
اربع ان انت اقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول
منا او منكم قال منكم قال فالقرآن نزل علينا او عليكم قال عليكم قال فالبيت
الحرام لنا او لكم قال لكم قال فالخلافة فينا او فيكم قال فيكم قال خالد فما كان بعد
هذه الاربع فهو لكم

خلافة ابي جعفر المنصور

قيل انه كان يحفظ الشعر من مرة وله مملوك يحفظه من مرتين وكانت له جارية
تحفظه من ثلاث مرات وكان بخيلا جدا حتى انه كان يلقب بالدوانيقي لانه كان

يحاسب على الدوانق فكان اذا جاء شاعر بقصيدة قال له ان كانت مطروقة بان يكون احد يحفظها او احد انشاءها اى بان كان اتى بها احد قبلك فلا نعطيك لها جائزة وان لم يكن احد يحفظها نعطيك زنة ما هى مكتوبة فيه فيقرأ الشاعر القصيدة فيحفظها الخليفة من اول مرة ولو كانت الف بيت ويقول للشاعر اسمعها منى وينشدها بكمالها ثم يقول له وهذا المملوك يحفظها وقد سمعها المملوك مرتين مرة من الشاعر ومرة من الخليفة فيقرأها ثم يقول الخليفة وهذه الجارية التى خلف الستارة تحفظها ايضا وقد سمعتها الجارية ثلاث مرات فتقرأها بحروفها فيذهب الشاعر بغير شئ قال الراوى وكان الاصمعى من جلسائه وندمائه فنظم ابياتا صعبة وكتبها على قطعة عمود من رخام ولفها فى عباءة وجعلها على ظهر بعير وغير حليته فى صفة اعرابى غريب وضرب له لثاما ولم يبن منه غير عينيه وجاء الى الخليفة وقال انى امتدحت امير المؤمنين بقصيدة فقال يا اخا العرب ان كانت لغيرك لا نعطيك عليها جائزة والا نعطيك زنة ما هى مكتوبة عليه

فانشد الاصمعى هذه القصيدة

صوت صفير البلبلى	هيج قلب الثملى
الماء والزهر معا	مع زهر لحظ المقل
وانت يا سيد لى	وسيدى ومولى لى
وكم وكم تيمنى	غزيل عقيقلى
قطفت من وجنته	باللثم ورد الخجل
وقلت بس بسبنى	فلم يجد بالقبلى
وقال لا لا لا لا	وقد غدا مهرولى
والخود مالت طربا	من فعل هذا الرجل
وولولت وولولة	ولى ولى يا ويللى
فقلت لا تولولى	وبينى اللؤ لؤ لى

لما رات اشمطا | يريد غير القبلي
وبعدها ما يكتني | الا بطيب الوصلي
قالت له حين كذا | انهض وجد بالنقلي
وفتية سقونني | قهيوة كالعسلي
ثم ستها في انفقي | ازكى من القرنفلي
في وسط بستان حسن | بالزهر والسرولي
والعود دندن دنلي | والطبل طبطبطبلي
والرقص ارطب طبطبلي | والسقف سقسقسقلي
شوواشاهوا شووا | على ورق سفرجلي
وغرد القمري يصيح | من ملل في مللي
فلو تراني راكبا | على حمار اهزلي
يمشي على ثلاثة | كمشية العرنجلي
والناس ترجم جملي | في السوق بالقلقللي
والكل كعكع كعكع | خلفي ومن حوللي
لكن مشيت هاربا | من خشية العقنقلي
الى لقاء ملك | معظم مبجلي
يأمر لي بخلعة | حمراء كالدم دملي
اجر فيها ماشيا | مبغددا للذيلي
انا الاديب الالمعي | من حي ارض الموصلي
نظمت قطعا زخرفت | تعجز الادبلي
اقول في مطلعها | صوت صفير البلبلي

(قال الراوي) فلم يحفظها الملك لصعوبتها ونظر الى المملوك والى الجارية فلم يحفظها احد منهما فقال يا اخا العرب هات الذي هي مكتوبة فيه نعطك زنته

فقال یاسولای انی لم اجد ورقا اکتب فیه وکان عندی قطعة عمود من رخام من عهد ابی وهی ملقاة لیس لی بها حاجة فنقشتها فیه فلم یسع الخلیفة الا انه اعطاه وزنها ذهبا فنفد ما فی خزینته من المال فاخذه وانصرف فلما ولی قال الخلیفة یغلب علی ظنی ان هذا الاصمعی فاحضره وکشف عن وجهه فاذا هو الاصمعی فتعجب منه ومن صنیعه واجازه علی عادته ثم قال یا امیر المؤمنین ان الشعراء فقراء واصحاب عیال وانت تمنعهم العطاء بشدة فهمک وفهم هذا المملوک وهذه الجاریة فاذا اعطیتهم ما تیسر لیستعینوا به علی عیالهم لم یضرک انتهی والله اعلم وذکر الغزالی وابن بلبان وغیرهما ان ابا جعفر المنصور حج ونزل فی دار الندوة وکان یخرج سحرا فیطوف بالبیت فخرج ذات لیلة سحرا فبینما هو یطوف اذ سمع قائلا یقول اللهم انی اشکو الیک ظهور البغی والفساد فی الارض وما یحول بین الحق واهله من الطمع فهرول المنصور فی مشیته حتی ملأ سمعه ثم رجع الی دار الندوة وقال لصاحب شرطته ان بالبیت رجلا یطوف فائتنی به فخرج صاحب الشرطة فوجد رجلا عند الرکن الیمانی فقال اجب امیر المؤمنین فلما دخل علیه قال اما الذی سمعتک آنفا تشکو الی الله من ظهور البغی والفساد فی الارض وما یحول بین الحق واهله من الطمع فوالله لقد حشوت مسامعی ما امرضنی فقال له یا امیر المؤمنین ان الذی دخله الطمع حتی حال بین الحق واهله وامتلأت بلاد الله بذلک بغیا وفسادا انت هو فقال له المنصور ویحک کیف یدخلنی الطمع والصفراء والبیضاء ببابی وملک الارض فی قبضتی فقال الرجل سبحان الله یا امیر المؤمنین هل دخل احدا من الطمع ما دخلک ان الله استرعاک امور المؤمنین واموالهم فاهملت امورهم واهتممت بجمع اموالهم واتخذت بینک وبین رعیتک حجابا من الجص والآجر وحجبة معهم السلاح وامرت ان لا یدخل علیک الا فلان وفلان نفر استخلصتهم لنفسک وامرتهم علی رعیتک ولم تأمر بایصال المظلوم ولا الجائع ولا العاری ولا احد الا وله فی هذا المال حق فلما رآک هؤلاء الذین استخلصتهم لنفسک وآثرتهم علی رعیتک بجمع الاموال ولا تقسمها قالوا هذا خان الله ورسوله فما لنا لا نخونه فاجمعوا علی ان لا یصل الیک من اموال الناس

بالاما ارادوا وانصار هؤلاء شركاءك فى سلطانك وانت غافل عنهم فاذا جاء المظلوم
الى بابك وجد له اوقفت رجلا ينظر فى مظالم الناس فان كان الظالم من بطانتك
علل صاحب المظالم بالمظلوم وسوف من وقت الى وقت فاذا اجتهد وظهرت انت
صرخ بين يديك فضربه اعوانك ضربا شديدا ليكون نكالا لغيره وانت ترى ذلك
ولا تنكر ولقد كانت الخلفاء قبلك من بنى امية اذا انت اليهم الظلامة ازيلت فى الحال
ولقد كنت اسافر الصين يا امير المؤمنين فقدمت مرة فوجدت الملك الذى به
قد فقد سمعه فبكى فقال له وزراؤه ما يبكيك ايها الملك لا ابكى الله لك عينا الا
من خشيته فقال والله ما بكيت لمصيبة نزلت بى وانما ابكى لمظلوم يصرخ بالباب
فلا اسمعه ثم قال ان كان سمعى ذهب فان بصرى لم يذهب نادوا فى الناس لا يلبس
احد ثوبا احمر الا مظلوم وكان يركب الفيل طرفى النهار عيد وهو فى البلد لعله يجد احدا
لابسا ثوبا احمر فيعلم انه مظلوم فينصفه هذا يا امير المؤمنين رجل مشرك غلبت عليه
رأفته على شح نفسه بالمشركين وانت مؤمن بالله ورسوله وابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا امير المؤمنين لا تجمع الاموال الا لاحدى ثلاث ان قلت انما اجمع المال
لصالح الملك فقد اراك الله عبرة فى الملوك والقرون من قبلك ما اغنى عنهم ما اعدوا من
الاموال والرجال والكراع حين اراد الله بهم ما اراد وان قلت انما اجمع للولد فقد
اراك الله عبرة فيمن تقدم من جمع المال للولد فلم يغن ذلك عنهم شيئا بل ربما مات
فقيرا ذليلا حقيرا وان قلت انما اجمعه لغاية هى اجسم من الغاية التى انت فيها فوالله
ما فوق منزلتك الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح فبكى المنصور بكاء شديدا ثم
قال وكيف اعمل وقد فرت منى العباد ولم تقربنى والصالحون ولم يدخلوا على فقال
يا امير المؤمنين افتح الباب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم وخذ المال مما حل وطاب
واقسمه بالحق والعدل وانا ضامن من هرب ان يعودوا اليك فقال المنصور نفعل
ان شاء الله تعالى وجاء المؤذن فاذن للصلاة فقام وصلى فلما قضى صلاته طلب
الرجل فلم يجده فقال لصاحب الشرطة على بالرجل الساعة فخرج يتطلبه فوجده عند

الركن اليماني فقال له اجب امير المؤمنين فقال ليس لي الى ذلك من سبيل فقال اذن يضرب عنقي فقال ولا الى ضرب رقبتك من سبيل ثم اخرج من مزود كان معه رقا مكتوبا فقال له خذه فان فيه دعاء الفرج من دعا به صباحا ومات من يومه مات شهيدا ومن دعا به مساء ومات من ليلته مات شهيدا وذكر له فضلا عظيما وثوابا جزيلا فاخذه صاحب الشرطة واتى به المنصور فلما رآه قال له ويلك او تحسن السحر قال لا والله يا امير المؤمنين ثم قص عليه القصة فامر المنصور بنقله وامر له بالف دينار وهو هذا اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت بما تحت ارضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار امر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم وغم اصبحت او امسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي اطمعني ان اسالك ما لا استوجبه مما قصرت فيه ادعوك آمنا واسألك مستأنسا وانك انت المحسن الي وانا المسئ الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي بالنعم واتبغض اليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك فجد بفضلك واحسانك علي انك انت الرؤف الرحيم انتهى من حياة الحيوان (و حدث عبد الله البلناجي) قال دخل ابن ابي ليلى على ابي جعفر المنصور وكان ابن ابي ليلى قاضيا فقال ابو جعفر ان القاضي قد يرد عليه من طرائف الناس ونوادرهم امور فان كان ورد عليك شئ فحدثنيه فقد طال علي يومي قال والله يا امير المؤمنين قد ورد علي منذ ثلاثة ايام امر ما ورد على مثله اتتني عجوز تكاد ان تنال الارض بوجهها او تسقط من انحنائها فقالت انا بالله وبالقاضي ان ياخذ لي بحقي وان يعينني على خصمي قلت ومن خصمك قالت ابنة اخ لي فدعوت بها فجاءت امرأة ضخمة ممتلئة شحما فجلست منبهرة فذهبت العجوز تتظلم فقالت الشابة اصلح الله القاضي امرها فلتسكت حتى اتكلم بحجتي وحجتها فان لحنت بشئ فلترد علي فان اذنت لي اسفرت

فقالت العجوز ان اسفرت قضيت لها فقلت لها اسفري فاسفرت عن وجه والله ما ظننت
انه يكون مثله الا في الجنة فقالت اصلح الله القاضي هذه عمتي مات والدي وتركني
يتيمة في حجرها فربتني فاحسنت التربية حتى اذا بلغت مبلغ النساء قالت لي يا بنت
اخي هل لك في التزويج قلت ما اكره ذلك يا عمة قالت العجوز نعم قالت فخطبني وجوه
اهل الكوفة فلم نرض الا رجلا صيرفيا فتزوجني فكنا كانا ريحانتان ما يظن ان الله
خلق غيره وما اظن ان الله خلق غيره يغدو الى سوقه ويروح علي بما رزقه الله تعالى
فلما رات العمة موقعه مني وموقعي منه حسدتنا على ذلك وكانت لها ابنة فشوقتها
وهيأتها لدخول زوجي فوقعت عينه عليها فقال يا عمة هل لك ان تزوجيني
ابنتك قالت نعم بشرط فقال لها وما الشرط قالت تصير امر ابنة اخي الي قال قد صيرت
امرها اليك قالت فاني قد طلقتها ثلاثا ثابتة وزوجت ابنتها من زوجي فكان
يغدو عليها ويروح فقلت لها يا عمتي اتاذنين لي ان انتقل عنك قالت نعم فانتقلت
عنها وكان لعمتي زوج غائب فقدم فلما توسط منزلها قال ما لي لا ارى ربيبتنا
قالت طلقها زوجها فانتقلت عنا فقال ان لها من الحق علينا ان نعزيها بمصيبتها
فلما بلغني مجيئه الي تهيأت له وتشوفت فلما دخل علي عزاني بمصيبتي ثم قال ان فيك
بقية من الشباب فهل لك ان اتزوج بك قلت ما اكره ذلك ولكن على شرط قال لي
وما الشرط قلت تصير امر عمتي بيدي قال فاني قد فعلت وصيرت امرها بيدك قلت
فاني قد طلقتها ثلاثا ثابتة قالت فقدم علي بثقله من الغد ومعه ستة آلاف درهم
فاقام عندي ما اقام ثم انه اعتل وتوفي فلما انقضت عدتي جاء زوجي الاول الصيرفي
يعزيني بمصيبتي فلما بلغني مجيئه تهيأت وتشوفت له فلما دخل علي قال لي يا فلانة
انك لتعلمين انك كنت اعز الناس علي واحبهم الي وقد حلت المراجعة فهل لك
في ذلك قلت ما اكره ذلك ولكن اجعل امر ابنة عمتي بيدي قال فاني قد فعلت
قلت فاني قد طلقتها ثلاثا ثابتة اصلح الله القاضي فرجعت الى زوجي فما اعتدائي
عليها فقالت العجوز انا فعلت مرة وفعلت هي مرة بعد اخرى فقالت ان الله لم يوقت

فی هذا او فتنا وقد اقال ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغی علیه لینصرنه الله
فواحدة بواحدة والبادی اظلم فقال القاضی ان زوج العمة لم یکن لدان یتزوج
ابنة اخیها وهی فی عدتہ فارادت العجوز ان تتولی التفریق بینہ وبینها استیفاء لها او
مجازاة لها علی فعلها فقلت لها قد فرقت بینکما فقومی الی منزلک انتهی وذکر
المنصور یوما فی مجلسه زوال ملک بنی امیة وما جری علیهم وانهم عاشوا سعداء
وماتوا فقراء فقال اسماعیل بن علی الهاشمی ان عبد الله بن مروان بن محمد فی حبسک
ولہ قصة مع ملک النوبة فاحضره واسألہ عنها فاحضره فقال السلام علیک یا امیر
المؤمنین ورحمة الله وبرکاته فقال المنصور رد السلام امن ولم تسمح نفسی بذلک
ولکن اقعد فقعد فقال ما قصتک مع ملک النوبة فقال یا امیر المؤمنین کنت
ولی عهد ابی فلما طلبتنا دعوت عشرة من غلمانی ودفنت لکل واحد الف دینا
وا وسقت خمس بغال وشددت فی وسطی جوهر الدقیمة عظیمة وخرجت هاربا
الی بلاد النوبة فلما قربنا بعثت غلاما لی فقلت امض الی هذا الملک واقرئہ السلام
وخذ لنا منه الامان وابتغ لنا میرة فمضی وابطأ حتی اسات به الظن ثم اقبل ومعه
رجل فدخل وسلم وقال الملک یقرئک السلام ویقول لک من انت وما جاء بک الی
بلادی محارب ام راغب فی دینی ام مستجیر بی فقلت له رد علی الملک وقل له ما
انا بمحارب ولا راغب فی دینک ولا ممن یبتغی بدینه بدلا بل مستجیر به فذهب
الرسول ورجع الی وقال الملک یقول لک انی اجئ الیک غدا فلا تحدث نفسک
حدثا ولا شیئا من المیرة فقلت لاصحابی افرشوا الفرش ففرش لی وجلست من الغد
ارقبه واذا هو قد اقبل وعلیه بردان قد اتزر باحدهما وارتدی بالآخر حافی الرجلین
ومعه عشرة معهم الحراب ثلاثة یتقدمونه وسبعة خلفه فاستصغرت امره وسولت
لی نفسی قتله فلما قرب اذا سواد عظیم قلت ما هذا قالوا الخیل فوافی بها عشرة
الآف عنان ووافت الخیل عند دخوله فاحدقوا بنا فلما دخل جلس علی الارض
قال فقلت لترجمانه لم لم یقعد علی الموضع الذی وطئ له فیما لم یقبل قل له انه

ملك وكل ملك حقه ان يكون متواضعا لله وعظمته اذ ونعم الله على عباده ثم
نكث باصبعه الارض طويلا ورفع راسه وقال قل له كيف سلبتم هذا الملك
واخذ منكم وانتم اقرب الناس الى نبيكم فقلت جاء من هو اقرب منا قرابة اليه
فسلبنا وغلبنا وطردنا فخرجت اليك مستجيرا بالله ثم بك قال فلم كنتم تشربون
الخمر وهو محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيد واعاجم دخلوا في ديننا وفي ملكنا
من غير رأينا قال فلم تركبون على الديباج وعلى خيولكم سروج الذهب والفضة
وهي محرمة عليكم قلت فعل ذلك عبيد واعاجم دخلوا في ديننا وفي ملكنا
بغير رأينا قال فلم كنتم اذا خرجتم الى الصيد مررتم على القرى وكلفتم اهلها ما لا طاقة
لهم به بالضرب والاهانة ولا يقنعكم ذلك حتى تخطوا زرعهم في طلب دراج قيمته
نصف درهم والتكليف والعناء محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيد وغلمان واتباع
قال لا ولكنكم استحللتم ما حرم الله عليكم واتيتم ما نهاكم الله عنه فسلبكم الله العز
والبسكم الذل ونصر اعداءكم عليكم والله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد واني اخاف
ان ينزل بك النقمة اذ انك من الظلمة فتشملني معك فان النقمة اذا نزلت شملت
فاخرج بعد ثلاث فان وجدتك بعدها اخذت ما معك وقتلتك ومن معك
ثم وثب قائما وخرج واقمت ثلاثا ورجعت الى مصر فاخذني عاملك وبعث بي
اليك وها انا ذا والموت احب الي من الحياة فرق له المنصور وهم باطلاقه فقال
له اسمعيل بن علي في عنقي بيعة هذا قال فما ترى قال ينزل في دار من دورنا و
يجري عليه ما يجري على مثله ففعل به ذلك انتهى وخطب المنصور يوما بالشام
فقال ايها الناس ينبغي لكم ان تحمدوا الله تعالى على ما وهبكم الله في ناي مدة
وليتكم صرف الله عنكم الطاعون الذي كان يبيتكم فقال له اعرابي ان الله اكرم من
ان يجمع علينا انت والطاعون ودخل ابن هرمة على المنصور وامتدحه فقال له
المنصور سل حاجتك قال تكتب الى عاملك بالمدينة انه اذا وجدني سكران
لا يحدني فقال له المنصور هذا حد لا سبيل الى تركه فقال ما لي حاجة غيرها

فقال لكتابته اكتب الى عاملنا بالمدينة من اتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده ثمانين واجلد الذى جاء به مائة فكان الشرط يمرون عليه وهو سكران ويقولون من يشترى ثمانين بمائة فيمرون عليه ويتركونه انتهى (وحدث) احمد بن موسى قال ما رايت رجلا اثبت جنانا ولا احسن معرفة ولا اظهر حجة من رجل رفع فيه عند المنصور بان عنده اموالا لبنى امية فامر المنصور حاجبه الربيع ان يحضره فلما حضر بين يديه قال المنصور رفع الينا ان عندك ودائع واموالا وسلاحا لبنى امية فاخرجها لنا لنجمع ذلك الى بيت المال فقال الرجل يا امير المؤمنين انت وارث لبنى امية قال لا قال فلم تسأل اذن عما فى يدى من اموال بنى امية ولست بوارثهم ولا وصى فاطرق المنصور ساعة ثم قال ان بنى امية ظلموا الناس وغصبوا اموال المسلمين فقال الرجل يحتاج امير المؤمنين الى بينة يقبلها الحاكم تشهد ان المال الذى لبنى امية هو الذى فى يدى وانه هو الذى غصبوه من الناس وان امير المؤمنين يعلم ان بنى امية كانت لهم اموال لانفسهم غير اموال المسلمين التى اغتصبوها على ما يتهم امير المؤمنين قال فسكت المنصور ساعة ثم قال يا ربيع صدق الرجل ما يجب لنا على الرجل شئ ثم قال للرجل ألك حاجة قال نعم قال ما هى قال ان تجمع بينى وبين من سعى فى اليك فوالله يا امير المؤمنين ما لبنى امية عندى مال ولا سلاح وانما احضرت بين يديك وعلمت ما انت فيه من العدل والانصاف واتباع الحق واجتناب المظالم فايقنت ان الكلام الذى صدر منى هو انجح واصلح لما سألتنى عنه فقال المنصور يا ربيع اجمع بينه وبين الذى سعى به فجمع بينهما فقال يا امير المؤمنين هذا اخذ لى خمسمائة دينار وهرب ولى عليه مسطور شرعى فسأل المنصور الرجل فاقر بالمال قال فما حملك على السعى كاذبا قال اردت قتله ليخلص لى المال فقال الرجل قد وهبتها له يا امير المؤمنين لاجل وقوفى بين يديك وحضورى مجلسك ووهبته خمسمائة دينار اخرى لكلامك لى فاستحسن المنصور فعله واكرمه ورده الى بلده مكرما وكان المنصور كل وقت يقول ما

رايت مثل هذا الشيخ قط ولا اثبت من جنانه ولا من حجبنى مثله ولا رايت مثل حلمه ومروته انتهى

خلافة المهدى

اسمه محمد بن المنصور (حدثنا) داؤد بن رشيد قال قلت للهيثم بن على بای شئ استحق سعيد بن عبد الرحمن ان ولاه المهدى القضاء واثر له سنه تلك المنزلة الرفيعة فقال ان خبره باتصاله بالمهدى ظريف فان احببت شرحته لك قلت والله قد احببت قال اعلم انه فى الربيع الحاجب حين افضت الخلافة الى المهدى وقال له استأذن لى على امير المؤمنين فقال له من انت وما حاجتك قال انا رجل قد رايت لامير المؤمنين اعزه الله رؤيا صالحة وقد احببت ان تذكرنى له فقال الربيع يا هذا ان القوم لا يصدقون فيما يرونه لانفسهم فكيف بما يراه لهم غيرهم فاحتل بحيلة غير هذه فقال له ان لم تخبره بمكانى سألت من يوصلنى اليه واخبره انى سألتك الاذن لى عليه فلم تفعل فدخل الربيع على المهدى فقال له يا امير المؤمنين انكم قد اطمعتم الناس فى انفسكم فقد احتالوا عليكم بكل ضرب فقال له المهدى هكذا تصنع الملوك فماذا قال رجل بالباب يزعم انه رأى لامير المؤمنين ايده الله رؤيا حسنة وقد احب ان يقصها عليك فقال المهدى يا ربيع انى والله ارى الرؤيا لنفسى فلا تصح لى فكيف يمكن ادعاؤها ممن لعله قد افتعلها قال والله قلت له مثل هذا فلم يقبل قال هات الرجل قال فادخل عليه سعيد وكان له رؤيا وجمال ومروة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان طلق فقال له ما رايت بارك الله فيك قال رايت يا امير المؤمنين آتيا اتانى فى منامى فقال اخبر امير المؤمنين انه يعيش ثلاثين سنة فى الخلافة وآية ذلك انه يرى فى ليلته الآتية فى منامه كانه يقلب يواقيت ثم يعدها فيجدهم ثلاثين ياقوتة كانها قد وهبت له فقال المهدى ما احسن ما رايت ونحن نمتحن رؤياك فى ليلتنا المقبلة على ما اخبرتنا فان كان الامر على ما ذكرت اعطيناك فوق ما تريد وان كان الامر بخلاف ذلك لم نعاقبك لعلمنا ان الرؤيا الصالحة ربما صدقت وربما اختلفت قال سعيد يا امير المؤمنين فماذا اصنع انا الساعة

اذا صرت منزلی وعیالی واخبرتهم انی کنت عند امیر المؤمنین اکرمہ الله
ثم رجعت صفر الید فقال له المهدی فکیف نعمل فقال یعجل لی امیر المؤمنین
اعزه الله تعالی ما احب واحلف له بالطلاق انی قد صدقت فامر له بعشرة
آلاف درهم وأمر بان یؤخذ له کفیل لیحضر من غد ذلك الیوم فقبض المال
وقال له من یکفلك فمد عینیه الی خادم حسن الوجه والزی وقال هذا یکفلنی
فقال له المهدی اتکفله یا غلام فاحمر وخجل وقال نعم یا امیر المؤمنین فکفله
وانصرف سعید بن عبد الرحمن بالعشرة آلاف درهم فلما کانت تلك اللیلة
رأی المهدی ما ذکره له سعید حرفا بحرف واصبح سعید فوافی الباب واستأذن
فأذن له فلما وقعت عین المهدی علیه قال له این مصداق ما قلت لنا علیه
فقال له سعید وما رأی امیر المؤمنین فضجع فی جوابه فقال له امرأتی
طالق ان لم تکن رایت شیئا قال له المهدی ما اجرأك علی هذا الحلف بالطلاق
فقال لانی احلف علی صدق قال له المهدی فقد والله رایت ذلك مبینا
فقال له سعید الله اکبر فانجز لی یا امیر المؤمنین ما وعدتنی قال حبا وکرامة
ثم امر له بثلاثة آلاف دینار وعشرة تخوت ثیاب من کل صنف وثلاثة مراکب
من انفس دوابه محلاة فاخذ ذلك وانصرف فلحق به الخادم الذی کان
کفله وقال له سالتك بالله هل لهذه الرؤیا من اصل فقال سعید لا والله فقال
الخادم کیف وقد رأی امیر المؤمنین ما ذکرته قال هذا من المخاریف التی لا اب
لها وذلك لما القیت له هذا الکلام خطر بباله وحدث به نفسه واسر به قلبه
واشتغل به فکره ففی ساعة نام خیل له ما حل فی قلبه واشتغل به فکره فنام
فرآه فقال له الخادم قد حلفت بالطلاق قال طلقة واحدة وبقیت معی علی
ثنتین وازید مهرها عشرة دراهم واحصل علی عشرة آلاف درهم وثلاثة
آلاف دینار وعشر تخوت من اصناف الثیاب وثلاثة مراکب فاوهت فبهت الخادم
وتعجب من ذلك فقال له سعید قد اصدقتك وجعلت ذلك مکافاتك علی

كما اتاك فاستر على ثم طلبه المهدي لمنادمته فنادمه وحظي عنده وقلده القضاء على العسكر فلم يزل حتى مات انتهى (ويحكى) ان المهدي خرج يتصيد فعار به فرسه حتى دخل الى خباء اعرابي فقال يا اعرابي هل من قرى قال نعم فاخرج له قرص شعير فاكله ثم اخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم اتاه بنبيذ في ركوة فسقاه قعبا فلما شرب قال يا اخا العرب اتدري من انا قال لا والله قال انا من خدم امير المؤمنين الخاصة قال له بارك الله في موضعك ثم سقاه قعبا آخر فشربه فقال يا اعرابي اتدري من انا قال زعمت انك من خدم امير المؤمنين الخاصة قال لا بل انا من قواد امير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه ثالثا فلما فرغ منه قال يا اعرابي اتدري من انا قال زعمت انك من قواد امير المؤمنين قال لا ولكني امير المؤمنين فاخذ الاعرابي الركوة واوكاها وقال والله لو شربت الرابع لادعيت انك رسول الله فضحك المهدي حتى غشي عليه واحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابي فقال له لا بأس عليك ولا خوف ثم امر له بكسوة ومال انتهى (وقيل) كان لاسماء بنت المهدي جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهدا ذات حسن وجمال وقد واعتدال وكانت بنت سنة عشر سنة قال فتلاعب عليها ابو نواس لينيلها فمنعت منه مرارا فظفر بها ليلة من الليالي في ناحية من نواحي القصر فمسكها فبكت وقالت الموت دون ذلك فقال ابو نواس في نفسه هذا جزع الابكار فتركها مدة فاتفق له انه خرج من القصر ليلة وقد ترق الدجى فوجدها نائمة سكرانة فتقرب منها وحل سراويلها من وسطها ووطئها فاذا هي خالية من البكارة فارتاع وظن انه يكون اتاها ادم فلم يجد وقام عنها وندم على ما كان منه واخذ يقول

وناهدة الثديين من خادم القصر	مرققة الخدين ليلية الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها	طويلا وصاحب الكواعب من امري

فما زلت بالاشعار حتى خدعتها ... وروضتها والشعر من خدع السحر
اطالبها شيئا فقالت بعبرة ... اموت به داء وودمعها تجري
فلما تعانقنا توسطت لجة ... غرقت بها يا قوم في لجج البحر
فصحت اغثني يا غلام فجاءني ... وقد زلقت رجلي ورحت الى الصدر
ولولا صياحي بالغلام وانه ... تداركني بالحبل رحت الى القعر
فاقسمت عمري لا ركبت سفينة ... ولا سرت طول الدهر الا على الظهر

(حكاية اجنبية) قال المبرد صعدت من البصرة الى بغداد فمررت بدير العاقول فرايت مجنونا فيه فلم ار قط اظرف منه ولا احسن ثيابا وبيده الواحدة

(على صدره فلما دنوت منه انشا يقول)

الله يعلم انني كمد ... لا استطيع ابث ما اجد
روحان لي روح تملكها ... بلد واخرى حازها بلد
وارى القيامة لبين ينفعها ... صبر وليس لمثلها جلد
واظن غائبتي كشاهدتي ... بمكانها تجد الذي اجد

فقلت احسنت والله لله درك يا مجنون فاهوى بيده الى حجر برميني به فبعدت عنه فقال لي اشلهتك ما تجيد واستحسنته وتقول لي يا مجنون وتكون مع الزمان على فقلت له اخطأت فقال اذن اعترفت بخطائك ثم قال انشدك شعرا

(ايضا فقلت نعم فانشا يقول)

لما اقتل البين للحب وما ... اوجع قلب المحب بالكمد
عرضت نفسي على البلاء لقد ... اسرع في مهجتي وفي كبدي
يا حسرة ان ابيت معتقلا ... بين اعتلاج الهموم والسهد

(فقلت احسنت والله زدنا فقال)

ان تشوني تحرق الكبد ... او كشفوني ناحل الجسد
اضعف ما بي وزادني الما ... ان لست اشكو النوى الى احد

فقلت احسنت والله زدنا فقال يا فتى اراك كلما انشدتك بيتا قلت زدنا وما ذاك الا لمفارقة حبيب وخل اريب ثم قال احسبك ابا العباس المبرد بالله انت شیٔ قلت انا ذلك فمن این عرفتنی فقال وهل یخفی القمر ثم قال یا ابا العباس انشدنی من شعرك شیئا ننتعش به روحی فانشدته فقلت

بکیت حتی بکی من رحمة الطلل	ومن بکائی بکت عینای اذ رحلوا
یا منزل الحی این الحی قد نزلوا	نفسی تشاق اذا ما سیقت الابل
انعم صباحا سقاك الله من طلل	عینا وجاد علیك الوابل الهطل
سقیا لعهدهم والدار جامعة	والشمل ملتئم والحبل متصل
فطال ما قد نعمنا والحبیب بها	والدهر یبعد والواشون قد غفلوا
تغیر الدهر بما قد کنت اعرفه	والدهر ذو دول بالناس ینتقل
بانوا فبان الذی قد کنت آمله	والبین اعظم ما یبلی به الرجل
فالشمل مفترق والقلب محترق	والدمع منسکب والرکب مرتحل
کان قلبی لما سار عیسهم	صب به دنف او شارب ثمل
لما اناخوا قبیل الصبح عیسهم	وثوروها وسارت بالهوی الابل
وقلبت من خلال السجف ناظرها	ترنوالی ودمع العین منهمل
یا حادی العیس عرج بی اودعهم	یا حادی العیس فی ترحالك الاجل
انی وحقك لا انسی مودتهم	یا لیت شعری لطول العهد ما فعلوا

قال ابو العباس المبرد فلما اتممت شعری قال لی ما فعلوا قلت ماتوا فصاح صیحة عظیمة وخر مغشیا علیه فحرکته فوجدته قد مات رحمة الله علیه انتهی

خلافة موسی الهادی ابن محمد

لم ازد فیه شیئا ومن رای فیه شیئا فلیضعه قال بعض الفضلاء من حیث ان المؤلف امر بان من رای فیه شیئا فلیضعه فرایت هذا النزر الیسیر مذکورا فی تاریخ الاسحاقی فاحببت ذکره امتثالا للامر فقلت ذکر صاحب السکردان

ان الهادی کان یوما فی بستان یتنزه علی حمار ولا سلاح معه وبحضرته جماعة من خواصه واهل بیته فدخل علیه حاجبه واخبره ان بالباب بعض الخوارج له باس ومکاید وقد ظفر به بعض القواد فامر الهادی بادخاله فدخل علیه بین رجلین قد قبضا علی یدیه فلما ابصر الخارجی الهادی جذب یدیه من الرجلین واختطف سیف احدهما وقصد الهادی ففر کل من کان حوله وبقی وحده وهو ثابت علی حماره حتی اذا دنا منه الخارجی وهم ان یعلوه بالسیف اومأ الی وراء الخارجی واوهمه ان غلاما وراءه وقال یا غلام اضرب عنقه فظن الخارجی ان غلاما وراءه فالتفت الخارجی فنزل الهادی مسرعا عن حماره فقبض علی عنق الخارجی وذبحه بالسیف الذی کان معه ثم عاد الی ظهر حماره من فوره واتباع الهادی ینظرون الیه ویتسللون علیه وقد ملئوا منه حیاء ورعبا فما عاتبهم ولا خاطبهم فی ذلک بکلمة. ولم یفارق السلاح بعد ذلک الیوم ولم یرکب الاجواد من الخیل فانظر الی هذا المقدار فی ثبات جاش الملوک فانه قل من یفعل ذلک وهذه مرتبة لم یصل الیها احد الا نادرا (حکی عن عبد الحق) انه قال مما ابتلی به الهادی من المحبة انه کان مغرما بجاریة تسمی غادرا وکانت من احسن النساء وجها واطیبهم غناء اشتراها بعشرة آلاف دینار فبینما هو یشرب مع ندمائه اذ فکر ساعة وتغیر لونه وقطع الشراب فقیل له ما بال امیر المؤمنین قال وقع فی قلبی انی اموت وان اخی هارون یلی الخلافة ویتزوج غادرا فامضوا وائتونی براسه ثم رجع عن ذلک وامر باحضاره وحکی له ما خطر بباله فجعل هارون یترفق به فقال لا ارضی حتی تحلف لی بکل ما احلفک به انی اذا مت لا تتزوج بها فرضی بذلک وحلف ایمانا عظیمة ودخل الی الجاریة وحلفها ایضا مثل علی ذلک فلم یلبث بعد ذلک سوی شهر ومات وولی الخلافة هارون الرشید فطلب الجاریة فقالت یا امیر المؤمنین کیف تصنع بالایمان فقال قد کفرت عنک وعنی ثم تزوج بها ووقعت فی قلبه

موفقا عظيما وافتتن بها اعظم من اخيه الهادي حتى كانت تسكر وتنام في حجره فلا يتحرك ولا ينقلب فبينما هي في بعض الليالي وهي في حجره نائمة اذا بها انتبهت فزعة مرعوبة فقال لها مابالك فديتك قالت رايت اخاك الهادي الساعة في النوم

فانشدني هذه الابيات

اخلفت عهدي بعد ما	جاورت سكان المقابر
ونسيتني وحنثت في	ايمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة اخي	صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد	ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتني قبل الصباح	وصرت حيث غدوت صائر

قالت ثم ولى عني وكانت الابيات مكتوبة في قلبي ما نسيت منها كلمة فقال لها هذه احلام الشيطان فقالت كلا والله يا امير المؤمنين ثم اضطربت بين يديه وماتت في تلك الساعة ولا تسأل عن هارون الرشيد وما لقي

بعدها انتهى

خلافة هارون الرشيد ابن محمد المهدي

هو اخو موسى الهادي وهو خامس بني العباس قال ابراهيم الموصلي في تهنئة الخلافة حين ولي الرشيد بعد اخيه موسى الهادي

الم تر ان الشمس كانت مريضة	فلما اتى هارون اشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه	فهارون واليها ويحيى وزيرها

وقدم اعرابي حين ولي هارون الخلافة فقيل له فيم جئت قال اتيت برسالة قال ائت بها قال اتاني آت في منامي فقال ائت امير المؤمنين فابلغه هذه الابيات

توارثت الخلافة من قريش	تزف اليكما ابدا عروسا
الى هارون تهدى بعد موسى	تميس وما لها ان لا تميسا

فاعطاه الرشيد عطاء جزيلا وصرفه بويع له بالخلافة في الليلة التي توفي فيها

اخوه وولد فی تلك الليلة المأمون وكانت ليلة عظيمة لم ير مثلها فی بنی العباس مات فيها خليفة وولی فيها خليفة وولد فيها خليفة ولما بويع الرشيد قلد جعفر بن يحيی بن خالد بن برمك وزارته وسبب ايقاع الرشيد بالبرامكة وسبب ذلك ويحكی ان هارون الرشيد مر فی بعض الايام وصحبته جعفر البرمكی واذا هو بعدة بنات يستقون الماء فعرج عليهن يريد الشرب واذا احداهن تقول

قولی لطيفك ينثنی	عن مضجعی وقت المنام
كی استريح وتنطفی	نار تأجج فی العظام
دنف تقلبه الاكف	علی بساط من سقام
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من دوام

فاعجب امير المؤمنين ملاحتها وفصاحتها فقال لها يا بنت الكرام هذا من قولك ام من منقولك قالت من قولی قال ان كان كلامك صحيحا فامسكی المعنی وغيری القافية فانشدت تقول

قولی لطيفك ينثنی	عن مضجعی وقت الوسن
كی استريح وتنطفی	نار تأجج فی البدن
دنف تقلبه الأكف	علی بساط من شجن
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من ثمن

فقال لها والآخر مسروق قالت بل كلامی فقال ان كان كلامك ايضا فامسكی المعنی وغيری القافية فقالت

قولی لطيفك ينثنی	عن مضجعی وقت الرقاد
كی استريح وتنطفی	نار تأجج فی الفؤاد
دنف تقلبه الأكف	علی بساط من سهاد
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من سداد

فقال لها والآخر مسروق فقالت بل كلامي فقال لها ان كان كلامك فامسكي

المعنى وغير القافية فقالت

قولي لطيفك ينثني	عن مضجعي وقت الهجوع
كي استريح وتنطفي	نار تأجج في الضلوع
دنف تقلبه الأكف	على بساط من دموع
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من رجوع

فقال لها امير المؤمنين انت من اي هذا الحي قالت من اوسطه بيتا واعلاه عمودا فعلم امير المؤمنين انها بنت كبير الحي ثم قالت وانت من اي راعي الخيل فقال من اعلاها شجرة واينعها ثمرة فقبلت الارض وقالت ايد الله امير المؤمنين وودعت له ثم انصرفت مع بنات العرب فقال الخليفة لجعفر لا بد من اخذها فتوجه جعفر الى ابيها وقال له امير المؤمنين يريد ابنتك فقال حبا وكرامة تهدى جارية الى امير المؤمنين مولانا ثم جهزها وحملها اليه فتزوجها ودخل بها فكانت عنده من اعز نسائه واعطى والدها ما يستره بين العرب من الانعام ثم بعد مدة انتقل والدها بالوفاة الى رحمة الله تعالى فورد على الخليفة خبر وفاته فدخل عليها وهو كئيب فلما شاهدته وعليه الكآبة نهضت ودخلت الى حجرتها وقلعت كل ما عليها من الثياب الفاخرة ولبست ثياب الحزن واقامت النعي له فقيل لها ما سبب هذا فقالت مات والدي فمضوا الى الخليفة فاخبروه فقام واتى اليها وسألها من اعلمها بهذا الخبر قالت وجهك يا امير المؤمنين قال كيف ذلك قالت منذ انا عندك ما رايتك هكذا ولم يكن لي من اخاف عليه الا والدي لكبره وتعيش رأسك انت يا امير المؤمنين فترغرغت عيناه بالدموع وعزاها فيه واقامت مدة وهي حزينة على والدها ثم لحقت به رحمة الله عليهم اجمعين ويحكى) ان امير المؤمنين هارون الرشيد ارق ذات ليلة فقام يتمشى في قصره بين المقاصير فرأى جارية من جواريه نائمة فاعجبته

فداس على رجلها فانتبهت فرأته امير المؤمنين فاستحيت منه وقالت يا

(امين الله ما هذا الخبر فاجابها بقوله)

قلت ضيف طارق في ارضكم | هل تضيفوه الى وقت السحر

(فاجابته تقول)

بسرور وهنا سيدي | اخدم الضيف بسمعي والبصر

فبات عندها الى الصباح فسأل امير المؤمنين من بالباب من الشعراء

قيل له ابو نواس فامر به فدخل عليه فقال له هات على يا امين الله ما

(هذا الخبر فانشأ يقول)

طال ليلي حين وافاني السهر | فتفكرت فاحسنت الفكر

قمت امشي في المجال ساعة | ثم اجري في مقاصير الحجر

فاذا وجه جميل مشرق | زانه الرحمن من بين البشر

فلمست الرجل منها موطئا | فدنت مني ومدت للبصر

واشارت لي بقول مفصح | يا امين الله ما هذا الخبر

قلت ضيف طارق في ارضكم | هل تضيفوه الى وقت السحر

فاجابت بسرور سيدي | اخدم الضيف بسمعي والبصر

قال فتعجب امير المؤمنين من ذلك وامر له بصلة (ويحكى) ان هارون الرشيد هجر جارية له ثم لقيها في بعض الليالي في القصر سكرى تدور في جوانب القصر وعليها مطرف خز وهي تسحب اذيالها من التيه والعجب وسقط رداؤها عن منكبها والريح ابان نهدها كانهما رمانتان ولها ردفان ثقيلان فراودها عن نفسها فقالت يا امير المؤمنين هجرتني هذه المدة وليس لي علم بملاقاتك فانظرني الى غد حتى اتهيأ وآتيك فلما اصبح قال للحاجب لا تدع احدا يدخل علي الا فلانة وانتظرها فلم تجي فقام ودخل عليها وسألها انجاز الموعد فقالت يا امير المؤمنين كلام الليل يمحوه النهار فقام واستدعى من

بالباب من الشعراء فدخل عليه ابو نواس والرقاشي وابو مصعب فقال لهم هاتوا على كلام الليل يمحوه النهار فقال الرقاشي انا قائل في ذلك ثلاث

ابيات وانشأ يقول

اتسلوها وقلبك مستطار	وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهاما	فتاة لا تزور ولا تزار
فولت وانثنت تيها وقالت	كلام الليل يمحوه النهار

وقال ابو مصعب وانا قائل في ذلك ثلاثة ابيات وانشأ يقول

اما والله لو تجد بن وجدي	لما وسعتك في بغداد دار
اما يكفيك ان العين عبري	ومن ذكراك في الاحشاء نار
تبسمت الفتاة بغير ضحك	كلام الليل يمحوه النهار

وقال ابو نواس وانا قائل في ذلك اربعة ابيات وانشأ يقول

وخود اقبلت في القصر سكرى	ولكن زين السكر الوقار
وهز الريح اردافا ثقالا	وغصنا فيه رمان صغار
وقد سقط الرداء عن منكبيها	من التخميش وانحل الازار
فقلت الوعد سيدتي فقالت	كلام الليل يمحوه النهار

فقال الرشيد قاتلك الله كانك كنت معنا او مطلعا علينا وامر لكل بخلعة سنية وخمسة آلاف درهم ولابي نواس بعشرة آلاف درهم انتهى (وذكر) الخطيب في بعض مصنفاته ان الرشيد دخل يوما وقت الظهر الى مقصورة جارية تسمى الخيزران على غفلة منها فوجدها تغتسل فلما رأته تجللت بشعرها حتى لم ير من جسدها شيئا فاعجبه ذلك الفعل واستحسنه ثم عاد الى مجلسه وقال من بالباب من الشعراء فقالوا ابو نواس وبشار فقال ليحضرا جميعا فاحضرا فقال الرشيد ليقل كل منكما ابياتا توافق ما في نفسي فانشأ بشار يقول

تحببتكم والقلب صار اليكم	بنفسي ذالك المنزل المتحبب

اذا ذكروا الهجران لا عن ملالة	وذكراهم ببيتهم الى محبب
وقالوا اجتنبنا ولا قرب بيننا	فكيف وانتم ما يجتنبنا نتجنب
على انهم احلى من الشهد عندنا	واعذب من ماء الحياة واطيب

فقال احسنت ولكن ما اصبت ما في نفسي فقل انت يا ابا نواس فجعل يقول

نضت عنها القميص لصب ماء	فورد وجهها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت	بمعتدل ارق من الهواء
ومدت راحة كالماء منها	الى ماء معد في اناء
فلما ان قضت وطرا وهمت	على عجل لتأخذ للرداء
رأت شخص الرقيب على التداني	فاسبلت الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليل	فظل الماء يجري تحت ماء
فسبحان الاله وقد براها	كاحسن ما نكون من النساء

فقال الرشيد سيفا ونطعا فقال له ولم يا امير المؤمنين قال امعنا كنت قال لا والله ولكن شيء خطر ببالي فامر له باربعة آلاف درهم وصرفه انتهى

ويحكى ان امير المؤمنين الرشيد ارق ذات ليلة ارقا شديدا فقام من فرشه وتمشى من مقصورة الى مقصورة وقلقه زائد ونفسه محصورة فلما اصبح قال علي بالاصمعي فخرج الطواشي الى البوابين فقال لهم يقول لكم امير المؤمنين ارسلوا احد الخلف الاصمعي فلما حضر اعلم الخليفة به فاجلسه ورحب به وقال يا اصمعي اريد منك ان تحدثني باجود ما سمعت من اخبار النساء واشعارهن فقال سمعا وطاعة لقد سمعت كثيرا ولم يعجبني سوى ثلاث ابيات انشدهن ثلاث بنات فقال حدثني حديثهن فقال اعلم يا امير المؤمنين اني توجهت سنة الى البصرة فاشتد علي الحر فطلبت مقيلا اقيل فيه فلما انا بينما انا التفت يمينا وشمالا اذا انا بساباط مكنوس مرشوش وفيه دكة من خشب وعليها شباك مفتوح تفوح منه رائحة المسك فدخلت الساباط وجلست على

الدكة واردت الاضطجاع فسمعت كلاما عذبا من فم جارية حسناء وهي تقول يا اختي انا جلسنا يومنا هذا على وجه الصبوح تعالين نطرح ثلثمائة دينار وكل منا تقول بيتا من الشعر فكل من قالت البيت الاعذب الاملح كانت الثلثمائة دينار لها فقلن حبا وكرامة فقالت الكبرى

عجبت له ان زار في النوم مضجعي ... ولو زارني مستيقظا كان اعجبا

فقالت الوسطى

وما زارني في النوم الا خياله ... فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا

فقالت الصغرى

بنفسي واهلي من ارى كل ليلة ... ضجيعي ورياه من المسك اطيبا

فقلت ان كان لهذا المقال جمال فقد تم الامر على كل حال فنزلت عن الدكة واردت الانصراف واذا بالباب قد فتح وخرجت منه جارية وهي تقول اجلس يا شيخ فطلعت على الدكة ثانيا وجلست فدفعت الى ورقة فنظرت خطا في نهاية الحسن مستقيم الالفات مجوف الهاآت مدور الواوات مضمونها نعلم الشيخ اطال الله بقاءه اننا ثلاث بنات اخوات جلسنا على وجه الصبوح وطرحنا ثلثمائة دينار وشرطنا ان كل من قالت البيت الاعذب الاملح كان لها الثلثمائة دينار وقد جعلناك الحكم في ذلك فاحكم بما تراه والسلام فقلت للجارية علي بدواة وقرطاس فغابت قليلا وخرجت الى بدواة مفضضة واقلام مذهبه

فانشأت اقول

احدث عن خود تحدث مرة ... حديث امرئ ساس الامور وجربا

ثلاث كبكرات الصباح جحافل ... خلون بقلب للمشوق معذبا

خلون وقد نامت عيون كثيرة ... من الرأي قد يشهون ان تتغيبا

فبحن بما يخفين من داخل الحشا ... نعم واتخذن الشعر لهوا وملعبا

فقالت عروب ذات عز عزيزة ... وتبسم عن عذب المقالة انسبا

عجبت له ان زار فی النوم مضجعی	ولو زار نی مستیقظا کان اعجبا
فلما انقضی ما زخرفت وتضاحکت	تنفسطت الوسطی وقالت تطربا
وما زارنی فی النوم الا خیاله	فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا
واحسنت الصغری وقالت مجیبة	بلفظ لها قد کان اشهی واعذبا
بنفسی واهلی من اری کل لیلة	ضجیعی وریاه من المسك اطیبا
فلما تدبرت الذی قلن وانبری	لی الحکم لم اترك لذی اللب متعبا
حکمت لصغراهن فی الشعر اننی	رایت الذی قالت هو الحق اصوبا

قال الاصمعی ثم دفعت الرقعة الی الجاریة فلما صعدت الی القصر فاذا برقص و تصفیق ودنیا دانیة وقیامة قائمة فقلت ما بقی لی اقامة فنزلت عن الدکة واردت الانصراف واذا بالجاریة تنادی وتقول اجلس یا اصمعی فقلت ومن اعلمك انی الاصمعی فقالت یا شیخ ان خفی علینا اسمك فما خفی علینا نظمك فجلست واذا بالباب قد فتح وخرجت منه الجاریة الاولی وعلی یدها طبق من فاکهة وطبق من حلوی فتفکهت وتحلیت وشکرت صنعها واردت الانصراف واذا بالجاریة تنادی وتقول اجلس یا اصمعی فرفعت بصری الیها فنظرت کفا احمر فی کم اصفر فخلته البدر یشرق من تحت الغمام ورمت لی بصرة فیها ثلثمائة دینار وقالت هذا صار لی وهو منی لك هبة فی نظیر حکومتك فقال لی امیر المؤمنین لای شیء حکمت للصغری ولم تحکم للکبری ولا للوسطی فقلت له یا امیر المؤمنین اطال الله بقاءك

	ان بیت الکبری قالت	

عجبت له ان زار فی النوم مضجعی وهو محمول معلق علی شرط قد یقع ولا یقع واما الوسطی مر بها طیف خیال فی النوم فسلمت علیه وبیت الصغری ذکرت انها ضاجعته مضاجعة حقیقة وشمت منه انفاسا اطیب من المسك وفدته بنفسها واهلها ولا یفدی بالنفس الا من هو اعز من النفس فقال الخلیفة احسنت یا اصمعی ثم دفع الی ثلثمائة دینار

فاطلبها وانصرفت فكنت اقول لله درك من شعر خانت فی حکومتی منه ثلثمائة دینار وفی حکایة مثلها والله اعلم ومما حکی عن الاصمعی فی نوادره قال سهرت لیلة عند الرشید فی الرقة فقال لی من سعلک یا عبدالله یونسک فقلت یا امیر المؤمنین مالی انیس غیر الوحدة فاسلت واقبل فی حدیثه ماشاء الله ثم نهض ونهضت من حضرته فلما صرت الی منزلی واذا بخادم الامیر یقرع الباب فخرجت فاذا هو شمع وطعبة وعوضا وسعهم جاریة فلما رآنی الخادم دنا منی وقبل یدی وقال لی یقول لک امیر المؤمنین قد امرنا لک بمن یؤنسک وهی جاریة من خواصه ومعی من المال فشکرت امیر المؤمنین ودعوت له وتقدم الخادم بادخال الجاریة وسعها من الالات والخدم والجواری والفرش ما الدار مثله الا عند امیر المؤمنین ثم ودعنی الخادم وانصرف فلما نظرت الی الجاریة رایتها احسن الناس وجها واکملهم قدا وشکلا وخلقا واکثرهم مجونا انی اخلتنی لها هیبة وانقباض فقالت ما هذا الحیاء البارد الذی لا وجه له این ملحک ونوادرک ثم قالت لجاریة من الجواری هات ما عندک فجاءت باحسن ما یکون من الوان الطعام فاکلنا وهی مع ذلک تباسطنی وتؤانسنی بالحدیث والملاعبة ثم دعت بالشراب فشربت وسقتنی ثم قالت ما بقی بعد الاکل والشرب الا النوم والخلوة فقامت ولبست من الثیاب ما ارادت والبستنی ثیابا فاخرة مبیضة وتفرق من کان عندنا ثم اضطجعت الی جانبی فلما جمعنا الفراش اصابنی من الحصر والانقطاع الانعاظ وبرودة الالة ما لم اعهده قبل ذلک فجعلت تقلبه بیدها وتمرضه فلا یزداد الا انکماشا ومرنبا بالاعیتها الحیلة فیه یئست من قیامه ومضی من اللیل اکثره قالت عظم الله اجرک فی ایرک ثم نهضت ولبست ثیاب الحداد ودعت بسفط فاخرجت منه مناديل صنعا ووضعوا ثم قالت تم عل ظهرك يا بطال فاستر لى على المجمل حتى الى امام انهما فى شئ مما تأمر نى به فى جميع ما تفعله في نفسك وحضاته ركبته تلك المناديل فلما فرغت همت بجواريها وقامت معهن فى کا

ونحيب ونوح وندب وصراخ باشد ما يكون وما زالوا على ذلك الى وقت السحر
ثم قالت ما بقي الا ما يتولاه الرجال من الصلاة والدفن وولت عني فقمت وانا احير
خلق الله حالا فلبست ثيابي وصليت الفجر وسرت من وقتي وساعتي الى الرشيد
فانكر الحجاب حضوري في ذلك الوقت واعلم الرشيد بي فأذن لي فدخلت و
هو قاعد في مصلاه فقال لي ويحك ما دهاك في هذا الوقت فقلت يا امير المؤمنين
خبر عجيب وامر غريب فبالله عليك يا امير المؤمنين الا ما رحمتني واخذته
من هذه الجارية التي انفذتها الي فلا حاجة لي بها فقال لي امير المؤمنين وما
السبب لذلك وما الخبر الذي دهاك وليس لها عندك ثلاثة ايام من الزمان فشرحت
له القصة من اولها الى آخرها حتى بلغت الى اقامة الصلاة فاشتد ضحكه حتى انه
كاد ان يستلقي على قفاه وسمعت الضحك من كل ناحية في الدار من الجواري
وغيرهن ثم قال نحن الى هذه احوج منك اليها وقد كنا غافلين عنها ثم انه امر
بحملها الى داره وعوضني عنها خمسين الف درهم وترك جميع ما حمل معها في منزلي
وخرجت مجبورة فحظيت بعد ذلك عند الرشيد حتى انه لم يتقدم عليها احد من
نظائرها وسميت من وقتها هذا بالاصمعية الى ان توفيت رحمة الله عليهم اجمعين
وعن ابي اسحق ابراهيم الموصلي قال استأذنت الرشيد ان يهب لي يوما من
الايام للانفراد بجواري واخواني فاذن لي في يوم السبت فاتيت منزلي واخذت
في اصلاح طعامي وشرابي وما احتجت اليه وامرت البوابين بغلق الابواب
وان لا يأذنوا لاحد بالدخول علي فبينما انا في مجلسي والحرم قد حففن بي واذا
بشيخ ذي هيبة وجمال وعليه خفان قصيران وقميص ناعم وعلى راسه قلنسوة و
بيده عكازة مقمعة بفضة وروائح الطيب تفوح منه حتى ملأت الدار و
الرواق فداخلني غيظ عظيم لدخوله علي وهممت بطرد البوابين فسلم علي احسن
سلام فرددت عليه وامرته بالجلوس فجلس واخذ يحدثني باحاديث العرب و
اشعارها حتى ذهب ما بي من الغضب وظننت ان غلماني تحروا مسرتي لادخال

مثله على لاد به وظرفه فقلت هل لك فى الطعام فقال لاحاجة لى فيه قلت فالشراب قال ذلك اليك فشربت رطلا وسقيته مثله ثم قال يا ابا اسحاق هل لك ان تغنينا شيئا فنسمع من صنعتك ما قد فقت به العام والخاص فغاظنى قوله ثم سهلت الامر على نفسى فاخذت العود وضربت وغنيت فقال احسنت يا ابراهيم فازددت غيظا وقلت اما رضى بما فعله فى دخوله بغير اذنى واقتراحه على حتى سمانى باسمى ولم يجمل مخاطبتى ثم قال هل لك ان تزيد ونكافئك فتزودت واخذت العود فغنيت وتحفظت فيما غنيته وقمت به قياما تاما لقوله ونكافئك فطرب قال احسنت يا سيدى ثم قال اتاذن لى فى الغناء فقلت شانك واستضعفت عقله فى ان يغنى بحضرتى بعد الذى سمعه منى فاخذ العود وجسه فوالله خلت ان العود ينطق بلسان عربى واندفع يغنى هذه الابيات

ولى كبد مقروحة من يبيعنى	بها كبد اليست بذات قروح
اباها على الناس ان يشترونها	ومن يشترى ذا علة بصحيح
ائن من الشوق الذى فى جوانحى	انين غصيص بالشراب طريح

قال ابراهيم فوالله لقد ظننت ان الابواب والحيطان وكل ما فى البيت يجيبه ويغنى معه وبقيت مبهوتا لا استطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبى

ثم اندفع يغنى فقال

الا يا حمامات اللوى عدن عودة	فانى الى اصواتكن حزين
فعدن ولما عدن كدن يمتننى	وكدت باسرارى لهن ابين
دعون بترداد الهدير كانما	شربن الحميا اوبهن جنون
فلم تر عينى مثلهن حمائما	بكين ولم تدمع لهن عيون

قال ثم سكت قليلا وغنى هذه الابيات

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد	فقد زادنى مسراك وجدا على وجدى
ءالئن هتفت ورقاء فى رونق الضحى	على فنن من غصن بان ومن رند
بكيت كما يبكى الوليد صبابة	وابديت من شكواى ما لم اكن ابدى

وقد زعموا ان المحب اذا دنا	يمل وان البعد يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا	على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع	اذا كان من تهواه ليس بذي ود

ثم قال يا ابراهيم هذا الغناء الماخوري خذه وانح نحوه في غنائك وعلمه
جواريك فقلت اعده علي فقال لست تحتاج الى اعادة فقد اخذته وفرغت
منه ثم غاب من بين يديه فارتعبت منه وقمت الى السيف وجردته ثم عدوت
نحو ابواب الحريم فوجدتها مغلقة فقلت للجواري اي شيء سمعتن فقلن سمعنا
غناء اطيب شيء واحسنه فخرجت متحيرا الى باب الدار فوجدته مغلقا فسألت
البوابين عن الشيخ فقالوا اي شيخ فوالله ما دخل اليك اليوم احد فرجعت
لتأمل امره فاذا هو قد هتف بي من جوانب البيت وقال لا بأس عليك يا ابا
اسحاق فانما هو ابو مرة قد كنت نديمك اليوم فلا تفزع فركبت الى الرشيد
فاخبرته الخبر فقال اعد الاصوات التي قد اخذتها فاخذت العود وضربت
فاذا هي راسخة في صدري فطرب الرشيد عليها وجعل يشرب ولم يكن
له همة على الشراب وقال كان الشيخ علم انك قد اخذت الاصوات وفرغت
منها فليته متعنا بنفسه يوما واحدا كما متعك ثم امر لي بصلة فاخذتها وانصرفت
انتهى . وقال الرشيد يوما للفضل بن يحيى وهو بالرقة قد قدم اسماعيل
ابن صالح بن علي وهو صديقك واريد ان اراه فقال ان اخاه عبد الملك
في حبسك وقد نهاه ان يجيئك قال الرشيد فاني اتعلل حتى يجيئني عائدا
فتعلل فقال الفضل لاسماعيل الا تعود امير المؤمنين قال بلى فجاءه عائدا
فاجلسه ثم دعا بالغداء فاكل واكل اسماعيل بين يديه فقال له الرشيد
كاني قد نشطت برؤيتك الى شرب قدح فشرب وسقاه ثم امر فاخرج
جواري يغنين وضربت ستارة وامر بسقيه فلما شرب اخذ الرشيد
العود من يد جارية ووضعه في حجر اسماعيل وجعل في عنقه سبحة وفيها

عشر حبات من در شراؤها بثلاثين الف دينار وقال غن يا اسماعيل وكفر عن يمينك بثمن هذه السبحة فانه فجعل يغني شعر الوليد بن يزيد في غالية اخت عمر بن عبد العزيز وكانت تحبه وهي التي ينسب اليها

سوق الغالية فقال

فاتسم ما دنيت كفي لريبة	ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها	ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
واعلم اني لم تصبني مصيبة	من الدهر الا قد اصابت فتى مثلي

فسمع الرشيد احسن غناء من احسن صوت فقال الرجح يا غلام فجئ بالسرج فعقد له لواء على امارة مصر قال اسماعيل فوليتها سنتين فاوسعتهم عدلا وانصرفت بخمسمائة الف دينار وبلغ اخاه عبد الملك ولايته فقال عنى والله الخبيث لهم ليس هو بصالح انتهى ويروى انه لما دخل هارون الرشيد الى مكة شرفها الله تعالى وابتدأ بالطواف ومنع الخاص والعام من ذلك ليتفرد بالطواف فسبقه اعرابي فشق ذلك على الرشيد فالتفت الى حاجبه منكرا عليه فقال الحاجب للاعرابي تخل عن الطواف حتى يطوف امير المؤمنين فقال الاعرابي ان الله ساوى بين الانام والرعية في هذا المقام فقال عز وجل سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم فلما سمع الرشيد من الاعرابي ذلك راعه امره فامر حاجبه بالكف عنه ثم جاء الرشيد الى الحجر الاسود ليستلمه فسبقه الاعرابي فاستلمه ثم اتى الرشيد الى المقام ليصلي فسبقه الاعرابي فصلى فيه فلما فرغ الرشيد من صلاته قال لحاجبه ائتني بهذا الاعرابي فاتاه الحاجب فقال اجب امير المؤمنين فقال ما لي اليه من حاجة ان كان له حاجة فهو احق بالقيام الي والسعي فقام الرشيد حتى وقف بازاء الاعرابي وسلم عليه فرد عليه السلام فقال له الرشيد يا اخا العرب اجلس هنا بامرك فقال الاعرابي ليس البيت بيتي ولا الحرم حرمي وكلنا فيه سواء فان شئت تجلس وان شئت تنصرف قال الراوي فعظم ذلك على الرشيد

وسمع مالم يكن فی ذهنه وما ظن انه يواجهه بمثل هذا الكلام فی مجلس الرشيد
وقال يا اعرابی اريد ان اسالك عن فرضك فان انت اقمت به فانت بغيره اقوم
وان انت عجزت عنه فانت اعجز فقال الاعرابی سؤالك هذا سؤال تعلم
ام سؤال تعنت فتعجب الرشيد من سرعة جوابه وقال بل سؤال تعلم فقال له الاعرابی
قم فاجلس مقام السائل من المسؤل قال فقام الرشيد وجثی علی ركبتيه بين يدی
الاعرابی فقال قد جلست فاسأل عما بدالك فقال له اخبرنی عما افترض الله عليك فقال
له تسالنی عن ای فرض عن فرض واحد ام عن خمسة ام عن سبعة عشر ام عن اربعة
وثلاثين ام عن خمسة وثمانين ام عن واحدة فی طول العمر ام عن واحدة من اربعين
ام عن خمسة من مائتين قال فضحك الرشيد حتی استلقی علی قفاه استهزاء به ثم
قال له سألتك عن فرضك فاتيتنی بحساب الدهر قال يا هرون لولا ان الدين
بالحساب لما اخذ الله الخلائق بالحساب يوم القيامة فقال تعالی ونضع الموازين
القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفی
بنا حاسبين قال فظهر الغضب فی وجه الرشيد واحمرت عيناه حين يا هارون
ولم يقل له يا امير المؤمنين وبلغ منه مبلغا شديدا غير ان الله تعالی عصمه منه
وحال بينه وبينه لما علم ان الله هو الذی انطق الاعرابی بذلك فقال له الرشيد
يا اعرابی ان فسرت ما قلت نجوت والا امرت بضرب عنقك بين الصفا والمروة
فقال له الحاجب يا امير المؤمنين اعف عنه وهبه لله تعالی ولهذا المقام الشريف
قال فضحك الاعرابی من قولهما حتی استلقی علی قفاه فقال مم تضحك قال عجبا
منكما اذ لا ادری ايكما اجهل الذی يستوهب اجلا قد حضر ام يستعجل اجلا لم
يحضر قال فهال الرشيد ما سمع منه وهانت نفسه عليه ثم قال الاعرابی اما
سؤالك عما افترض الله علی فقد افترض علی فرائض كثيرة فقولی لك عن فرض
واحد فهو دين الاسلام واما قولی عن خمسة فهی الصلوات واما قولی لك عن
سبعة عشر فهی سبعة عشر ركعة واما قولی لك عن اربعة وثلاثين فهی السجدات

واما قولی الك عن خمسة وثمانين فهي التكبيرات واما قولی الك عن واحدة فی
طول العمر فهی حجة الاسلام واحدة فی طول العمر كله واما قولی الك واحدة من
اربعين فهی زكاة الشياه شاة من اربعين شاة واما قولی الك خمس من مائتين
فهی زكاة الورق قال فامتلأ الرشيد فرحا وسرورا من تفسير هذه المسائل و
من حسن كلام الاعرابي وعظم الاعرابی فی عينيه وتبدلت بغضته محبة ثم قال الاعرابی
سألتنی فاجبتك وانا اريد ان اسألك فاجبنی قال قل فقال الاعرابی ما تقول فی
رجل نظر الی امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه محرمة فلما كان وقت الظهر
حلت له فلما كان وقت العصر حرمت عليه فلما كان وقت المغرب حلت له
فلما كان وقت العشاء حرمت عليه فلما كان وقت الصبح حلت له فلما كان وقت
الظهر حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له فلما كان وقت المغرب حرمت
عليه فلما كان وقت العشاء حلت له فقال والله يا اخا العرب لقد اوقعتنی فی بحر لم
يخلصنی منه غيرك فقال له انت خليفة ليس فوقك شئ ولا ينبغی ان تعجز عن مسألة
فكيف عجزت عن مسألتی وانا رجل بدوی لا قدرة لی فقال الرشيد قد عظم
قدرك العلم ورفع ذكرك فاشتهی اكراما لی ولهذا المقام تفسير ذلك فقال حبا
وكرامة ولكن علی شرط ان تجبر الكسير وترحم الفقير ولا تزدری بالحقير فقال حبا
وكرامة ثم قال ان قولی لك عن رجل نظر الی امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه
حراما فهو رجل نظر الی امة غيره وقت الفجر فهی حرام عليه فلما كان وقت الظهر
اشتراها فحلت له فلما كان وقت العصر اعتقها فحرمت عليه فلما كان وقت المغرب
تزوجها فحلت له فلما كان وقت العشاء طلقها فحرمت عليه فلما كان وقت الفجر
راجعها فحلت له فلما كان وقت الظهر ظاهر منها فحرمت عليه فلما كان وقت
العصر اعتق عنها فحلت له فلما كان وقت المغرب ارتد عن الاسلام فحرمت
عليه فلما كان وقت العشاء تاب ورجع الی الاسلام فحلت له قال فاغتبط وفرح
به واشتد اعجابه ثم امر له بعشرة آلاف درهم فلما حضرت قال لا حاجة لی بها ردها

الی اصحابها فقال له اريد ان اجری لك جراية تكفيك مدة حياتك قال الذی
اجری عليك يجری علی قال فان كان عليك دين قضيناه عنك قال لا ولم

يقبل عنه شيئا ثم انشد يقول

هب الدنيا تواتينا سنينا	فتكدر ساعة وتلذ حينا
فما ابغی بشیء ليس يبقی	واتركه غدا للوارثينا
كانی بالتراب علی جبينی	وبالاخوان حولی نادبينا
ويوم تزفر النيران فيه	وتقسم جهرة للسامعينا
وعزة خالقی وجلال ربی	لانتقمن منهم اجمعينا
وقد شاب الصغير بغير ذنب	فكيف يكون حال المجرمينا

فلما فرغ من انشاده تأوه الرشيد وساله عن اهله وبلاده فاخبره انه موسی
الرضی ابن موسی كاظم ابن جعفر الصادق بن محمد باقر ابن علی ابن الحسين بن علی بن ابی طالب
رضی الله عنهم اجمعين وكان يتزيا بزی اعرابی زهدا فی الدنيا وتباعدا عنها فقام
اليه الرشيد وقبل ما بين عينيه ثم قرأ الله اعلم حيث يجعل رسالته وانصرف رحمة
الله عليهم اجمعين وقال السجستانی) ارق الرشيد ليلة فوجه الی الاصمعی والی
حسين الخليع فاحضرهما وقال عللانی وابدأ انت يا حسين فقال حسين نعم يا امير المؤمنين
خرجت فی بعض السنين منحدرا الی البصرة ممتدحا محمد بن سليمان الزينبی بقصيدتی
فقبلها وامرنی بالمقام فخرجت ذات يوم الی المربد وجعلت المهالبة طريقی فاصابنی
حر شديد فدنوت من باب دار كبيرة لاستسقی فاذا انا بجارية كانها قضيب تتثنی
وسنا العينين ازجة الحاجبين مفتوحة الجبين عليها قميص جلناری ورداء عدنی
قد غلب شدة بياض بدنها علی حمرة قميصها تتلألأ من تحت القميص بثديين كرمانتين
وبطن كطی القباطی وعكن كالقراطيس لها جمة جعدة بالمسك محشوة وهی
يا امير المؤمنين متقلدة خرزا من الذهب والجوهر بين نهديها وعلی صحن
جبينها طرة كالسبج وحاجبان مقرونان وعينان نجلاوان وخدان اسيلان

وانف اقنى يحنه ثغر كاللؤلؤ واسنان كالدر وقد غلب عليها الطيب وهى والهة
حيرانة ذاهبة فى الدهليز ورائحة تخطر على اكباد محبيها فى مشيتها وقد خالط اصوات

نعلها خلاخيلها فهى كما قال الشاعر فيها

كل جزء من محاسنها ... كائن من حسنها مثلا

فهبتها يا امير المؤمنين ثم دنوت منها لاسلم عليها فاذا الدهليز والدار والشارع
قد عبق بالمسك فسلمت عليها فردت بلسان منكسر وقلب حزين حريق مسعر فقلت
لها يا سيدتى انى شيخ غريب اصابنى عطش افتامرين بشربة من ماء تؤجرين عليها
قالت اليك عنى يا شيخ فانى مشغولة عن الماء وادخار الزاد قلت لاى علة يا
سيدتى قالت لانى عاشقة لمن لا ينصفنى واريد من لا يريدنى ومع ذلك فانى
ممتحنة برقباء فوق رقباء قلت فهل يا سيدتى على بسيطة الارض من تريدينه
ولا يريدك قالت نعم وذلك الفضل ما ركب فيه من الجمال والكمال والدلال قلت وما
وقوفك فى هذا الدهليز قالت ههنا طريقه وهذا اوان اجتيازه فقلت لها يا سيدتى
فهل اجتمعتما فى وقت من الاوقات او جرى حديث فى هذا القرب فتنفست
الصعداء وارخت دموعها على خدها كطل سقط على ورد ثم انشأت تقول

وكنا كغصنى بانة فوق روضة ... نشم جنى اللذات فى عيشة رغدا
فافرد هذا الغصن من ذاك قاطع ... فيا من رأى فردا يحن الى فرد

قلت يا هذه فما بلغ من عشقك لهذا الفتى قالت ارى الشمس على حائطهم احسب
انها هو وربما اراه بغتة فابهت ويهرب الدم والروح من جسدى وابقى الاسبوع
والاسبوعين بغير عقل فقلت لها فاعذرينى فانت على ما بك من الصبا و
شغل البال بالهوى وانحلال الجسم وضعف القوى ارى بك من اللون ورقة
البشرة فكيف لو لم يمسك الهوى لكنت مفتنة فى ارض البصرة قالت والله قبل محبتى
هذا الغلام كنت تحفة الدلال والجمال والكمال ولقد فتنت جميع ملوك البصرة حتى
افتتننى هذا الغلام قلت يا هذه فما الذى فرق بينكما قالت نوائب الدهر وحديثى

حديثه شان من الشوق وذلك انى كنت قعدت فى يوم نيروز ودعوتُ عدة من
مستظرفات البصرة من النساء الجلالات وكانت فيهن الحوراء جارية شيرازى و
كان مشتراها عليه من بيان بثمانية آلاف درهم وكانت بى ولعه فلما دخلت رمت
بنفسها على تقطعنى قربها ثم اخذ حملونا نزهت القهوة الى ان بدا لها منا
ويجمع من دعونا وكانت تلاعبنى ولاعبها فتارة انا فوقها وتارة هى فوق تحمّلها
السكر الى ان ضربت بيدها الى تكتى فحلتها من غير ريبة كانت بيننا ونزلت سراويلها
ملاعبة فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا حبيبى فرأى ذلك فاشمأزّ لذلك
وصدف عنى صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل لجامها فولّى خارجا
فانا يا شيخ منذ ثلاث سنوات اسأل بجمعته فلا ينظر الى بطرف ولا يكتب الى بحرف ولا
يكلمني رسولا ولا يسمع منى قليلا فقلت لها يا هذه من العرب هو ام من العجم فقالت
ويحك هو من جملة ملوك البصرة فقلت لها شيخ هو ام شاب فنظرت الىّ شزرا
وقالت انك احمق هو مثل القمر ليلة البدر اجرد امرد له طرة كحنك الغراب لا يعيبه
شئ غير انحرافه عنى قلت لها ما اسمه قالت ماذا تصنع به قلت اجتهد فى ان
نعرف الفصل بينكما قالت على شرط ان تحمل البيرد قعة قلت لا اكره ذلك فقالت
اسمه ضمرة بن المغيرة ويكنى بابى السيناء وقصره بالمربد ثم صاحت فى الدار يا جوارى الدواة
والقرطاس وشمرت عن ساعدين كانهما طوقان من فضة وكتبت بعد البسملة
سيدى ترك الدعاء فى صدر رقعتى ينبئ عن تقصيرى وعدتى ان دعوته كنت
دعوته ولولا ان بلوغ المجهود يخرج عن حد التقصير لكان ما انكلفته خادمتك
من كتابة هذه الرقعة معنى مع اسامات الملها ترك الجواب سيدى وجد نظرة
وقت اجتيازك فى الشارع الى الدهليز تحيى به انفسا ميتة واخطط بخط يدك بدلها
الله بكل فضيلة رقعة واجعلها عوضا عن تلك الخلوات التى كانت بيننا فى
الليالى الخاليات التى انت ذاكر لها يا سيدى الست الملك عبة مدنفة فان ربعت
الى الابية كنت لك شاكرة ويد خادمة والسلام تناولت الكتاب وخرجت فلما

غدوة الى باب محمد بن سليمان فوجدت مجلسا محتفلا باللؤلؤ ورأيت غلاما زان المجلس
وفاق على من فيه جمالا وبهجة قد رفعه الامير فوقه فسألت عنه فاذا هو ضمرة بن المغيرة
فقلت فى نفسى بالحقيقة حل بالمسكينة ما حل بها ثم قمت وقصدت المربد فوقفت
على باب داره فاذا هو قد ورد فى موكب فوثبت اليه وبالغت فى الدعاء له وناولته
الرقعة فلما قرأها وفهم معناها قال لى يا شيخ قد استبدلنا بها فهل لك ان
تنظر الى البديل قلت نعم فصاح فى الدار اخرجوا الربد فاذا انا بجارية خابوطية الكبرى
ناهدة الثديين تمشى مشية مستعجل من غير وجل فناولها الرقعة وقال اجيبى
عنها فلما قرأتها اصفرت وعرفت وقالت يا شيخ استغفر الله مما جئت به فخرجت
يا امير المؤمنين وانا اجر رجلى حتى اتيتها واستأذنت عليها فقالت ما وراءك فقلت
البؤس واليأس قالت ما عليك منه فاين الله والقدرة ثم امرت لى بخمسمائة دينار
ثم جزت بعد ايام ببابها فوجدت غلمانا وفرسانا فدخلت فاذا اصحاب ضمرة
يسألونها الرجوع اليه فقالت لا والله لا نظرت له وجها فسجدت لله يا امير المؤمنين
شماتة بضمرة ونفرته من الجارية فاوردت على منه رقعة فاذا فيها بعد التسمية
سيدتى لولا ابقائى عليك ادام الله حياتك لوصفت شطرا من غدرك وبسطت
شطر عتبى عليك وسلكت ظلامتى قبلك اذ كنت الجانية على نفسك ونفسى و
المظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء والمؤثرة علينا غيرنا فخالفت هواى والله المستعان
على ما كان من سوء اختيارك والسلام واوقفتنى على ما حمله اليها من الهدايا والتحف العظيمة
فاذا هو بمقدار ثلاثين الف دينار ثم رأيتها بعد ذلك وقد تزوج بها ضمرة فقال
الرشيد لولا ان ضمرة لسبقنى اليها لكان لها معى شأن من الشؤن انتهى
وحكى مسرور الخادم قال أرق الرشيد ارقا شديدا ليلة من الليالى فقال يا
مسرور من على الباب من الشعراء فخرجت الى الدهليز فوجدت جميل بن
معمر العذرى فقلت له اجب امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فدخلت ودخل
معى الى ان صار بين يدى هارون الرشيد فسلم بسلام الخلافة فرد عليه امره

بالجلوس فقال له الرشيد يا جميل اعندك شيء من الاحاديث العجيبة قال نعم يا امير المؤمنين ايما احب اليك ما عاينته ورأيته او ما سمعته ووعيته فقال بل حدثني عما عاينته ورأيته فقال نعم يا امير المؤمنين اقبل علي بكلك واصغ الي باذنك قال فعمد الرشيد الى مخدة من الديباج الاحمر المزركش بالذهب محشوة بريش النعام فجعلها تحت فخذه ثم مكن منها مرفقيه وقال هلم بحديثك فقال اعلم يا امير المؤمنين اني كنت مفتونا بفتاة محبا لها وكنت آلفا لها اذ هي سولي وبغيتي من الدنيا وان اهلها رحلوا بها لقلة المرعى فاقمت مدة لم ارها ثم ان الشوق اقلقني وجذبني اليها فراودتني نفسي بالمسير اليها فلما كانت ذات ليلة من الليالي هزني الوجد اليها فقمت وشددت رحلي على ناقتي واعتممت بعمتي ولبست اطماري وتقلدت بسيفي وتنكبت بحجفتي وركبت ناقتي وخرجت طالبا لها وكنت اجد في السير فسرت وكانت ليلة مظلمة مدلهمة وانا مع ذلك اكابد هبوط الاودية وصعود الجبال اسمع زئير الاسد وعواء الذئاب واصوات الوحوش من كل جانب وقد ذهل عقلي وطاش لبي ولساني لا يفتر عن ذكر الله تعالى فبينما انا اسير كذلك اذ غلبني النوم فاخذتني الناقة عن غير الطريق التي كنت فيها وزاد علي النوم واذا انا بشيء لطمني في رأسي فانتبهت فزعا مرعوبا فاذا انا باشجار وانهار ومياه واطيار على تلك الاغصان تزعق بلغاتها والحانها واشجار تلك المروج مشتبكة بعضها ببعض فنزلت عن ناقتي واخذت زمامها بيدي ولم ازل اتلطف بها الى ان خرجت بها من تلك الاشجار الى ارض فلاة فاصلحت كورها واستويت راكبا على ظهرها ولا ادري الى اين اذهب ولا الى ما تسوقني الاقدار فمددت نظري في تلك البرية فلاحت لي نار في صدرها فوكزت ناقتي وصرت طالبا الى ان وصلت الى تلك النار فقربت منها وتاملت واذا بخباء مضروب ورمح مركوز وراية قائمة وخيل واقفة وابل سائمة فقلت في نفسي يوشك ان يكون لهذا الخباء شأن عظيم فاني لا ارى في هذه البرية سواه ثم تقدمت الى خلف الخباء وقلت السلام عليكم يا اهل الخباء

ورحمة الله وبركاته فخرج الي من الخباء غلام من ابناء تسعة عشر سنة كانه البدر اذا اشرق والشجاعة لائحة بين عينيه فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا اخا العرب اني اظنك ضالا عن الطريق فقلت الامر كذلك ارشدني يرحمك الله تعالى فقال يا اخا العرب ان بلدنا هذه مسبعة وهذه الليلة مظلمة موحشة شديدة الظلمة والبرد ولا آمن عليك من الوحش ان يفترسك فانزل عندي على الرحب والسعة فاذا كان الغد ارشدتك الى الطريق قال فنزلت عن ناقتي وعقلتها بفاضل زمامها ونزعت ما كان علي من الاطمار وجلست ساعة واذا بالشاب قد عمد الى شاة فذبحها واتى نارا فاضرمها واججها ثم دخل الى الخباء واخرج ابزارا ناعمة وملحا مطيبا واقبل يقطع من اللحم ويشوي على النار ويطعمني ويتنهد تارة ويبكي تارة اخرى

ثم شهق شهقة عظيمة وبكى بكاء شديدا وانشد يقول

لم يبق الا نفس خافت	ومقلة انسانها باهت
لم يبق في اعضائه مفصل	الا وفيه سقم ثابت
ودمعه جار واحشاؤه	توقد الا انه ساكت
تبكي له اعداؤه رحمة	يا ويح من يرثي له الشامت

قال جميل فعند ذلك يا امير المؤمنين علمت ان الغلام عاشق ولهان لا يعرف الهوى الا من ذاق طعم الهوى فقلت في نفسي انا في منزل الرجل واتهجم عليه في السؤال فردعت نفسي واكلت من ذلك اللحم بحسب الكفاية فلما فرغ من الاكل قام الشاب ودخل الخباء واخرج طشتا نظيفا وابريقا حسنا ومنديلا من الحرير واطرافه مزركشة بالذهب الاحمر وقمقما مملوءا من ماء الورد الممسك قال فتعجبت من ظرفه ورقة حاشيته وقلت في نفسي ما اغرب الظرف في البادية ثم غسلنا ايدينا وتحدثنا ساعة ثم انه قام ودخل الى الخباء وقطع بيني وبينه بقطع من الديباج الاحمر ثم خرج وقال ادخل يا وجه العرب وخذ مضجعك فقد لحقك في هذه الليلة تعب وفي سفرك هذا نصب مفرط قال جميل فدخلت فاذا انا بفراش

من الديباج الاخضر فعند ذلك نزعت ما كان على من الثياب ونمت بليلة لم انم
عمري مثلها فلم ازل كذلك وانا متفكر في امر هذا الشاب الى ان جن الليل ونامت
العيون فلم اشعر الا بجس خفي لم اسمع الطف منه ولا ارق حاشية فرفعت سجاف
المضرب ونظرت فاذا انا بصبية لم ار احسن منها وجها وهي الى جانبه وهما يبكيان و
يتشاكيان الم الهوى والصبابة والجوى وشدة اشتياقهما الى التلاق فقلت يا لله
العجب من هذا الشخص الثاني وهذا فرد بيت فاني لم ار فيه غير هذا الفتى وليس
حوله احد ثم قلت في نفسي لا شك ان هذه الجارية من بنات الجن تهوى هذا الغلام
وقد تفرد بها في هذا المكان وتفردت به فحققتها فاذا هي انسية عربية اذا
سفرت تخجل الشمس المضيئة وقد اضاء الخباء من نور وجهها فلما تحققت انها
محبوبته غلبتني الغيرة على الحب فارخيت الستر وغطيت وجهي ونمت فلما اصبحت
لبست ثيابي وتوضأت لصلاتي وصليت ما كان علي من الفرض ثم قلت له يا
اخا العرب هل لك ان ترشد الى الطريق فقد تفضلت علي فنظر الي وقال على رسلك
يا وجه العرب الضيافة ثلاثة ايام وما كنت بالذي يدعك الا ثلاثة ايام قال جميل
فاقمت عنده ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع جلسنا للحديث فحادثته وسألته عن
اسمه ونسبه فقال اما نسبي فانا من بني عذرة وانا فلان بن فلان وعمي فلان
فاذا هو ابن عمي يا امير المؤمنين وهو من اشرف بيت في بني عذرة قال فقلت يا
ابن العم ما حملك على ما اراه منك من الانفراد في هذه البرية وكيف تركت
عبيدك واماءك وانفردت بنفسك في هذا المكان فلما سمع يا امير المؤمنين كلامي
تغرغرت عيناه بالبكاء ثم قال يا ابن العم انني كنت محبا لابنة عمي مفتونا بها هائما بحبها
مجنونا عليها لا اطيق الفراق عنها فزاد عشقي لها فخطبتها من عمي فابى ان يزوجنيها
وزوجها من رجل من بني عذرة ودخل بها واخذها الى المحلة التي هو فيها من
العام الاول فلما بعدت عني وحجبت عن النظر اليها حملتني لوعات الهوى وشدة
الشوق والجوى على تركي اهلي ومفارقتي عشيرتي وخلاني وجميع نعمتي وانفردت

بهذا البيت فی هذه البرية والفت وحدتی فقلت واین ابیاتهم قال هم قریب فی ذروة هذا الجبل وهی کل لیلة عند نوم العیون وهدوء من اللیل تنسل من الحی سرا بحیث لا یشعر بها احد فاقضی منها بالحدیث وطرا و تقضی هی کذلك وها انا مقیم کذلك علی هذا الحال انسلی بها ساعة من اللیل لیقضی الله امرا کان مفعولا او یأتینی الامر علی رغم الحاسدین او یحکم الله لی وهو خیر الحاکمین قال جمیل فلما حدثنی الغلام یا امیر المؤمنین غمنی امره وصرت من ذلك فی حیرة لما اصابنی علیه من الغیرة فقلت له یا ابن العم هل لك ان ادلك علی حیلة اشیر بها علیك و فیها ان شاء الله عین الصلاح وسبیل الرشد والنجاح وبها یفرج الله علیك الذی تخشاه فقال لی قل یا ابن العم فقلت له اذا کان اللیل وجاءت الجاریة فاطرحها علی ناقتی فانها سریعة الرواح وارکب انت جوادك وانا ارکب بعض هذه النوق واسیر بکم اللیلة جمیعها فما یصبح الصباح الا وقد قطعت بکم براری وقفارا وتکون قد بلغت مرادك وظفرت بمحبوبة قلبك وارض الله واسعة فضاها وانا والله مساعدك ماحییت بروحی ومالی وسیفی فلما سمع ذلك قال لی یا ابن العم حتی اشاورها فی ذلك فانها عاقلة لبیبة بصیرة بالامور قال جمیل فلما جن اللیل وحان وقت مجیئها وهو ینتظر الوقت المعلوم فابطأت عن عادتها فرایت الفتی وقد خرج من باب الخباء وفتح فاه وجعل یتنسم هبوب الریح التی تهب من نحوها وانشد یقول

ریح الصبا تهدی الی نسیم	من بلدة فیها الحبیب مقیم
یا ریح فیك من الحبیب علامة	افتعلمین متی یکون قدوم

ثم دخل الخباء وقعد ساعة زمانیة وهو یبکی ثم قال لی یا ابن العم ان لابنة عمی فی هذه اللیلة نبأ وقد حدث لها حادث وعاقها عنی عائق ثم قال لی کن مکانك حتی آتیك بالخبر ثم اخذ سیفه وحجفته ثم غاب عنی ساعة من اللیل ثم اقبل وعلی یده شئ یحمله ثم صاح الی فاسرعت الیه فقال اتدری یا ابن العم ما الخبر فقلت لا والله فقال لقد فجعت فی ابنة عمی فی تلك اللیلة لانها کانت توجهت الینا کعادتها

اذ عرض لها في طريقها اسد فافترسها ولم يبق منها الا ماترى ثم انه طرح ما كان
على يده فاذا هو مشاش الجارية وما فضل من عظامها ثم بكى بكاء شديدا ورمى الترس
من يده واخذ كساء على يده ثم قال لي لا تبرح الى ان آتيك ان شاء الله تعالى ثم سار
فغاب عني ساعة ثم عاد بيده رأس الاسد فطرحه عن يده ثم طلب ماء فاتيته به فغسل
فم الاسد وجعل يقلبه ويبكي ويئن وزاد حزنه عليها وانشد يقول

الا ايها الليث المغتر بنفسه	هلكت لقد هيجت لي بعدها شجنا
وصيرتني فردا وقد كنت الفها	وصيرت بطن الارض لي ولها وطنا
اقول لدهر خانني بفراقها	وغار عليها ان اكون لها حزنا

ثم قال يا ابن العم سألتك بالله وبحق القرابة والرحم التي بيني وبينك الا حفظت
وصيتي انك ستراني الساعة ميتا بين يديك فاذا كان كذلك فغسلني وكفني انا و
هذا الفاضل من مشاش الجارية في هذا الثوب وادفنا في قبر واحد واكتب على قبرنا
هذه الابيات وانشا يقول

كنا على ظهرها والعيش في رغد	والشمل مجتمع والدار والوطن
ففرق الدهر والتصريف الفتنا	وصار يجمعنا في بطنها الكفن

قال ثم بكى بكاء شديدا ثم دخل المضرب وغاب عني ساعة وخرج وجعل
يتنهد ويصيح ثم شهق شهقة فارق الدنيا فلما رأيت ذلك منه عظم علي وكبر عندي
حتى كدت ان الحق به من شدة حزني عليه ثم تقدمت اليه وفعلت به ما امرني
من الغسل وكفنتهما جميعا ودفنتهما في قبر واحد واقمت عند قبرهما ثلاثة ايام ثم
ارتحلت واقمت سنين اتردد الى زيارتهما وهذا ما كان من حديثهما يا امير المؤمنين
قال فلما سمع الرشيد كلامه استحسنه وخلع عليه واجازه جائزة حسنة والله اعلم
(حكاية اجنبية) قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي بينما انا ذات يوم في منزلي وكان
زمن الشتاء وقد انتشرت السحب وتراكمت الامطار تقطر كافواه القرب وامتنع
الغادي والمقبل من المسير في الطرقات لما فيها من الامطار والوحل وانا ضيق الصدر

اذ لم يأتني احد من اخواني ولم اقدر على المسير اليهم من شدة الوحل والطين فقلت لغلامي احضر لي ما اتشاغل به فاحضر لي طعاما وشرابا فتنغصته اذ لم يكن معي من يؤانسني ولم ازل اتطلع من الطاقات واراقب الطرقات واقبل الليل فتذكرت جارية لبعض اولاد المهدي كنت اهواها وكانت عارفة بالغناء وتحريك الملاهي فقلت في نفسي لو كانت الليلة عندنا لتم سروري وطابت ليلتي مما انا فيه من الفكر والقلق واذا بداق يدق الباب وهو يقول ايدخل محبوب على الباب واقف فقلت في نفسي لعل غرس التمني اثمر فقمت الى الباب فاذا بصاحبتي وعليها مرط اخضر قد اتشحت به وعلى رأسها وقاية من الديباج تقيها من المطر وقد غرقت في الطين الى ركبتها وابتل ما عليها من المزاريب وهي في حال عجيب فقلت لها يا سيدتي ما الذي اتى بك في مثل هذه الاوحال فقالت قاصدك جاءني ووصف ما عندك من الصبابة والشوق فلم يسعني الا الاجابة والاسراع نحوك فتعجبت من ذلك وكرهت ان اقول لها اني لم ارسل اليك احدا فقلت الحمد لله على جمع الشمل بعد ما قاسيت من الم الصبر ولو كنت ابطأت علي ساعة كنت احق بالسعي اليك فاني كثير الصبابة نحوك ثم قلت لغلامي هات الماء فاقبل بسخانة فيها ماء حار حتى اصلح لها حالها ثم امرته ان يصب الماء على رجليها وتوليت غسلهما ثم دعوت ببدلة من افخر الملبوس فالبستها اياها بعد ان نزعت ما كان عليها وجلسنا ثم استدعيت بالطعام فابت فقلت هل لك في الشراب فقالت نعم فتناولت اقداحا ثم قالت من يغني لي فقلت لها انا يا سيدتي فقالت لا احب فقلت بعض جواري قالت لا اريد فقلت غني لنفسك قالت ولا انا قلت فمن يغنيك قالت التمس من يغني لي فخرجت طاعة لها الا اني آيس من ان اجد احدا في مثل هذا الوقت فلم ازل حتى بلغت الشارع فاذا انا بأعمى يخبط الارض بعصاه وهو يقول لا جزى الله من كنت عندهم خيرا ان غنيت لم يسمعوا وان سكت استخفوا بي فقلت اعمى انت قال نعم قلت فهل لك ان

تتم ليلتك عندنا وتؤانسنا قال ان شئت خذ بيدى فاخذت بيده وسرت الى الدار وقلت لها يا سيدتى اتيت بمغن اعمى نلتذ به ولا يرانا فقالت على به فادخلته وعزمت عليه فى الطعام فاكل اكلا لطيفا وغسل يده وقدمت اليه الشراب فشرب ثلاثة اقداح ثم قال لى من تكون قلت اسحاق بن ابراهيم الموصلى قال لقد كنت اسمع بك والآن فرحت بمنادمتك فقلت يا سيدى فرحت بمن يسرك فقال غن يا اسحاق فاخذت العود على سبيل المجون وقلت السمع والطاعة فلما غنيت وانقضى الصوت قال يا اسحاق قاربت ان تكون مغنيا فصغرت على نفسى والقيت العود من يدى فقال ما عندك من يحسن الغناء قلت عندى جارية قال مرها فلتغن قلت تغنى وانت واثق بغناها قال نعم فغنت قال ما صنعت شيئا فرمت العود من يدها مغضبة وقالت الذى عندنا جدنا به فان كان عندك شئ فتصدق به فقال على بعود لم تمسه يد فامرت الخادم فجاء بعود جديد فضرب فى طريق لا اعرفها واندفع يغنى هذه الابيات

سرى يقطع الظلماء والليل عاكف	حبيب باوقات الزيارة عارف
وما راعنا الا السلام وقولها	ايدخل محبوب على الباب واقف

قال فنظرت الى الجارية شزرا وقالت سر بينى وبينك ما وسعه صدرك ساعة واودعته لهذا الرجل فحلفت لها ثم اعتذرت اليها واخذت اقبل يديها وادغدغ ثديها واعض خديها حتى ضحكت ثم التفت الى الاعمى وقلت غن يا سيدى فاخذ العود وغنى هذه الابيات

الا ربما زرت الملاح وربما	لمست بكفى للبنان المخضبا
ودغدغت رمان الصدور ولم ازل	اعضعض تفاح الخدود المكتبا

فقلت لها يا سيدتى من اعلمه بما نحن فيه قالت صدقت ثم تجنبناه فقال انى لحاقن فقلت يا غلام خذ الشمعة وامض بين يديه فخرج وابطأ فخرجنا فى طلبه فلم نجده واذا الابواب مغلقة والمفاتيح فى الخزانة فلا ندرى افى السماء صعد

او فی الارض هبط ثم علمت انه ابلیس و انه قادلی ثم انصرف فتذکرت قول

(ابی نواس حیث قال)

عجبت من ابلیس فی کبره		وخبث ما اضمر فی نیته
تاه علی آدم فی سجدة		وصار قوادا لذریته

ونظیر ذلک مما یستظرف لابی نواس ماحکی عنه انه قال ضجرت من ملازمة امیر المؤمنین هارون الرشید حتی انی لم اجد فراغا الی نفسی فتوجه امیر المؤمنین الی السرح لیبیت فیه ثم یعود فوجدت لروحی فرصة فدخلت داری واغلقت بابی واحضرت شرابا وطلبت نفسی الخلوة فعند المساء واذا بالباب یطرق فخرجت واذا انا بظبی من اولاد الاتراک ما رات عینی احسن منه منظرا فسلم علی وقال لی اتقبل ضیفا قلت یا سیدی ومن لی بذلک فدخل بیتی فحار عقلی عند دخوله ثم اخرج من تحت ثیابه سلاحیة شراب ونقلا وشیئا من الدجاج ثم شرب وغنی شیئا لم اسمع من غیره وقضیت مرادی منه مرارا الی ان مضی وقت من اللیل وقد هام عقلی من الشراب ومن حسنه ومن تسلیم نفسه الی بغیر نقد ولا عوض ثم قال یا سیدی اریدالانصراف فقلت له یا سیدی متی خرجت انت خرجت روحی من جسدی وکل شیء املکه بین یدیک وانا اصیر عبدک بعد هذا الیوم ولا افارقک قال اصحیح ما تقول قلت نعم قال ما انا محتاج الی مالک وان کنت صادقا فیما ادعیت من محبتک لی قم واحلق لحیتک وشاربک وتقعد مثلی امرد قال فحکم علی السکر والعشق فما قدرت ان اخالفه فاجبته الی ذلک علی انه یبیت عندی فعمد الی موسی وبل لحیتی وفی الحال ازالها وبقیت مثله امرد ثم صار یضحک علی وقال یا ابا نواس کیف الشعر الذی ذکرت فیه آدم وابلیس فانشد

(فانشدته قائلا)

عجبت من ابلیس فی کبره		وخبث ما اضمر فی نیته
تاه علی آدم فی سجدة		وصار قوادا لذریته

ثم ضحك ضحكا عاليا وصل على ساحل نفاه صكا من عجبا فاغتظت منه ثم قلت له ويلك انفعل بي هكذا ثم اردت التطلع اليه فما وجدت احدا بجنبي فقلت انه الملعون ابليس انتهى قال بعضهم

قد جاءني بالليل ابو مرة ... ابليس يدعوني بلا ترجمان
وقال هل لك في امرد ... يهتز من اعطافه غصن بان
قلت نعم قال وفي خمرة ... جيا بها يحكي عقود الجمان
قلت نعم قال فنم آمنا ... فانت رئيس هذا الزمان

وقال ابو نواس

وليلة طال سهادي بها ... فزارني ابليس عند الرقاد
وقال هل لك في قحبة ... لبيبة تطرد عنك الرقاد
قلت نعم قال وفي قهوة ... عتقها العاصر من عهد عاد
قلت نعم قال وفي مطرب ... اذا انشد ايطرب منه الجماد
قلت نعم قال وفي شادن ... قد كحلت اجفانه بالسواد
قلت نعم قال وفي طفلة ... في وجنتيها للحياء اتقاد
قلت نعم قال فنم آمنا ... يا كعبة الفسق ومركز الفساد

وقال زين الدين عمر بن الوردي معارضا لذلك

نمت وابليس اتى ... بحيلة منتد به
فقال ما قولك في ... حشيشة منتخبه
فقلت لا قال ولا ... خمرة كرم مذهبه
فقلت لا قال ولا ... مليحة مطيبة
فقلت لا قال ولا ... اغيد بالبدر اشتنبه
فقلت لا قال ولا ... آلة لهو مطربة
فقلت لا قال فنم ... ما انت الا حطبه

واحضر ابو نواس عند الرشيد ليلة انس وكان ابو طوق حاضرا وكان ابو نواس مشغوفا بحسنه وجماله فلما انقضى المجلس اخذ كل واحد مضجعا للنوم فخاف الخليفة من ابى نواس على ابى طوق فقال الخليفة لابى طوق ثم انت على السرير وقال لابى نواس نام انا وانت اسفل السرير فقال سمعا وطاعة وهو بذلك غير راض فى نفسه وتغافل الخليفة عن ابى نواس واظهر النوم ثم انتبه فوجد ابا نواس فوق السرير بجنب ابى طوق يضمه ويعانقه فقال ما هذا يا ابا نواس فقال هزنى الشوق من اجل ابى طوق فقد خرجت من اسفل جئت الى فوق فقال له قاتلك الله انتهى من حلبة الكميت

(ومن غريب ما يحكى) ما حكاه القاضى ابو الحسن التنوخى فى كتاب الفرج بعد الشدة ان منارة وكان صاحب شرطة الرشيد قال رفع الى هارون الرشيد ان رجلا بدمشق من بقايا بنى امية عظيم المال كثير الجاه مطاع فى البلد له جماعة واولاد ومماليك يركبون الخيل ويحملون السلاح ويغزون الروم وانه سمح جواد كثير البذل والضيافة وانه لا يؤمن منه فعظم ذلك على الرشيد قال منارة وكان وقوف الرشيد على هذا بالكوفة فى بعض حججه فى سنة ست وثمانين ومائة وقد عاد من الموسم وقد بايع للامين والمأمون والمعتصم اولاده فدعانى وهو خال وقال انى دعوتك لامر يهمنى وقد منعنى النوم فانظر كيف يكون ثم قص على خبر الاموى وقال اخرج الساعة فقد اعددت لك الخيول وازحت علتك فى الزاد والنفقة والآلة وتضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا كتابى الى نائب دمشق وهذه قيود فابدأ بالرجل فان سمع واطاع فقيده وجئنى به وان عصى فتوكل عليه انت ومن معك لئلا يهرب وانفذ الكتاب الى امير دمشق ليكون مساعدا واقبضا عليه وجئنى به واجلتك لذهابك ستا ولايابك ستا ويوما للمقامك وهذا محمل تجعله فى شقة منه اذا قيدته وتقعد انت فى الشقة الاخرى ولا تكل حفظه الى غيرك حتى تأتينى به فى الثالث عشر يوما من خروجك فاذا دخلت داره فتفقدها وجميع ما فيها من اهله وولده وحاشيته وغلمانه وقدر نعمته

والحال والمحل واحفظ ما يقوله الرجل حرفا بحرف من الفاظه منذ يقع طرفك
عليه حتى تأتيني به واياك ان يشكل عليك شيئا من امره انطلق قال منارة
فودعته وانطلقت وخرجت فركبت الابل وسرت اطوى المنازل اسير الليل
والنهار ولا انزل الا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس لناس قليلا الى ان
وصلت الى دمشق فى اول الليلة السابعة وابواب البلد مغلقة فكرهت طروقها
ليلا فبت بظاهر البلد الى ان فتح بابها من غد فدخلت على هيئتي حتى اتيت باب
الرجل وعليه صف عظيم وحاشية كثيرة فلم استأذن ودخلت بغير اذن فلما
رأى القوم ذلك سألوا بعض من معي عني قال هذا منارة رسول امير المؤمنين
الى صاحبكم قال فلما صرت فى صحن الدار نزلت ودخلت مجلسا رايت فيه قوما
جلوسا فظننت ان الرجل فيهم فقاموا ورحبوا بي فقلت افيكم فلان قالوا لا
نحن اولاده وهو فى الحمام فقلت استعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وانا اتفقد
الدار والاحوال والحاشية فوجدتها ماجت باهلها موجا كثيرا فلم ازل كذلك
حتى خرج الرجل بعد ان طال مكثه واستربت منه واشتد قلقي وخوفي من ان
يتوارى الى ان رايت شخصا بزى الحمام يمشى فى صحن الدار وحواليه جماعة كهول
واحداث وصبيان وهم اولاده وغلمانه فقلت انه الرجل فجاء وجلس وسلم علي
سلاما خفيفا وسألني عن امير المؤمنين واستقامة امر حضرته فاخبرته بما
وجب وما قضى كلامه حتى جاؤا باطباق فاكهة فقال تقدم يا منارة وكل معنا
فقلت مالى الى ذلك من سبيل فلم يعاودني فاكل هو ومن معه ثم غسل يديه
ودعا بالطعام فجاؤا اليه بمائدة حسنة لم ار مثلها الا للخليفة فقال يا منارة ساعدنا
على الاكل لا يزيد لى على ان يدعوني باسمي كما يدعوني الخليفة فامتنعت عليه
فما عاودني فاكل هو ومن معه وكانوا تسعة من اولاده فتاملت اكله فى نفسه فوجدته
ياكل اكل الملوك ووجدت ذلك الاضطراب الذى كان فى داره قد سكن ووجدتهم
لا يرفعون شيئا من بين يديه قد وضع على المائدة الا نهبا غيره حالا اعظم

واحسن منه وقد كان غلمانه اخذوا لما نزلت الى الدار مالى وغلمانى وعدلوا
بهم الى دار اخرى فما اطاقوا ايما نعتهم وبقيت وحدى وليس بين يدى الاخمس
او ست غلمان وقوف على راسى فقلت فى نفسى هذا جبار عنيد فان امتنع
من الشخوص لم اطق اشخاصه بنفسى ولا بمن معى ولا حفظه الا ان يلحقنى امير
البلد وجزعت جزعا شديدا ورابنى منه استخفافه وتهاونه بامرى يدعونى
باسمى ولا يفكر فى امتناعى من الاكل ولا يسأل عما جئت به ويأكل مطمئنا وانا
مفكر فى ذلك فلما فرغ من اكله وغسل يديه دعا بالبخور فتبخر وقام الى الصلاة
وصلى الظهر واكثر من الدعاء والابتهال ورايت صلاته حسنة فلما انتقل من المحراب
اقبل على وقال ما اقدمك يا اسمارة فاخرجت كتاب امير المؤمنين ودفعته اليه
ففضه وقرأه فلما استتم قرأته دعا اولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق كثير فلم اشك
انه يريد انه يوقع بى فلما تكاملوا ابتدأ فحلف ايمانا غليظة فيها الطلاق والعتاق
والحج والصدقة والوقف ان لا يجتمع اثنان فى موضع واحد وامرهم ان ينصرفوا
و يدخلوا منازلهم ولا يظهروا الى ان يكشف لهم امر يعتمدون عليه وقال هذا كتاب
امير المؤمنين بالمضى اليه ولست اقيم بعد نظرى فيه ساعة واحدة واستوصوا
بمن ورائى من الحرم خيرا ومالى حاجة ان يصحبنى احد هات قيودك يا اسمارة فدعوت
بها وكانت فى سفط ومد يده فقيدته وامرت غلمانى بحمله حتى صار فى المحمل و
ركبت فى الشق الآخر وسرت من وقتى ولم الاق امير البلد ولا غيره وسرت بالرجل
وليس معه احد الى ان صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثنى بانبساط حتى انتهينا الى
بستان حسن فى الغوطة فقال لى اترى هذا قلت نعم قال انه لى وقال ان فيه
من غرائب الاشجار كيت وكيت ثم انتهى الى آخر فقال مثل ذلك ثم انتهى الى مزارع
حسان وقرى فقال مثل ذلك هذا لى فاشتد غيظى منه وقلت الست تعلم ان
امير المؤمنين اهمه امرك حتى ارسل اليك من انتزعك من بين اهلك ومالك
وولدك واخرجك فريدا مقيدا مغلولا ما تدرى الى ما يصير اليه امرك ولا كيف

يكون وانت فارغ القلب من هذا حتى تصف ضياعك وبساتينك بعد
ان جئتك وانت لا تفكر فيما جئت به وانتشت ساكن القلب قليل التفكر
لقد كنت عندى شيخا فاضلا فقال لى مجيبا انا لله وانا اليه راجعون اخطأت
فراستى فيك لقد ظننت انك رجل كامل العقل وانك ما حللت من الخلفاء
هذا المحل الا لما عرفوك فاذا عقلك وكلامك يشبه كلام العوام والله المستعان
اما قولك فى امير المؤمنين واذعاجه واخراجه اياى الى بابه على صورتى هذه
فانى على ثقة من الله عزوجل الذى بيده ناصية امير المؤمنين ولا يملك
امير المؤمنين لنفسه نفعا ولا ضرا الا باذن الله عزوجل ولا ذنب لى عند امير
المؤمنين اخافه وبعد فاذا عرف امير المؤمنين امرى وعرف سلامتى وصلاح
ناحيتى سرحنى مكرما فان الحسدة والاعداء رمونى عنده بما ليس فى وتقولوا
على الاقاويل ويستحل دمى ويخرج من ايذاءى وازعاجى ويردنى مكرما ويقيمنى
ببلاده معظما مبجلا وان كان قد سبق فى علم الله عزوجل انه يبدو لى منه سوء
وقد اقترب اجلى وكان سفك دمى على يده فلو اجتهدت الملائكة والانبياء واهل
الارض والسماء على صرف ذلك عنى ما استطاعوا فلم اتعجل الفكرة فيما فرغ الله منه
وانى احسن الظن بالله الذى خلق ورزق واحيا وامات وان الصبر والرضا والتسليم
الى من يملك الدنيا والآخرة وقد كنت احسب انك تعرف هذا فاذن قد عرفت مبلغ
فهمك فانى لا اكلمك بكلمة واحدة حتى يفرق بيننا امير المؤمنين ان شاء الله تعالى
ثم اعرض عنى فما سمعت منه لفظة غير القرآن والتسبيح اوطلب ماء اوحاجة حتى شارفنا
الكوفة فى اليوم الثالث عشر بعد الظهر والنجيب قد استقبلتنى قبل سنة فراسخ من
الكوفة يتجسسوا خبرى فحين رأونى رجعوا عنى متقدمين بالخبر الى امير المؤمنين
فانتهيت الى الباب فى آخر النهار فحططت رحلى ودخلت على الرشيد وقبلت الارض
بين يديه ووقفت فقال هات ما عندك يا منارة واياك ان تغفل منه عن لفظة
واحدة فسقت الحديث من اوله الى آخره حتى انتهيت الى ذكر الفاكهة والطعام و

الغسل والبخور وما حدثتني به نفسي من امتناعه والغضب بظهر في وجه امير
المؤمنين وبين يديه حتى انتهيت الى فراغ الامور من الصلاة والتفاته الي و
سؤاله عن سبب قدومي ودفعي الكتاب اليه ومبادرته الى احضار ولده واهله
واصحابه وحلفه عليهم ان لا يتبعه احد وصرفه اياهم ومدّه رجليه فقيدته فمازال
وجه الرشيد يسفر فلما انتهيت الى ما خاطبني به عند قوبني له لما ركبنا في
المحمل فقال صدق والله ما هذا الا رجل محسود على النعمة مكذوب عليه ولعمري
لقد ازعجناه وآذيناه ورعنا اهله فبادر بنزع قيوده واتني به قال فخرجت فنزعت عنه
قيوده وادخلته الى الرشيد فما هو الا ان رآه حتى رايت ماء الحياة يجول في وجه
الرشيد فدنا الاموي وسلم بالخلافة ووقف فرد عليه الرشيد ردا جميلا وامره
بالجلوس فجلس واقبل عليه الرشيد فسأله عن حاله ثم قال له بلغنا عنك فضل
هيئة وامور احببنا معها ان نراك ونسمع كلامك ونحسن اليك فاذكر حاجتك
فاجاب الاموي جوابا جميلا وشكر ودعا ثم قال ليس لي عند امير المؤمنين الا حاجة
واحدة فقال مقضية فما هي قال يا امير المؤمنين تردني الى بلدي واهلي وولدي
قال نفعل ذلك ولكن سل ما تحتاج اليه من مصالح جاهك ومعاشك فان مثلك
لا يخرج الا ويحتاج الى شئ من هذا فقال يا امير المؤمنين عمالك منصفون وقد
استغنيت بعدلهم عن مسألتي فاموري مستقيمة وكذلك اهل بلدي بالعدل
الشامل في ظل امير المؤمنين فقال الرشيد انصرف محفوظا الى بلدك واكتب
الينا بامر ان عرض لك فودعه الاموي فلما ولى خارجا قال الرشيد يا منارة احمله
من وقتك وسر به راجعا كما سرت به حتى اذا وصلت الى مجلسه الذي اخذته منه فودعه
وانصرف قال منارة فما زلت معه حتى انتهى الى محله ففرحت به اهله واعطاني
عطاء جزيلا وانصرفت والله اعلم وهذه الحكاية على سبيل الاختصار (حكي)
ان الخليفة هارون الرشيد قلق في بعض الليالي قلقا شديدا فاستدعى بوزيره
جعفر البرمكي وقال له يا وزير ان صدري ضيق ومرادي الليلة التفرج في شوارع

بغداد وننظر في مصالح العباد بشرط ان لا يعرفنا احد من الناس ونتزيا بزي التجار
الاكياس فقال له الوزير السمع والطاعة فقاموا في الوقت والساعة فقلعوا ما عليهم
من ثياب الملك والافتخار ولبسوا ثياب التجار الخليفة والوزير جعفر ومسرور السياف
الاكبر وتمشوا من مكان الى مكان حتى وصلوا الى الدجلة فراوا بالامر المقدور شيخا
قاعدا في شختور فتقدموا اليه وسلموا عليه وقالوا يا شيخ نشتهي من احسانك
وفضلك ان تفرجنا الليلة في مركبك وخذ هذين الدينارين اجرتك اشفع بهما
فقال لهم الشيخ من الذي يقدر على الفرجة والخليفة هارون الرشيد ينزل كل
ليلة في حراقة صغيرة الى الدجلة ومعه منادي ينادي معاشر الناس كافة جميع
وردي شيخ وصبي خاص وعام عبدا وغلام كل من نزل في مركب بالليل وشق الدجلة
ضربت عنقه او يشنق على صاري مركبه وكانكم الساعة بالحراقة وهي مقبلة فقال له
الخليفة هارون الرشيد وجعفر البرمكي يا شيخ خذ هذين الدينارين وادخل
بنا قبوا من هذه الاقبية الى ان تروح الحراقة فقال لهم الشيخ هاتوا الذهب
والمستعان بالله فاخذ الذهب وعوم بهم قليلا واذا بالحراقة قد اقبلت من
كبد الدجلة وفيها الشموع والمشاعل فقال لهم الشيخ ما قلت لكم يا ستار لا تكشف
الاستار فقال الخليفة هارون الرشيد والوزير جعفر البرمكي ادخل بنا يا شيخ
في قبو من الاقبية حتى تمضي هذه الحراقة فدخل بهم الى قبو ووضع عليهم مئزرا
اسود وصاروا يتفرجون من تحت المئزر واذا بالحراقة قد اقبلت والشمع يوقد
فيها واذا في مقدم الحراقة مشاعلي بيده مشعل من الذهب الاحمر يوقد فيه بالعود
القاقلي وعلى المشاعلي قباء اطلس احمر بطراز مزركش اصفر وعلى راسه شاش موصلي
وعلى كتفيه مخلاة من الحرير الاخضر ملآنة من العود القاقلي وهو يوقد
به عوض الحطب ومشاعلي آخر في مؤخر الحراقة مثله ومائتي مملوك واقفين
ميمنة وميسرة وكرسي منصوب من الذهب الاحمر وعليه شاب حسن جالس
كالقمر وعليه خلعة سوداء بطرازين من الذهب الاصفر وبين يديه انسان

كانه الوزير جعفر وعلى رأسه خادم واقف كانه مسرور بسيف مشهر وعشر نديما
فقال الخليفة يا جعفر قال لبيك يا امير المؤمنين قال لعل ان يكون هذا احد اولادي اما
المأمون او محمد الامين فلما وصلت الحراقة اليهم واذا بالمشاعلي ينادي معاشر
الناس كافة الخاص والعام الجيد والردي والعبد والغلام جهاوات وغير
جهاوات قد رسم خليفتنا هذا ان كل من تفرج في الدجلة او فتح طاقة حل ماله
وضربت رقبته ومن لا يصدق يجرب قال فتامل الخليفة هارون الرشيد
في الشاب وهو جالس على كرسي من الذهب قد كمل بالحسن والبهاء والكمال قدر
المنصب فلما تامله هارون الرشيد التفت الى الوزير قال يا وزير فقال له لبيك
يا امير المؤمنين قال والله ما بقي شيئا من شكل الخلافة وهذا الذي بين
يديه كانه انت يا جعفر لامحالة والخادم الذي على رأسه كانه مسرور وهذا
وهؤلاء الندماء كانهم ندمائي وقد حار عقلي في هذا الامر فقال له الوزير
وانا والله يا امير المؤمنين كذلك ثم تقدمت الحراقة الى ان غابت عن العين
فعند ذلك خرج الشيخ بالتختو ر الذي فيه الجماعة من تحت القبو وقال الحمد لله
على السلامة الذي لم يصادفنا فقال له الخليفة يا شيخ وهذا الخليفة ينزل
كل ليلة في الدجلة قال نعم يا سيدي له على هذه الحالة سنة كاملة فقال
له الخليفة يا شيخ نشتهي من فضلك واحسانك ان تقف لنا ليلة غد في هذا
المكان ونحن نعطيك خمسة دنانير فانا قوم غرباء وقصدنا التنزه ونحن
نازلون في الفندق فقال الشيخ السمع والطاعة قال ثم ان الخليفة وجعفر و
مسرور توجهوا من عند الشيخ المراكبي الى القصر وقلعوا ما عليهم من لبس التجار
ولبسوا ثياب الملك والافتخار وجلس كل واحد في مرتبته ودخلت الامراء والحجاب
والنواب وانعقد المجلس بالناس ولما انقضى النهار وتفرقت الاجناس قال
الخليفة هارون الرشيد لوزيره يا جعفر انهض بنا للفرجة على الخليفة الثاني
فضحك جعفر ومسرور ولبسوا لبس التجار وخرجوا منشرحين الصدور وكان

خروجهم من باب السر فلما وصلوا الى الدجلة وجدوا الشيخ صاحب التختور لهم في
الانتظار فنزلوا عنده في المركب فلما استقروا مع الشيخ المراكبي واذا بالخليفة الثاني
في الحراقة وقد اقبلت عليهم فتاملوها واذا فيها مائتا مملوك غير المماليك الاول و
المشاعلية تنادي على عادتهم فقال الخليفة ياوزير هذا شي لو سمعت به ما
صدقت ولكن رايت هذا عيانا ثم ان الخليفة قال لصاحب التختور ياشيخ هذه
عشر دنانير وسر بنا في مساواتهم فانهم في النور ونحن في الظلام ننظرهم ونتفرج
عليهم وهم لاينظرون فاخذ الشيخ العشرة دنانير واطلق التختور في مساواتهم و
صار في ظلام الحراقة ولم يزالوا سائرين في اثرهم الى آخر البساتين واذا بزريبة
بطول الحراقة التصقت عليها واذا بغلامين واقفين ومعهما بغلة مسرجة
ملجمة فطلع الخليفة الثاني وركب البغلة وسار بين الندمان وزعقت المشاعلية
والجاويشية واشتالت الغاشية وطلع هارون الرشيد وجعفر ومسرور الى
البر وشقوا بين المماليك وساروا قدامهم فلاحت من المشاعلية التفاتة فراوا
ثلاثة انفار لبسهم لبس التجار وهم غرباء فانكروهم وغمزوا عليهم فمسكوهم واحضروهم
بين يدي الخليفة الثاني فلما نظرهم قال كيف وصلتم الى هذا المكان وما الذي
جاء بكم في مثل هذا الوقت فقالوا يامولانا اليوم كان قدومنا ونحن قوم غرباء
تجار وخرجنا نتمشى الليلة واذا بكم قد اقبلتم وجاؤا هؤلاء وقبضوا علينا واوقفونا
بين ايديكم وهذا خبرنا فقال لهم الخليفة الثاني طيبوا قلوبكم فلا بأس عليكم
لانكم قوم غرباء ولو كنتم من بغداد لضربت اعناقكم للمخالفة ثم التفت الى وزيره
وقال خذ هؤلاء صحبتك ليكونوا ضيوفنا الليلة فقال سمعا وطاعة ثم ساروا الى
ان وصلوا الى قصر عظيم الشان محكم البنيان ماحواه سلطان قصر قام من
التراب وتعلق باكناف السحاب بابه من خشب الساج مرصع بالذهب الوهاج
يدخل منه الى ايوان بفسقية وشاذروان وحصر عبداني ومخدات سكندراني
وستر مسبول وفرش تدهل العقول وعلى عتبة الباب مكتوب

هذه الابيات

قصر عليه تحية وسلام	نشرت عليه جمالها الايام
فيه العجائب والغرائب نوعت	فتحيرت فی نعتها الاقلام

قال فدخل الخليفة الثانی الی القصر والجماعة فی خدمته الی ان جلس علی كرسی
من الذهب مرصع بالدر والجوهر وعلی الكرسی بشخانة من الحرير الاخضر لا يری
مثلها الا عند كسری وقيصر مزركشة بالذهب الاحمر معلقة فی بكرة من الصندل
ديباجاتها من الحرير الاصفر هذا وقد جلس الندماء فی مراتبهم وصاحب سيف
النقمة واقف بين يديه فمدوا السماط واكلوا ورفعوا الخوان والايديهم غسلوا
واحضرت آلة المدام ووضعت الطاسات والاوانی وصففت الاباريق والكاسات
والقنانی ودار الدور الی ان وصل الی الخليفة هارون الرشيد فامتنع من الشراب
فقال الخليفة الثانی لجعفر ما بال صاحبك لايشرب فقال يا مولای له مدة ما
شرب فقال الشاب عندی مشروب غير هذا يصلح لصاحبك علی بشراب
التفاح ففی الحال احضر فقدم بين يدی هارون الرشيد وقال كلما وصل
اليك الدور فاشرب من هذا ولا زالوا يشربون فی انشراح وتعاطی الاقداح
الی ان تمكن الشراب من روسهم واستولی علی عقولهم ونفوسهم فقال الرشيد
لوزيره والله يا وزير ما عندنا آنية مثل هذه الآنية فياليت شعری من يكون
هذا الشاب فبينما هما يتحدثان بلطافة اذ لاحت من الشاب التفاتة فوجد
الوزير يتوشوش مع الخليفة فقال الوشوشة عربدة فقال الوزير ماثم عربدة
الا ان رفيقی هذا يقول سافرت غالب البلاد ونادمت الملوك وعاشرت
الاجناد ما رايت احسن من هذا النظام ولا مثل آنية هذا المدام الا ان اهل
بغداد يقولون الشراب بلا سماع من جملة المجون فلما سمع الخليفة الثانی هذا
الكلام تبسم وانشرح وكان بيده قضيب فضرب به علی مدورة واذا بباب
قد فتح وخرج منه خادم يحمل كرسيا من العاج مصفحا بالذهب الوهاج وخلفه

جارية قد كملت بالحسن والجمال والبهاء والكمال فنصب الخادم الكرسي وجلست عليه الجارية وهي كالشمس الضاحية وبيدها عود من صنعة الهنود وسارته وحنت اليه وغنت بعد ان ضربت اربعة وعشرين طريقة عليه فاذهلت العقول و عادت الى الطريقة الاولى وجعلت تقول

لسان الهوى من مقلتي لك ناطق	يخبر عني انني لك عاشق
ولي شاهد من طرف قلبي معذب	وقلبي جريح من فراقك خافق
وكم اكتم الحب الذي قد اذابني	وقلبي قريح والدموع سوابق
وما كنت ادري قبل حبك ما الهوى	ولكن قضا الرحمن في الخلق سابق

قال فلما سمع الخليفة الثاني هذا الشعر من الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق البدلة التي كانت عليه الى الذيل فاسبلت عليه الستارة واتى ببدلة غيرها احسن منها فلبسها وجلس على عادته فلما وصل القدح اليه ضرب بالقضيب على المدورة واذا بباب قد فتح وخرج منه خادم حامل كرسيا من الذهب وخلفه جارية احسن من الاولى وجلست على الكرسي وبيدها عود يكمد الحسود وانشدت تقول

كيف اصطباري ونار الشوق في كبدي	والدمع من مقلتي طوفانه مدد
والله ما طاب لي عيش اسر به	وكيف يفرح قلب حشوه كمد

قال فصرخ الشاب صرخة عظيمة وشق ما عليه الى الذيل واسبلت عليه الستارة على العادة واتوا ببدلة غيرها احسن منها فلبسها واستوى جالسا ودار المدام وانبسط الكلام فلما وصل القدح اليه ضرب بالقضيب على المدورة ففتح باب وخرج منه خادم على العادة ومعه كرسي وخلفه جارية فجلست على الكرسي ومعها عود دين هل الاسود فغنت وانشدت تقول

اقصروا الهجر كم و قلوا جفاكم	فؤادي وحقكم ما سلاكم
وارحموا مدنفا كئيبا حزينا	ذا غرام متيما في هواكم
قد براه السقام من عظم وجد	يتمنى من الاله رضاكم

كيف اختار فى الانام سواكم	يا بدور محلكم فى فؤادى

قال فصرخ الشاب وشق ما عليه من الثياب فارخوا عليه البشمانة واتوه ببدلة غيرها وعاد الى حالته مع ندمائه ودارت الاقداح وطاب الانشراح فلما وصل اليه وضرب بالقضيب على المدورة ففتح باب وخرج منه خادم حامل كرسيا وخلفه جارية فجلست على الكرسى واخذت العود وغنت تقول

ويرجع ما قد انقضى لى اولا	نرى ينصرم حال التهاجر والقلا
فى طيب عيش والحواسد غفلا	ايام كنا والديار تلمنا
من بعدها تيك المنازل والحلا	غدر الزمان بنا وفرق شملنا
وارى لقلبى ما يطيع العذلا	اتروم منى يا عذولى سلوة
القلب من انس المحبة ما خلا	فدع الملام وخلنى بصبابتى
لا تحسبوا قلبى لبعدكم سلا	يا سادة نقضوا العهود وبدلوا

قال فلما فرغت الجارية صرخ الشاب صرخة عظيمة وشق ما عليه من الثياب ووقع الى الارض مغشيا عليه وسقط منه القوى والحيل فارادوا ان يرخوا عليه البشمانة على العادة فتعوقت حبالها بالارادة فلاحت من هارون الرشيد التفاتة منه فنظر على اجناب الشاب اثر مقارع فقال الرشيد بعد النظر والتاكيد لجعفر والله انه شاب مليح الا انه لص قبيح وما عند احد منه خبر هل رايت ما على جنبيه من الاثر وقد اسبلت البشمانة على العادة واتى ببدلة غيرها فلبسها وقد افاق من غشوته فاستوى جالسا على العادة مع الندمان فحانت منه التفاتة فوجد جعفر والخليفة يتحدثان فقال لهما ما الخبر يا فتيان فقال جعفر يا مولاى خبر لا شك ولا خفا ان رفيقى هذا من التجار الكبار وسافر جميع الامصار وصحب الملوك والاخيار وقال ان الذى حصل من مولانا الخليفة فى هذه الليلة اسراف عظيم لم ار احدا فعل هذا الفعل فى هذه الاقاليم لانه شق كل بدلة بخمسمائة دينار وهذا شئ زائد فى العيار فقال الشاب يا هذا

المال مالی والقماش قماشی وهذا من بعض انعامی علی الخدم والحواشی فان کل بدلة شققتها هی لواحد من الندماء الحضار وقد رسمت لهم ان العوض علی کل بدلة خمسمائة دینار فانشد عند ذلک الوزیر جعفر یقول

بنت المکارم وسط کفک منزلا | فجمیع مالک للانام مباح
واذا المکارم اغلقت ابوابها | یوما فانت لقفلها مفتاح

قال فلما سمع الشاب هذا الشعر من الوزیر جعفر رسم له بالف دینار وبدلة ثم دارت بینهم اقداح وطاب لهم شراب الراح فقال الرشید یا جعفر اساله عن الضرب الذی رایناه علی جنبیه حتی ننظر ما یقول فی جوابه فقال الوزیر یا مولای لا تعجل وترفق بنفسک فالصبر اجمل فقال وحیاة راسی وتربة العباس ما لم تسأله اخمدت منک الانفاس فعند ذلک التفت الشاب الی الوزیر وقال مالک مع رفیقک وما الخبر فقال خیرا یا مولانا فقال سألتک بالله الا ما اخبرتنی بخبره ولا تکتم عنی شیئا من امره فقال یا مولای انه ابصر علی جنبیک اثر سیاط فتعجب من ذلک غایة العجب وقال یا الله العجب الخلیفة یضرب وقصده یعلم ما السبب فلما سمع الشاب هذا الکلام تبسم وقال للهم فنعم اعلموا ان حدیثی عجیب وامری غریب لو کتب بالابر علی اماق البصر لکان عبرة لمن اعتبر ثم تاوه وان واشتکی وبکی وانشد یقول

حدیثی عجیب حاز کل العجائب | وحق الهٖ قد عرف بالمواهب
فان شئتموا ان تسمعوا لی فانصتوا | ویطیب هذا الجمع من کل جانب
واصغوا الی قولی ففیه اشارة | وان کلامی صادق غیر کاذب
لانی قتیل من غرام ولوعة | وقاتلنی فاقت جمیع الکواعب
لها مقلة کحلاء وخد مورد | ویقتلنی منها قسی الحواجب
قد حس قلبی ان فیکم اماما | خلیفة هذا الوقت ابن الاطایب
وثانیکم یدعی الوزیر بجعفر | حقیقة یدعی صاحبا وابن صاحب
وثالثکم مسرور سیاف نقمة | فان کان هذا القول حقا بصائب

وجاء سرور القلب من كل جانب	فقد نلت ما ارجو على كل حالة

قال فعند ذلك حلف له جعفر انهم لم يكونوا المذكورين فضحك الشاب وقال الذي اعرفكم به اني ما انا امير المؤمنين وانما سميت نفسي بهذا الاسم لابلغ ما اريد من ابناء المدينة واسمي علي بن محمد الجوهري وان ابي كان من الاعيان ومات وخلف لي اموالا لاتاكلها النيران من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان وياقوت وجوهر وزمرد وبهرمان وحمامات وغيطان وبساتين وفنادق وطواحين وعبيد وجواري وغلمان فلما كان في بعض الايام وانا جالس في حانوتي وحولي الحشم والخدم واذا انا بجارية قد اقبلت على بغلة وفي خدمتها ثلاث جوار كانهن الاقمار ونزلت على دكاني وجلست وقالت انت علي بن محمد الجوهري فقلت لها مملوكك وعبدك قال فقالت هل عندك عقد جوهر يصلح لمثلي فقلت لها يا ستي الذي عندي يحضر بين يديك فان اعجبك شيء كان بسعد المملوك وان لم يعجبك شيء منه فبسوء حظي وكان عندي مائة عقد جوهر فعرضت عليها الجميع فلم يعجبها شيء منهم وقالت اريد احسن مما رايت وكان عندي عقد صغير شراه على والدي بمائة الف دينار لم يوجد مثله عند احد من السلاطين الكبار فقلت يا سيدتي بقي عندي عقد الفصوص والجواهر الذي لم يملكه احد من الاصاغر والاكابر فقالت ارني اياه فلما راته قالت هذا الذي طول عمري اتمناه ثم قالت بكم ثمنه في الاسعار فقلت شراؤه على والدي بمائة الف دينار فقالت ولك خمسة آلاف فائدة فقلت لها يا سيدتي العقد وصاحبه في الرق بين يديك ولاخلاف فقالت لابد من الفائده ولك الجميلة الزائدة وقامت من وقتها عجله وركبت سرعة البغلة وقالت يا سيدي نور الدين باسم الله تكرم بصحبتنا لتاخذ الثمن فان نهارك اليوم بنا مثل اللبن فقمت وقفلت الدكان وسرت معها في امان الى ان وصلنا الدار فوجدتها دارا عليها السعادة لائحة والافتخار وعلى بابها مكتوب بالذهب واللازورد العجب هذه الابيات

ولا يغدر بصاحبك الزمان	الا يا دار لا يدخلك حزن
اذا ما ضاق بالضيف المكان	فنعم الدار انت لكل ضيف

فنزلت الجارية ودخلت الدار وامرت بجلوسي الى ان يأتي الصيرفي فجلست على باب الدار ساعة لطيفة واذا بجارية خرجت الي وقالت يا سيدي ادخل الى الدهليز فان جلوسك على الباب قبيح فقمت الى الدهليز وجلست على الدكة ساعة واذا بجارية خرجت الي وقالت يا سيدي تقول لك سيدتي ادخل واجلس على جانب الايوان حتى تقبض مالك فقمت فدخلت البيت وجلست حيث امرتني واذا بكرسي من الذهب وعليه ستارة من الحرير الاحمر واذا بتلك الستارة قد رفعت فبان من تحتها تلك الجارية التي اشترت مني العقد وقد اسفرت عن وجه كانه دائرة القمر والعقد في عنقها فاندهش عقلي وحار ذهني ولبي من رؤية تلك الجارية وحسنها فلما رأتني قامت من على الكرسي وسعت الي نحوي وقالت يا نور الدين من كان مليحا برئي لمحبوبه فقلت يا سيدتي الحسن كله فيك وهو من بعض معانيك فقالت يا علي اعلم اني احبك وما صدقت بينبك الا لما صرت عندي ثم انها طوقت علي وعانقتني فقبلتها وقبلتني ثم جذبتني وعلى صدرها رمتني فلما علمت مني اني اريد ان اهم بها قالت يا علي اتريد ان تجتمع بي في الحرام والله لا كان من يفعل الآثام ويرضى بقبيح الكلام فاني بكر عذراء ما دنا مني احد ولست مجهولة في البلد اتعلم من انا فقلت لا والله وحلفت لها يمينا فقالت انا الست دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكي واخي جعفر فلما سمعت ذلك منها جمعت خاطري عنها وقلت يا سيدتي ما لي ذنب في التهجم عليك انت التي اطمعتني في احسانك والوصول الى جنابك فقالت لا بأس عليك ولابد من الاحسان اليك فان امري بيدي والقاضي ولي عقدي والقصد ان اكون لك وتكون لي ثم انها دعت بالقاضي والشهود وبذلت المجهود فلما حضروا قالت لهم هذا نور الدين علي بن الجوهري قد طلب زواجي ودفع

لی هذا العقد مهری وانا قد قبلت ورضیت ثم ان القاضی حمد الله تعالی واثنی علیه وکتب الکتاب قد خلت علیها بعد ان اعطت للقضاة شیئا ما له حساب واحضرت المدام واحضرت الاقداح باحسن نظام فلما اشعشعت الخمرة فی

روسنا امرت جاریة عودیة ان تغنی فانشأت تقول

قلبی وآمالی بباب رجاکمو	لا ابتغی فی الکون غیر رضاکمو
یا جیرة جاروا علی ببعدهم	حنوا علینا وارحموا مضناکمو
حاشاکمو یا سادتی حاشاکمو	صبا معنی مغرما بهواکمو
بالله جودوا وارحموا المتیم	لا یستمع فیکم حدیث سواکمو
موسی اشتیاقی فوق طور رضاکمو	فاذا اشجاه حسنکم ناجاکمو

قال فاطربتنا الجاریة بحسن غناها ولم تزل الجواری یغنین جاریة بعد جاریة وینشدن الاشعار الی ان غنت عشر جوار فعند ذلک اخذت العود

الست دنیا وانشدت تقول

اقسم بلین قوامك المیاس	انی لنار الهجر منك اقاسی
فارحم لصب فی هواك متیم	یا بدر تم انت سید الناس
انعم بوصلك کم ابات لویلة	اجلو جمالك فی ضیاء الکاس
ما بین ورد جمعت الوانه	مع نرجس ایضا وحسن الآس

قال الشاب ثم انی اخذت منها العود وضربت علیه وغنیت هذه

الابیات

سبحان ربی جمیع الحسن اعطاك	حتی بقیت انا من بعض اسراك
یا من لها ناظر تسبی الانام به	خذی الامان لنا من سحر عیناك
فالماء والنار فی خدیك قد جمعا	والورد جوری منبت فی وسط خدیك
انت الغرام لقلبی والنعیم له	فما امرك فی قلبی واحلاك

قال فلما سمعت منی ما قلت فرحت فرحا شدیدا ثم انها صرفت الجواری وقمنا

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(انشدت اقول)

يا ليل درك لا ترى صباحا	يكفي بوجه [illegible]
[illegible]	وجعلت كفي للمنام وشاحا
هذا [illegible] لنا	متعانقين فلا نريد براحا

فاقمت عندها شهرا كاملا وقد نسيت الدكان والاهل والاوطان وفي يوم من الايام قالت يا نور الدين قد عزمت اليوم على المسير الى الحمام وانت تقعد على هذا السرير الى ان ارجع اليك فقلت سمعا وطاعة وحلفتني ان لا انتقل من موضعي فاخذت جواريها وذهبت الى الحمام فوالله يا اخواني ما لحقت تخرج من راس الزقاق الا والباب قد فتح ودخلت منه عجوز واي عجوز وقالت يا نور الدين الست زبيدة تدعوك فقد سمعت بشبابك وطيب غنائك فقلت والله على يمين انني ما اقوم من مقامي حتى تأتي الست دنيا فقالت العجوز يا نور الدين لا تخل الست زبيدة تصير عدوتك فقم كلمها وارجع فقمت من وقتي اليها والعجوز امامي الى ان اوصلتني الى الست زبيدة فلما وصلت اليها قالت يا نور الدين انت معشوق الست دنيا فقلت مملوكك وعبد رقك فقالت صدق الذي وصفك بالحسن والجمال فانك فوق الوصف والمقدار ولكن غن لي شيئا حتى اسمعك فقلت السمع والطاعة فاتتني بعود فغنيت

(عليه وانشدت اقول)

قلب المحب مع الاحباب متعوب	وجسمه بيد الاسقام منهوب
ما في الركائب من زمت حمولهم	الا وكان له في الظعن محبوب
استودع الله لي في حيكم قمرا	يهواه قلبي وعن عيني محجوب

يرضى ويغضب ما احلى ندلله		وكل ما يفعل المحبوب محبوب

فقالت لى حفظ الله بدنك وطيب انفاسك فلقد كملت فى الحسن والظرف والمعنى
فقم الى مكانك قبل ان تجئ اليه الست دنيا فلم تجدك فتغضب عليك فقبلت
الارض وخرجت والعجوز امامى الى ان اوصلتنى الى الباب الذى خرجت منه
فدخلت وجئت الى السرير لاجلس فوجدتها جاءت من الحمام ونامت على السرير
فقعدت عند رجليها وصرت اكبسها ففتحت عينيها فرأتنى فجمعت رجليها و
رفستنى رمتنى من على السرير وقالت يا نور الدين خنت اليمين وكذبت وذهبت
الى الست زبيدة والله ولا خوفى من الهتيكة والفضيحة لاخربت قصرها على رأسها
ثم قالت لعبدها يا صواب قم اضرب رقبة هذا النذل الكذاب فلا حاجة لنا
به فتقدم ذلك الخادم الى وشرط ذيلى وعصب عينى واراد ان يضرب رقبتى
فقامت اليها الجوارى الكبار والصغار وقلن لها يا ستناه ما هو باول من اخطأ
وما عرف خلقك وانت ما تبغضيه وما فعل ذنبا يوجب ان تقتليه فقالت
والله لابد ما اوثر فيه اثرا ثم انها امرت بضربى فضربت على اضلاعى الضرب
الذى رايتموه وامرت باخراجى فاخرجونى وابعدونى عن القصر ورمونى
ورجعوا وتركونى فلمت نفسى فمشيت قليلا قليلا الى ان وصلت الى منزلى و
احضرت جراحا واريته الضرب فلاطفنى وسعى فى مصالحى فلما صح جسمى
دخلت الحمام وزالت عنى الاوجاع والاسقام جئت الى الدكان واخذت جميع
ما فيها وبعته وجمعت ثمنه واشتريت اربعمائة مملوك ما جمعهم احد من الملوك
بركب معى فى كل يوم مائتان وعملت هذه المركب الحراقة بالف ومائتين من
الذهب لعين وسميت نفسى بالخليفة ورتبت من معى من الخدام كل واحد فى
وظيفة وناديت كل من تفرج فى الدجلة ضربت عنقه بلا مهلة ولى على هذه
الحالة سنة كاملة ولم اسمع لها بخبر ولا وقفت لها على اثر ثم انه بكى وان

واشتكى وانشد يقول

والله ما كنت طول الدهر ناسيها	ولا دنوت الى من ليس يدنيها
كانها البدر في تكوين خلقتها	سبحان خالقها سبحان باريها
عوقبت ولا ذنب لي الا محبتها	فكيف حال الذي قد بات ناعيها
ودمع عيني جرى اسفا عليها	والقلب قد حار مني في معانيها

قال فلما سمع هارون الرشيد كلام الشاب وما ابداه من الخطاب تعجب غاية العجب
وقال سبحان من جعل لكل شيء سببا ثم انهم طلبوا من الشاب الانصراف و
اضمر الرشيد للشاب الاحسان وان يتحفه غاية التحاف فانصرفوا من عنده
سائرين الى قصر الخلافة طالبين ولما استقر بهم في منزلهم الجلوس غيروا ما
كان عليهم من الملبوس ولبسوا اثواب الموكب والملك والزينة وكذلك مسرور
سياف النقمة والعطب فقال الخليفة لجعفر المهاب يا وزير علي بالشاب فخرج
الى في الحشم والخدم وسار الى منزل الشاب فخرج اليه وسلم عليه فقال له
الوزير جعفر اجب امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة لامير المؤمنين وحامي حوزة الدين
فسار معه الى القصر وهو من الترسيم عليه في حصر فلما دخل الى الخليفة ورفع الوزير
الستر عن السدة الشريفة فلما رأى الشاب الخليفة عرفه فقبل الارض بين يديه
ودعا له بدوام العز والثنا عليه وقال السلام عليك يا امير المؤمنين وحامي حوزة
الدين وقامع المفسدين وامام المتقين هناك الله بما اعطاك وجعل الجنة مأواك

والدار مثوى لاعداك وانشد يقول شعرا

لا زال بابك كعبة مقصودة	وترابه فوق الجباه رسوم
حتى ينادي في البلاد باسرها	هذا المقام وانت ابراهيم

فعند ذلك تبسم الخليفة في وجهه ورد عليه السلام واظهر له الاحسان والاكرام
وقربه اليه واجلسه بين يديه وقال له يا نور الدين اريد ان تحدثني بما جرى لك تلك
الليلة يا مسكين فانه من اعجب الامور فقال الشاب العفو يا امير المؤمنين اعطني
منديل الامان ليهدأ روعي ويطمئن قلبي فقال الخليفة لك الامان فشرع الشاب

يتحدث بالذي جرى له من اوله الى آخره فعلم الخليفة من غير اطالة ان الصبي عاشق لا محالة فقال الخليفة اتحب ان اردها اليك يا مسكين قال نعم يا امير

المؤمنين ثم انشأ يقول

ان رمت احسانا فهذا وقته ۞ او رمت معروفا فهذا محله

فعند ذلك التفت الرشيد الى الوزير وقال له احضر لي اخت الست دنيا بنت الوزير يحيى فقال له السمع والطاعة فاحضرها في الوقت فلما مثلت بين يديه قال لها انت زنجي هذا فقالت من اين للنساء معرفة بالرجال فتبسم وقال يا دنيا قد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من اولها الى آخرها وفهمنا باطنها وظاهرها والامر لا يخفى وان كان مستورا فقالت كان ذلك في الكتاب مسطورا وانا استغفر الله مما جرى مني واسأل من فيض الفضل العفو عني فضحك الخليفة واحضر القاضي والشهود وعقد له ثانيا عليها وحصل له سعد السعود واكمد الاعداء والحسود وجعله من ندمائه وزاد تكريمه وعاش بقية عمره في اتم عيش ونعمة يجالس الخليفة في الليل والنهار ويؤانسه الست دنيا ذات الخمار وهذا ما انتهى الينا من التلخيص والله اعلم ويحكى ان جعفر البرمكي نادم الرشيد ليلة فقال يا جعفر بلغني انك اشتريت الجارية الفلانية ولي مدة اطلبها فانها بديعة الجمال ولي شوق زائد اليها فبعنيها قال ليس علي فيها بيع قال هبنيها قال ولا اهبها فقال الرشيد زبيدة طالق مني ثلاثا ان لم تبعنيها او تهبنيها وقال جعفر زوجتي طالق مني ثلاثا ان بعتها او وهبتها ثم افاقا من نشوتهما وعلما انهما وقعا في امر عظيم وعجزا في تدبير الحيلة فقال الرشيد هذه واقعة ليس لها غير ابي يوسف فاطلبوه وكان قد انتصف الليل فلما طلب قام فزعا وقال ما طلبت في هذا الوقت الا لامر حدث في الاسلام ثم خرج مسرعا وركب بغلته وقال لغلامه اصحب معك المخلاة فلعل فيها بعض شعير فاذا دخلنا دار الخلافة ودخلت فضع بين يدي الدابة شيئا منه تشتغل به الى حين خروجي فانها

لم تستوف عليقها في هذه الليلة فقال سمعا وطاعة فلما دخل على الرشيد
قام له واجلسه على سريره بجانبه وكان لا يجلس معه غيره وقال له ما طلبناك
الا لامر مهم وهو كذا وكذا وقد عجزنا في تدبير الحيلة فقال يا امير المؤمنين هذا
من اسهل ما يكون يا جعفر بع امير المؤمنين نصفها وهب نصفها تبرء من يمينكما
فسر بذلك امير المؤمنين وفعلا فقال الرشيد احضر الجارية في هذا الوقت فاني
شديد الشوق اليها فاحضرت فقال للقاضي ابي يوسف اريد وطئها في هذا الوقت
ولا اطيق الصبر الى مضي مدة الاستبراء او سح لي الحيلة في ذلك فقال ابو يوسف
ائتوني بمملوك من مماليك امير المؤمنين الذين لم يجر عليهم العتق فاحضر مملوك
فقال ابو يوسف يا امير المؤمنين ائذن لي ان ازوجها منه ثم يطلقها قبل الدخول
فيحل وطؤها في الحال من غير استبراء فاعجب الرشيد ذلك اكثر من الاول فقال اذنت
لك فاوجب القاضي النكاح ثم قبله المملوك فقال له القاضي طلقها فقال له هذه
صارت لي زوجة وانا لا اطلقها فرد عليه القول فابى وضاق صدر الخليفة
لذلك وقال قد اشتد الامر اعظم مما كان فقال القاضي ابي يوسف يا امير المؤمنين
ارغبه بالمال فقال طلقها ولك مائة دينار قال لا افعل قال مائتا دينار قال لا
افعل الى ان عرضوا عليه الف دينار وهو يمتنع وقال للقاضي الطلاق بيدي
او بيد امير المؤمنين ام بيدك قال بل بيدك انت قال والله لا افعل ابدا فاشتد
غضب امير المؤمنين فقال القاضي يا امير المؤمنين لا تجزع فان الامر هين ملك
هذا العبد للجارية فقال ملكته لها وقال لها القاضي قولي قبلت فقالت
الجارية قبلت فقال القاضي حكمت بالتفريق بينهما لانه دخل في ملكها فانفسد
النكاح فقام امير المؤمنين على قدميه وقال مثلك من يكون قاضيا في زماني
واستدعى باطباق الذهب فافرغت بين يديه وقال للقاضي هل معك شيء
توعبه فتذكر مخلاة البغلة فاستدعى بها فملئت له ذهبا فاخذها وانصرف
فلما اصبح قال لجماعته انظروا الى من تعلم العلم فليتعلم كذا فاني اعطيت هذا المال

العظيم في مسألتين او ثلاث فانظر ايها المتأدب الى لطف هذه الواقعة فانها اشتملت على محاسن متهادلالاالو زير على قلب امير المؤمنين وعلم الخليفة وزيادة علم القاضي فرحم الله ارواحهم اجمعين ولكن مسألة الاستبراء لم تخرج الا على مذهب ابي حنيفة فخرجها ابو يوسف على قواعد مذهبه لانه حنفي المذهب والله اعلم انتهى من حلبة الكميت سعو ومن كلام ابراهيم الموصلي رحمه الله تعالى

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى	وزرتك حتى قيل ليس له صبر
فيا هجر ليلى قد بلغت بي المدى	وزدت على ما ليس يبلغه الهجر
ويا حبها زدني جوى كل ليلة	ويا سلوة الايام موعدك الحشر
واني لتعروني لذكراك هزة	كما انتفض العصفور بلله القطر

ومن حكايات اللطيفة ان بعض الملوك قصد التفرج على المجانين فلما دخل عليهم رأى فيهم شابا حسن الهيئة نظيف الصورة يرى عليه آثار اللطف وتلوح عليه شمايل الفطنة فد نامنه وسأله مسائل فاجابه عن جميعها باحسن جواب فتعجب منه عجبا شديدا ثم ان المجنون قال للملك قد سألتني عن اشياء فاجبتك واني سائلك سؤالا واحدا قال وما هو قال متى يجد النائم لذة النوم فتفكر الملك ساعة ثم قال يجد لذة النوم حال نومه فقال المجنون حالة النوم ليس له احساس فقال الملك قبل الدخول في النوم فقال المجنون كيف توجد لذته قبل وجوده فقال الملك بعد النوم فقال المجنون توجد لذته وقد انقضى فتحير الملك وزاد اعجابه وقال لعمري ان هذا لا يحصل من عقلاء كثيرة فاولى ان يكون نديمي في مثل هذا اليوم وامر ان ينصب له تخت بازاء شباك المجنون ثم استدعى بالشراب فحضر فتناول الكاس وشرب ثم ناول المجنون فقال ايها الملك انت شربت هذا لتصير مثلي فانا اشربه لاصير مثل من فاتعظ الملك بكلامه ورمى القدح من يده وتاب من ساعته والله اعلم وهذه الحكاية لها بقية اعرضنا عنها وهذه على سبيل الاختصار ايضا حكي والله اعلم بغيبه واحكم ان الرشيد ارق ذات

ليلة ارقاشديدا فاستدعى جعفرا وقال اريد منك ان تزيل ما بقلبي من الضجر فقال الوزير يا امير المؤمنين كيف يكون على قلبك ضجر وقد خلق الله اشياء كثيرة تزيل الهم عن المهموم والغم عن المغموم وانت قادر عليها فقال الرشيد وما هي يا جعفر فقال له قم بنا الان حتى نطلع الى فوق سطح هذا القصر حتى نتفرج على النجوم واشتباكها وارتفاعها والقمر وحسن طلعته لانه وجه منتقب كما قيل

كانما حسن السما وزرقتها	قد رصعت فيها اقانين الصور
كانما البدر حين لاح لنا	في بعض ليل من غلاف قد ظهر

فقال الرشيد يا جعفر ما تهم نفسي الى شيء من ذلك فقال يا امير المؤمنين افتح شباك القصر الذي يطلع على البستان وتفرج على حسن تلك الاشجار واسمع صوت تغريد الاطيار وانظر الى هدير الانهار وشم روائح تلك الازهار واسمع الناعورة التي كانها انين محب فارق محبوبه وهي كما قال فيها بعض واصفيها

وناعورة جنت وغنت وقد غدا	تعبر عن حال المشوق وتعرب
ترقص عطف البان تيها لانها	تغني له طول الزمان ويشرب

واما ان تنام يا امير المؤمنين الى ان يدركنا الصباح فقال يا جعفر ما تهم نفسي الى شيء من ذلك فقال يا امير المؤمنين افتح الشباك الذي يطلع على الدجلة حتى نتفرج على تلك المراكب والملاحين وهذا يصفق وهذا ينشد موالي وهذا يقول دوبيت وهذا يعمل كان وكان فقال الرشيد ما تهم نفسي الى شيء من ذلك قال جعفر قم يا امير المؤمنين حتى ننزل الى الاصطبل الخاص وننظر الى الخيل العربيات ونتفرج على حسن الوانها ما بين ادهم كالليل اذا اظلم واشقر واشهب وكميت واحمر وابيض واخضر وابلق واصفر والوان تحير العقول فقال الرشيد ما تهم نفسي الى شيء من ذلك فقال جعفر يا امير المؤمنين عندك في قصرك ثلثمائة جارية ما بين جنكية الى عودية الى دفية الى قانونية الى زامرة

الى مغنية الى راقصة الى سنطرية احضر الجميع واحضر العقار المروق
لعل ان يزول ما بقلبك من الضجر فقال ما تتم نفسي الى شئ من ذلك
فقال جعفر يا امير المؤمنين ما بقي الا ضرب عنق مملوكك جعفر فاني قد
عجزت عن ازالة هم مولانا فقال يا جعفر اما سمعت قول ابن عمي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال من فم مولانا احلى فقال الرشيد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرح امتي في ثلاث ان يرى بعينه شيئا الا رآه او يسمع شيئا لا سمعه او يطأ
مكانا الا وطئه فيتفق يا جعفر ان يكون في بغداد مكان لا وطئنا او شئ لا جئنا
او موضع لا رأيناه فقال جعفر اتأذن لي يا امير المؤمنين ان اطلع الى مجلس النوبة
وانظر احدا من المسافرين احضره بين يدي امير المؤمنين لعله ان يحدثك بحديث
ما سمعته فقال الرشيد قم وافعل فقام جعفر وطلع وعاد بسرعة بالشيخ ابي
الحسن الخليع الدمشقي المسامر قال فلما رأى امير المؤمنين سلم فاحسن وترجم
فابلغ ثم قال يا امير المؤمنين وحامي حوزة الدين وابن عم سيد المرسلين وخاتم
النبيين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه اجمعين اطال الله بقاءك وجعل
الجنة مأواك والنار مثوى لاعداءك لا خمدت لك نار ولا اغيظ لك جار

ثم انشد يقول

دام لك العز والبقاء	ما اختلف الصبح والمساء
ودمت ما دامت الليالي	بمدة ما لها انقضاء
الناس ناس بكل ارض	وانت من فوقهم سماء

قال فرد على الشيخ السلام وقال اجلس يا ابا الحسن وحدثنا بحديث مليح عجيب
لم نسمعه قط فقال الشيخ يا امير المؤمنين احدثك بشئ سمعته باذني او بشئ رأيته
بعيني قال الرشيد يا شيخ ابو الحسن الذي تراه العين احسن من الذي تسمعه الاذن
فقال الشيخ يا امير المؤمنين افرغ لي عن ثلاثة اشياء منك فقال ما هي الثلاثة
فقال ذهنك وسمعك وقلبك فقال الرشيد هات يا ابا الحسن فقال يا امير

المؤمنان لى عادة انى اسافر كل سنة الى البصرة للامير محمد بن سليمان الزينبى واقعد عنده احدثه الاسمار واورد له الاخبار وانشد له الاشعار ولى عليه رسم الف دينار آخذها واعود الى بغداد فاتفق لى سنة من السنين انى سافرت الى البصرة على عادتى ودخلت على الامير محمد بن سليمان وجلست عنده اليوم الاول والثانى والثالث فركب الى الصيد وتركنى فى منزله واوصى ارباب دولته بخدمتى واكرامى الى ان يعود واوصى الطباخ الذى له ان لا يطعمنى الا اشياء تشتهيه نفسي فاشتهيت السمك فقلت للطباخ فعمل لى من السمك عدة الوان فاكلت وطاب لى الاكل حتى ثقل على فؤادى فقلت ما يصرف عنى هذا الا المشى ولى عدة اسفار الى البصرة ما اعرف فيها مكانا واريد اليوم اجعلها نزهة وفرجة ثم انى نزلت امشى فى شوارع البصرة فعطشت عطشا شديدا وناهيك بعطش السمك فقلت فى نفسى ان تناولت شربة من السقاء لا تطيب نفسى لانه يشرب منه اصحاب الامراض وكبرت نفسى على ان احملها الى شاطئ الدجلة وقلت مالى الا ان اقصد بعض دور المحتشمين واطلب منها شربة من الماء فاتيت الى درب وفى ذلك الدرب خمسة دور داران مقابل دارين ودار صدر الدرب قد قامت من التراب وتعلقت بأذيال السحاب ولها باب مقنطر مزخرف بمصاطب طولانية مفروش عليها حصر عبدانية والباب ساج مصفح بصفائح الذهب الوهاج وستائر القصب وستر من الحرير الاصفر المدثر مكتوب عليه هذه الابيات

	ولا يغدر بصاحبك الزمان		الا يا دار لا يدخلك حزن
	اذا ما ضاق بالضيف المكان		نعم الدار أنت لكل ضيف

قال فقلت فى نفسى من هذه الدار اشرب الماء فاتيت الى الباب فسمعت صوتا ضعيفا من فؤاد ضعيف وهو ينشد ويقول

	وعاتباه لعل العتب يعطفه		بالله يا بكرا عوجا على سكنى
	ما بال عبدك بالهجران تتلفه		وعرضا بى وقولا فى حديثكما

فان تبسم قولا في مسالطفه ... ما ضر لو بوصالك منك تسعفه
وان بدا لك ما في وجهه غضب ... فما الطاه وقولا ليس نعرفه

قال فقلت والله طبيب ان كان قائل هذا الصوت شخص صورته على قدر صوته واختمت ثم اني قويت قلبي ورفعت الستر ودخلت الدهليز الى ان انتهيت الى آخره ومددت طرفي واذا بدار قد اقبلت عليها السعادة وزالت عنها الشقاوة ورأيت في صدر المكان ايوانا وبركة وشاذروان وفي ذلك الايوان تخت من الساج وقوائمه من العاج مصفح بالذهب الوهاج وفوق التخت فراش من الحرير الاطلس ومسند مزركش وعليه جارية نائمة خماسية القد قائمة النهد لا بالطويلة الشاهقة ولا بالقصيرة اللاصقة اشهر من علم تربية النعيم على اكتاف الخدم بخد اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل ان اقبلت فتنت وان ولت قتلت كما قال فيها بعض واصفيها

كما اشتهت خلقت حتى اذا اعتدلت ... في قالب الحسن لا طول ولا قصر
جرى بها التيه حتى دار اعكنها ... طي القباطي فلا سمن ولا غور
كأنها افرغت من ماء لؤلؤة ... في كل جارحة من حسنها قمر

الا ان الجارية يا امير المؤمنين قد حكمت عليها يد الايام ونزلت بها جميع الاسقام وعند رأسها طبيب وهو يجس يدها ويقول يا ست بدور الضارب ضارب والساكن ساكن ولا برد ولا حمى ولا شيء تشتكينه اكثر من سهر الليل وجريان الدمع لتكون الست في قلبها هوى من احد فلما سمعت كلام الطبيب انشدت تقول

اذا همت بكتمان الهوى نطقت ... سرائري بالذي اخشى من الالم
فان الج افتضح من غير منقصة ... وان كتمت فدمعي غير منكتم
لكن الى الله اشكو ما اكابده ... من طول وجد ودمع غير منصرم

قال فنهض الطبيب قائما على قدميه فناولته صرة فيها عشرون دينارا ثم التفتت الي وقالت من اين يا شيخ فقلت لها من بغداد دخلني العطش الى ان اتيت الى هنا

فقالت لعل ان يكون على يديه فرجي فانا اكتب لك ورقة فتسأل عن بيت الامير عمرو وتعطيها له فان رد بيت على الجواب فانا اعطيك خمسمائة دينار ثم استدعت بدواة وورق وكتبت هذه تقول اما بعد فعجز لساني ويكل جناني عن بث الاشواق ولكن اسأل الكريم الخلاق ان يمن علينا بالتلاق بالسعد

الرائق والامر الموافق وانا القائلة حيث اقول

سروري من الدنيا لقاكم وقربكم	وحبكم فرض وما منكم بد
ولي شاهد دمعي اذا ما ذكرتكم	جرى فوق خدي لا يطاق له رد
اذا الريح من نحو الحبيب تنسمت	وجدت لمسراها على كبد برد
فوالله ما احببت ما عشت غيركم	ولا كنت الا ما حييت لكم عبد
سلام عليكم ما امتد فراقكم	فلا كان هذا منكم آخر العهد

اما بعد فهذا الكتاب ممن ليلها في نحيب ونهارها في تعذيب لا تركن الى عاذل ولا تصغي الى قائل قد غلبتها ايدي الفراق ولو شرحت بعض ما عندها اللفسيح ضاق وما وسعته الاوراق ولكن اسأل الكريم الخلاق رافع السبع الطباق ان

يمن علينا بالتلاق وانشدت تقول

احبه قلبي وان جرتمو	على فكل المنا انتمو
رحلتم وفي القلب خلفتمو	لهيبا فهلا انتم نفتمو
واودعتمو يوم ودعتمو	باحشاي نارا واضرمتمو
وما كنتمو تعرفون الجفا	على شوم بختي تعلمتمو

فالف الف لا اوحش الله منكم والسلام مني عليكم عدد شوقي اليكم ما حن الغريب الى الاوطان وغرد حمام الايك على البان فرحم الله من قرا كتابي و

نعطف برد جوابي وانشدت تقول

احبابنا ما رقا دمعي لفرقتكم	يوم الفراق ولا كفت غواديه
بنتم فلم يبق لي من بعدكم جلد	ولا فؤاد ولا صبر ارجيه
فكم اسلي فؤادي بالهوى كذبا	ولست اول من بانت غواشيه

قال ثم انه اطوت الكتاب وختمته بعد أن نثرت فيه فتات المسك والعنبر وناولتني اياه فاخذته واتيت الى دار الامير عمر فوجدته في الصيد والقنص فجلست على بابه ساعة انتظره واذا به قد اقبل وهو راكب على حصان اشقر من الخيل الضمر يساوي ملك كسرى وقيصر من اولاد الابجر الذي كان لعنتر ان طلب لحق وان طلب لم يلحق والامير في ظهره كانه انقلب فيه قلبا والمماليك قد احدقوا به كما احدق النجوم بالقمر وهو بخد اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل وله عذار اخضر فوق خد احمر وثغر جوهر وعنق مرمر كما قال فيه ابن شعر

قمر تكامل في نهاية حسنه	مثل القضيب على رشاقة قده
فالبدر يطلع من ضياء جبينه	والشمس تغرب في شقائق خده
ملك الجمال باسره فكانما	حسن البرية كلها من عنده

قال ابو الحسن فما امهلته دون ان قبلت ركابه فلما نظر الي ترجل واعتنقني واخذ

بيدي وادخلني الدار وانشد يقول

ما ظن الزمان يأتي بهذا	غير اني رايته في منامي

قال فلما جلس على حافة البركة اقبل على يحادثني ساعة واذا بالمائدة قد وضعت بين ايدينا واذا عليها من الوان الطعام مادرج وتطاير في الاوكار وتناكح في الاوكار من قطا وسمان وافراخ حمام وبط مسمن ودجاج محمر وخراف وضع ومعلبكات لسكر فقال لي بسم الله يا شيخ ابا الحسن فقلت لا والله يا مولاي ما اكلت لك طعاما ولا شربت لك مداما الا ان قضيت لي حاجتي فقال يا ابا الحسن كان هذا من الاول اين الكتاب الذي للست بدور فقلت يا سيدي وما هي الست بدور فقال التي جئت لعندها تطلب شربة من الماء منها ووجدت عندها الطبيب وجرى لك معها ما هو كيت وكيت فقلت يا مولاي أكنت حاضرا فقال لو كنت حاضرا لاي شئ كتبت الكتاب فقلت والا جاء احد من عندها اعلمك فقال انه لا يجسر احد منهم انه يقابلني فقلت ولا راح احد من عندك

الى عندها فقال هي اخس واحقر من ان يمضي اليها احد من عندك فقلت يا سيدي الغيب لا يعلمه الا الله تعالى والوحي ما نزل الا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال يا عاقل اما سمعت قول القائل

قلوب العاشقين لها عيون	ترى ما لا يراه الناظرون
واجنحة تطير بغير ريش	الى ملكوت رب العالمين

فقلت صدقت يا مولاي ثم ناولته الكتاب ففضه وقراه ثم بصق فيه وداسه برجله ورماه في البركة فصعب علي فلما علم مني ذلك قال مم غيظك اقعد الليلة عندي كل واشرب وخذ مني الخمسمائة دينار التي وعدتك بها الست

يدوي وانا احب اليك منها وانشد يقول

رايت شاة وذئبا وهي ماسكة	باذنه وهو منقاد لها ساري
فقلت اعجوبة ثم التفت اري	ما بين نابيه ملقى نصف دينار
فقلت للشاة ماذا الالف بينكما	والذئب يسطو بانياب واظفار
تبسمت ثم قالت وهي ضاحكة	بالتبر يكسر ذاك الضيغم الضاري

قال فلما سمعت كلامه يا امير المؤمنين تقدمت واكلت بحسب الكفاية والنهاية ثم انتقلنا الى مجلس الشراب وقدمت بين ايدينا البواطي والسلاحيات فتناول الامير عمرو وشرب وسقاني وانا احدثه وانادمه الى قرب الغياب فقال لي يا ابا الحسن ما عادة امير المؤمنين اذا يشرب الى المساء فقلت يقول الشراب بلا طرب ولا سماع الذن اولى به فقال لي قم بسم الله فقمت معه الى مجلس وحصيرة تنقط بالذهب واللازورد العجب وهي مزخرفة قد عبقت ازهارها وضحكت سلاحياتها وصفت بواطيها ورفعت اقداحها فجلس الامير عمرو واجلسني بجانبه وقدمت بين ايدينا الشموع واسرجت القناديل فنظرت الى مجلس عجيب وحصيرة مليحة ثم قلت يا مولاي قد تقدم القول ان الشراب بلا سماع الدن اولى به فصفق بكف على كف واذا بثلاثة جوار قد اقبلن كانهن الاقمار الواحدة تحمل عودا والثانية

تحمل دفا والثالثة تحمل مزمارا ثم نقرت الدفية على دفها واصلحت العودية عودها وزمرت الزامرة بزمرها فخيل لي ان المجلس الذي نحن فيه يرقص بنا ثم

ان الدفية غنت تقول

احبابنا انني من يوم فرقتكم — على فراش الضنا ما زلت مضطجعا

داويت قلبي بحسن الصبر بعدكم — عسى يفيق من الاسقام ما نفعا

فوالله يا امير المؤمنين لقد طربت غاية الطرب من حسن صوتها فلما فرغت الدفية ضربت العودية على عودها طرقا عديدة ثم رجعت الى الطريقة الاولى

وانشدت تقول

امؤنس طرفي لا خلا منك ناظري — وجامع شملي لا خلا منك مجلسي

ويا ساكنا قلبي وما فيه غيره — بحل فما استوحشت فيه لمونسي

وبالله يا عين الورى من ملاحة — تصدق على صب من الصبر مفلس

انلني الرضى حتى اغيظ به العدا — ويا موحشي من بعد ما كان مونسي

رضاك الذي ان نلته نلت رفعة — والبسني في الناس اشرف ملبس

قال والله يا امير المؤمنين لم نتمالك عقولنا من الطرب ثم التفتت العودية الى نحو الدفية وقالت لها يا فلانة اتحسني ان تقولي مثل هذا فقالت الدفية انا احفظ ابياتا ما اظن انك تحفظي لهن وزنا ولا قافية ولا عروضا فقالت العودية هاتي ما عندك فنقرت الدفية على دفها باناملها ورفعت صوتها وهي تقول

كرر وردد ذكرهم في مسمعي — فهم الشفا لتألمي وتوجعي

اقصر بعذلك يا عذول فان لي — قلبا لعذلك لا يفيق ولا يعي

فقالت لها العودية انا احفظ الوزن والقافية والعروض فقالت لها الدفية هاتي فضربت العودية طريقة من اثنين واثنين واربعة وثمانية وثمانية وستة عشر وستة عشر ثم عادت الى الطريقة الاولى وجعلت تقول

ان لم اسل وادي الاسيل بادمعي — اعلم باني في الصبابة مدعي

يا سعد ان جئت الغوير وعاينت ... عين الكثيب بان المنحنى فلترجع
وخذ الحذار من الغزال المختفى ... واحذر رصيده لحظ ذات البرقع

قال والله يا امير المؤمنين فلقد طربنا حتى قام كل منا ورقص فلما فرغت الجارية قال لها سيدها غنى لى الذى لقلبى وحدى فعندها سارت عودها وقالت

ما كنت اول رامق صبا صبا ... نحو التصابى وهو فى عشر الصبا
فغلام يعذلنى العذول على البكا ... لولا الغرام لما غدوت معذبا
حكم الهواء بحكمه فى مهجتى ... ولقد غدى قلبى به متقلبا
يا للرجال خبا الهوى بحشاشتى ... نارا فما تخبوا على ذاك الخبا
ولقد سبا عقلى غزالى لو رأت ... بلقيس طلعته لما سكنت سبا
ولقد هربت من الفراق فقال لى ... مهلا رويدا فاين منى تهربا

فلما سمع الامير عمرو ذلك صرخ ووقع الى الارض مغشيا عليه فقالت الجارية يا مولاى انه قد نام سيدى فان اخترت ان تنام فقم نم فى مرقدك وان اخترت الشراب فدونك ونحن بين يديك الى الصباح فقمت ونمت فلما اصبحت قمت وسألت عن الامير عمرو فقال بعض الجوارى انه سرح الى الصيد والقنص فاخذت شاشا البسه فرايت تحته كيسا فيه الف دينار فاخذته واتيت الى الست بدور واذا بها واقفة

خلف الباب تنتظر وهى تقول

يا رسولى الى الحبيب اعتذر لى ... فلعل الحبيب يقبل عذرى
ثم قل للحبيب عنى بلطف ... اى ذنب جرى فاوجب هجرى

فلما رأتنى قالت يا شيخ افتح ام شعير فقلت لا والله ما هو الا زبوان والله ما رضى يقرأ مكتوبك ولا يرد جوابك فرمت الى صرة فيها مائة دينار وقالت اذهب يا ابا الحسن ما مضى الليل واتى النهار على شئ الا وازاله وغيره ويغير الله ما فى القلوب ثم انها اغلقت الباب فى وجهى ومضت وعدت الى دار الامير محمد بن سليمان الزينبى فلقيته قد جاء من الصيد فقعدت عنده

ایاما واخذت رسمی وعدت الی بغداد ثم انی فی السنة القابلة سافرت الی البصرة علی ماجرت العادة به ومضیت الی عند الامیر عمرو بن جبیر الشیبانی لا تمتع بذلک الوجه الملیح والقد الرجیح فوجدت الدار متغیرة الآثار والعبید لا بین السواد فلما

(رایت ذلک بکیت وانشدت اقول)

یادارا این ترحل السکان	وسرت بهم من بعدها الاظعان
بالامس کان بک الضیاء	والبوم فی عرصاتک الغربان

فسمعنی بعض الغلمان فظهر لی وقال من ذا الذی یبکی علی دیارنا ویندب منازلنا کفی بنا ما عندنا فقلت له یا عبد الخیر ان صاحب هذه الدار کان من اصدقاء الناس الی فما فعل به الزمان فقال لی الغلام یا مولای هو فی قید الحیاة وهو یطلب الموت فلا یجده فقلت له بالله علیک خذ لی الیه الطریق فقال لی الغلام یا مولای من اقول فقلت قل الشیخ ابو الحسن الخلیع الدمشقی المسامر فاخبر الغلام وغاب ساعة وعاد وقال لی بسم الله ادخل فوجدت الامیر عمرا نائما و عند رأسه طبیب وهو یجس یده ویقول له یا مولای الضارب ضارب والسکر ساکن لا برد ولا حمی ولا تشتکی غیر سهر اللیل وجریان الدمع لا یکون المولی الا مسحورا فلما سمع الامیر عمرو کلام الطبیب بکی وانشد یقول

قال الطبیب لقومی حین جس یدی	هذا فتاکم ورب البیت مسحور
فقلت ویحک قد قاربت فی صفتی	عین الصواب فهلا قلت مهجور

ثم انه ناوله کاغذا فیه بعض دنانیر فاخذها الطبیب وانصرف ثم التفت الامیر عمرو الی وقال یا شیخ ابا الحسن اما تنظر الی هذا الحال الذی وقعت فیه فقلت له حاشاک من الاسواء ما سبب ذلک قال ما اعرف له سببا الا ان هجر الست بلوم قد قتلنی وجیها اضنی فؤادی فقلت یا مولای بالعام الماضی ترکتک امیرا والیوم اتیت لقیتک اسیرا فما السبب فقال الامیر عمرو یا شیخ انی فی لیلة من اللیالی رکبت فی الشط وقد عبیت فی مرکبی من سائر الازهار والفواکه والریاحین

والطعام والمدام واقدت الشموع حتى صارت مثل ضوء النهار وقد غرقنا فى البسط
بقينا فى لعب وضحك الى ثلث الليل الاول واذ قد اقبل من صدر الشط مركب وهى
تعزف بالطارات والدفوف وتضئ كضوء الشمس وفيها وهج عظيم فقلت للملاح
قدم بنا حتى نتفرج وننظر ايضا احسن تعبية مركبنا او هذه المركب فمددت عينى
فرايت صاحبتى الست بدور وهى بين جواريها وغلمانها تلعب وتضحك وهى
مثل اسمها اسم على مسمى فلما وقعت عينى عليها كان ما رميت فى قلبى جمرة نار
فقلت فى نفسى ما فارقت هذا الوجه المليح بذنب ثم انى تذكرت العهد القديم
الذى كان بيننا فلم اقدر اصبر فمددت يدى واخذت تفاحة ورميتها الى الست
بدور فالتفت فرأتنى فقالت للملاح ارجع بنا الى البر نحن خرجنا هذه الليلة نتشرح
فارسل الله لنا هذا الفتى ينغص علينا عيشنا فلما سمعتها تشتمنى اضرمت النار فى
قلبى ثم قلت لنفسى انت كنت المطلوب فصرت الطالب فلم يهن لى عيش فى هذه
الليلة وقلت للملاح ارجع الى الشط ثم انى نزلت ومضيت الى منزلى وما ذقت
طعم المنام فلما اصبحت لم يقرلى قرار وصرت اترقب ان يأتى احد من عندها
ثلاثة ايام فلم يأت احد فبعثت من يعرض بذكرى لها فدعت عليهم وشتمتهم
فكتبت لها بعد ذلك الف كتاب فلم تردلى جوابا وقد رميت روحى على كل كبير
فى البصرة فيدخلون عليها فلم تقبل ولم تزدد الا جفاء ولى مدة انتظرك يا شيخ
ابا الحسن حتى ابعث معك كتابا وانا احلف لك ان هى ردت لك جوابه اعطيتك
الف دينار وان لم ترد جوابه اعطيتك مائة دينار فقلت له اكتب فدعا بدواة
وقرطاس وكتب فى اول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من متيم يشكوا
اليك الصبابة ويسألك بالله ان تردى جوابه اما بعد فانه يعجز لسانى ويكل
جنانى مما انا فيه من طول السهر ودوام الفكر وبكى لبكائى صم الحجر فالف الف
لا اوحش الله منك والسلام عليك ثم ختم الكتاب وناولنى اياه فاخذته واتيت به
الى دار الست بدور فلقيت الباب على غير تلك الحالة الاولى عليه ستر مرخى وبواب

وخادم فقلت لا اله الا الله كان هذا الباب بالامس خاليا من الاصحاب واليوم عليه خادم وبواب ثم انى تقدمت الى عند الخادم وقلت له قم يا ولدى ادخل واستاذن على مولاتك الست بدور وقل لها الشيخ ابو الحسن الخليع الدمشقى فداتى ويطلب التمثيل بين يديك فغاب الخادم ثم عاد مسرعا وقال بسم الله ادخل فدخلت الدهليز

(فسمعت الست بدور وهى تقول)

ولأصبرن على الزمان وجوره	حتى يجود كما اريد واشتهى

قال فلما دخلت رايتها قاعدة على حافة البركة وبين يديها جارية تروح عليها فتقدمت وقبلت يدها وجلست فنظرت واذا عليها غلالة لازوردية وجميع جسدها بائن من تحت الغلالة كانه عمود مرمر وعلى الغلالة مكتوب هذه الابيات

اقبلت فى غلالة زرقاء	لازوردية كلون السماء
فتأملت فى الغلالة الشئ	قمر الصيف فى ليالى الشتاء
ليتنى كنت للمليحة عقدا	او برقعا للوجه مثل الرداء
او قميصا من الحرير خفيفا	لاصقا للفؤاد والاحشا
ضربتنى بخنجر العشق حتى	صرت ملقى مخضبا بدمائى
تركتنى على الطريق ونادت	من يصلى على قتيل هوائى

ثم انى لما فرغت من قراءة الاشعار قالت لجاريتها هات لى بدلة قماش ثم غيرت ما كان عليها وجلست ثم امرت باحضار المائدة وقالت لى بسم الله كل يا ابا الحسن فقلت والله لا اكلت لك طعاما ولا شربت عندك مداما حتى تقضى حاجتى فقالت كان هذا من الاول ولكن والله قد وقعت من عيننا بر واحل الى الامير عمر وقبل مجيئك الينا فقلت لها انا ما رحت فقالت تكون شيخا وتكذب انت ما عبرت عنده ولقيت الطبيب وهو يقول له كيت وكيت وجرى لك معه كذا وكذا وهذا الكتاب فى طى عمامتك وبالامارة قال لك ان رديت لى الجواب اعطيتك الف دينار وان لم ترد لى الجواب اعطيتك مائة دينار فقلت يا ستى

من اعلمك بهذا فقالت اليس القائل يقول

قلوب العاشقين لها عيون	ترى مالا يراه الناظرون

وانا يا شيخ ابا الحسن اعشق منه وارى اكثر مما يراه فقلت صدقت يا مولاتي كان ذلك ثم ناولتها الكتاب ففضته وقرأته ثم انها مزقته وبصقت عليه وداسته ورمته في البركة فلما رايت ذلك قلت في نفسي هذا بذاك وقرضا لدين لابد له من وفا الا اني حصل لي بعض غيظ على الالف دينار التي تفوتني فنظرت الى وعرفت مني ذلك فقالت يا شيخ ابا الحسن مم غيظك ان كان وعدك بالف دينار بت الليلة عندي وكل واشرب ولذ واطرب وخذ لك غدا مني الف دينار وامض في وداعة الله فقلت يا سيدتي يكاد الامير عمرو ان يموت فقالت دعنا من هذا الكلام ثم ان المائدة حضرت فاكلنا بحسب الكفاية فلما فرغنا قالت يا شيخ تعرف تلعب بالشطرنج قلت ما العب الا على الحكم والرضى فقالت نعم ثم دعت بالشطرنج فوضع بين ايدينا ولعبت معها الدست الاول فغلبتني فامرت الجواري ان يرموني في البركة فمسكوني ورموني في البركة فضحكت علي ساعة ثم اخرجوني وقد ابتلت جميع حوائجي فلما راتني على تلك الحالة امرت ببدلة من القماش من افخر الملبوس فلبست فقالت نلعب ايضا على الحكم والرضى قلت نعم فلعبنا فتغابيت عليها واتيت لها بحكاية لطيفة مضحكة واشغلتها وسرقت القطع الى ان غلبتها وتحكمت فيها وقلت اريد الالف دينار وجواب الكتاب فاعطتني الالف دينار وطلبت الدواة والقرطاس ثم انها اطرقت ساعة ورفعت راسها وكتبت تقول

الا يا عمرو كم هذا العناء	وكم هذا التجلد والاذاء
كتبت الى تشكو ما تلاقي	من الاسقام اذ نزل القضاء
فسقمي لا يزال طول دهر	وداء ماله ابدا دواء
ولو ساعدتنا يا عمرو يوما	لساعدناك اذ نزل البلاء
نعش صبا ومت كمدا حزينا	فواحدة بواحدة جزاء

فلما فرغت ناولتني الورقة فقرأتها فقلت يا ستي بالله عليك لا تفعلي وارحمي
الامير عمرو واكتبي له غير هذا فقالت لي يا شيخ ابا الحسن انت رسول والا فضولي
فقلت لها رسول وفضولي وطفيلي ويغيظ القطط ويحلف انه ما يبات الا في
الوسط ويحنى بابيت بكم قال فضحكت من كلامي وقالت حكمتك في نفسي فقلت
ياست بدور اين تلك المحبة التي كنت تحبيها للامير عمرو فلو ابصرتيه ما عرفتيه
من شدة ما يقاسي من الاسقام والالام والامراض فلما سمعت ذلك قالت
اخبرني عن اقوى شئ به من المرض فقلت يا سيدتي ما اقدر اصف لك بعض
ما فيه من الم المرض فتغرغرت عيناها بالدموع ثم قالت يعز علي ما وصفت لي
عنه وروحي لروحه الفداء فالحمد لله الذي كان اجتماعنا على يديك ثم دعت
بدرج غير تلك الورقة وكتبت في اول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم ثم

انها بدات تنشد وتقول

وصل الكتاب فلا عدمت انا ملا	غنيت به حتى تضوع طيبا
ففضضته وقرأته فوجدته	لخفي اوجاع القلوب طبيبا
فكانه موسى اعيد لامه	او ثوب يوسف قد اتى يعقوبا

المملوكة تقبل الارض وتنهي ان شوقها شديد وغرامها ما عليه مزيد وسؤلها من

الحميد المجيد ان يجمع شملها بك قبل ان تريد وتقول

اشتاقكم حتى اذا انهض الغرام	لمقامكم تعدت بي الايام
والله اني لو وصفت صبابتي	فني المداد وقلت الاقلام

ثم انها نثرت فيها فتات المسك والطيب وطوتها وختمتها وناولتني اياها فاخذتها
وقمت مسرعا وانا فرحان الى ان اتيت دار الامير عمرو ودخلت الدهليز فسمعته يقول

ترى حرمت كتب المحبة بيننا	اسحر ام القرطاس اصبح غاليا

فاستأذنت عليه ودخلت فلما رآني قال لي افتح ام شعير فقلت له فتح مغربل
ليس فيه كدر ثم ناولته الكتاب ففضه وقرأه فلما فهم معناه تهلل وجهه

بالفرح فبكي وقال

هجم السرور علي حتى انني		من عظم ما قد سرني ابكاني
يا عين قد صار البكا لك عادة		تبكين في فرح وفي احزان

فلما فرغ من البكاء قال لي يا شيخ ما اظن الحديد يلين ولا الصخر يذوب لعل ان تكون صنعت هذا الكتاب من عندك فقلت يا مولاي والله ما صنعته ولا كتبته بل هو خطها بيدها فبينما هو يخاطبني اذ هي عبرت علينا وهي تخطر في قوامها

وهي تنشد وتقول

نزورهم لا يؤاخذكم بجفونكم		ان الكريم اذا المريض زارا

فلما راها الامير عمرو نهض قائما على قدميه ورمى بروحه عليها واعتنقها واعتنقته ساعة زمانية فهممت على ان اخلي لهما المكان فقالت الست بدور الى اين تروح يا شيخ قلت اخلي لكما المكان لانكما ما اجتمعتما من مدة سنة كاملة فقالت لا تفارقني من الساعة الى الصباح فقام الامير عمرو واخذنا ومضى بنا الى مجلس مليح وقدم لنا الطعام المفتخر وامر بازالة كل شئ كان عليه من آلة الحزن وجئ له بالماء فغسل يديه وغسلنا ايدينا وانتقلنا الى مجلس الشراب وبتنا في لذة ورايت الماورية تدب في وجه الامير عمرو وبتنا في لذة فلما اصبحت قالت لي الست بدور يا شيخ ابا الحسن امض وائتنا بالقاضي والشهود فلم يكن باسرع مما احضرتهم فقالت الست بدور للقاضي اكتب كتابي على الامير عمرو وقد وليت الشيخ ابا الحسن عقد النكاح قال فخطب القاضي خطبة النكاح وعقد العقد بينهما فرسم الامير عمرو للقاضي بالف دينار وللشهود بمائتي دينار وعمل الوليمة وطبخ الطعام وعمل الحلاوات وجمع الناس ووضع بين ايديهم الموائد واطعم الشارد والوارد وزفت الست بدور تلك الليلة على الامير عمرو فلما وقفوا على المنصة قلت ما تصلح الا له ولا يصلح الا لها ولو رآها غيره لزلزلت الارض زلزالها ثم تقدمت الى الامير عمرو وقلت له يا مولاي المثل يقول العصفور يتفلى والصياد

بيتقلى وانتم تقولون واطرباه وانا اقول واحزناه فقالت الست بدور ما معنى كلامك
هذا قلت يا سيدتى الامير عمرو وعدنى بوعد والوعد على الكرماء دين فقالت
الست بدور صدق الشيخ اعطه الذى وعدته به فقال الامير عمرو لبعض غلمانه
اعط الشيخ ابا الحسن الفا وخمسمائة دينار بيتنا اهل والله اكثر من ذلك
فمضى الغلام وعاد بسرعة ومعه كيس وناولنى اياه واعطتنى الست بدور مثله
ثم انى ودعتهم وخرجت الى ان اتيت الى الامير محمد بن سليمان الزينبى وتعددت
عنده على عادتى واخذت رسمى الذى لى عليه فى كل سنة وعدت الى بغداد
فما رايت سنة ابرك على منها حصل لى فيها اربعة الاف دينار وهذا جملة الحديث
فتعجب الخليفة وقال ما قصرت يا شيخ ابا الحسن خذ من جعفر الف دينار لانك انت
الذى ازلت عنى ما بقلبى فقال جعفر ومن عند امير المؤمنين الف دينار لانه
هو الذى زال عنه ما كان يجده فقال ابو الحسن صدق الوزير ابقاه الله تعالى
ثم انه قبض الالفين دينار ومضى الى منزله والله اعلم قال ابو القاسم عبد
الملك بن بدرون فى شرحه لقصيدة عبد المجيد بن عبدون جعفر البرمكى
هو جعفر بن يحيى بن خالد برمك والبرمك هو الذى يعمر بيت النور وهو
بيت النار وكان برمك من مجوس بلخ وكان عظيم القدر فيهم وولده خالد فلما
كبر صار وزيرا لابى السفاح بعد ابى سلمة الخلال وقتل هارون الرشيد جعفرا سنة
سبع وثمانين ومائة وكان جعفر قد بلغ من الرشيد ما لا يبلغه وزير من خليفة
قبله حتى كان يجلس معه فى حلة واحدة قد اتخذ لها جيبان على ما ذكره بعض
المخبرين وكان بلغ عنده ان يحكم عليه فيما شاء من امر ماله وولده فمن ذلك ما حكاه
ابن المهدى عم الرشيد وهو ابراهيم المعروف بابن شكلة وكانت شكلة امة سوداء
وقد ذكر ان ابراهيم كان اسود شديد السواد وكان من الطبقة العليا فى صنعة العود
قال قال لى جعفر يوما يا ابراهيم اذا كان غدا فبكر لى فلما كان الغد مشيت اليه
باكرا فجلسنا نتحدث فلما ارتفع النهار احضر حجاما فحجمنا ثم قدم لنا الطعام فطعمنا

ثم خلع علينا ثياب المنادمة وقال جعفر لخادمه لا يدخل علينا احد الا عبد الملك القهرمان فنسي الحاجب ما قال له فجاء عبد الملك بن صالح الهاشمي وكان رجلا من بني هاشم ذا املاحة وفصاحة وعلم وحلم وجلالة قدر وفخامة ذكر وصيانة وديانة فظن الحاجب انه الذي امره بادخاله عليهما فلما رآه جعفر تغير لونه فقال له عبد الملك بن صالح لما راهم على تلك الحالة وظهر له انهم احتشموه اراد ان يرفع خجله وخجلهم بمشاركته لهم في فعلهم فقال اصنعوا بنا ما صنعتم بانفسكم فجاء الخادم فطرح عليه ثياب المنادمة ثم جلس للشراب فلما بلغ ثلثا قال للساقي لتخفف عني فاني ما شربته قط فتهلل وجه جعفر فقال له هل من حاجة تبلغها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فاقضيها لك مكافاة لما صنعت قال بلى ان امير المؤمنين على غاضب فسله الرضا عني قال قد رضي عنك امير المؤمنين قال وعلى اربعة آلاف دينار قال هي لك حاضرة من مال امير المؤمنين قال وابني ابراهيم اريد ان اشد ظهره بصهر من امير المؤمنين قال قد زوجه امير المؤمنين بابنته عائشة قال واحب ان تخفق الالوية على راسه قال نعم قد ولاه امير المؤمنين مصر قال ابراهيم بن المهدي فانصرف عبد الملك بن صالح وانا اتعجب من اقدام جعفر على قضاء الحوائج من غير استئذان فلما كان من الغد وقفنا على باب الرشيد ودخل جعفر فلم نلبث ان دعا بابي يوسف القاضي ومحمد بن واسع وابراهيم بن عبد الملك فعقد له النكاح وحملت البدر الى منزل عبد الملك وكتب سجل ابراهيم على مصر وخرج جعفر فاشار الي فلما سار الى منزله ونزلت بنزوله التفت الي وقال لعل قلبك معلق بامر عبد الملك بن صالح فاحببت معرفة خبره قلت نعم قال وذلك اني لما دخلت على امير المؤمنين ومثلت بين يديه وابتدات القصة من اولها الى آخرها كما كانت قال الرشيد احسن والله احسن والله ثم قال ما صنعت فاخبرته بما سال وبما اجبته في ذلك فقال احسنت وخرج ابراهيم واليا على مصر من يومه والله تعالى اعلم قال ابراهيم بن اسحاق كنت منقطعا الى البرامكة

فبينما انا ذات يوم بمنزلي واذ الباب يدق فخرج غلامي وعاد وقال لي على الباب
فتى جميل يستأذن فاذنت له فدخل شاب عليه اثر السقم فقال لي مدة احاول
لقائك ولي اليك حاجة فقلت ماهي فاخرج ثلثمائة دينار فوضعها بين يدي و
قال اسئلك ان تقبلها مني و تصنع لي لحنا في بيتين قلتهما فقلت انشدنيهما فقال

بالله يا طرفي الجاني على كبدي	لتطفئن بدمعي لوعة الحزن
لالا ابوح حتى تخلي سكني	فلا اراه ولو ادرجت في كفني

قال فصنعت لهما لحنا يشبه النوح ثم غنيته فاغمي عليه حتى اني ظننت انه مات
ثم افاق وقال اعده فناشدته الله وقلت اخشى ان تموت فقال ليت ذلك
ومازال يخضع ويتضرع حتى رحمته واعدته فصعق صعقة اشد من الاولى
فلم اشك في موته ومازلت انضح عليه من ماء الورد حتى فاق ثم جلس فحمدت الله
على السلامة ووضعت دنانيره بين يديه وقلت خذ مالك وانصرف عني فقال
لا حاجة لي بها ولك مثلها ان اعدته فشرهت نفسي فقلت اعيد ولكن بثلاثة
شرائط اولها تقيم عندي تاكل من طعامي حتى تتقوى نفسك الثاني ان تشرب
من الشراب ما يمسك قلبك الثالث ان تحدثني بحديثك ففعل ذلك ثم قال اني
رجل من اهل المدينة خرجت متنزها وقد سال المطر في العقيق مع اخوتي وقرابتي
فتا تامع فتيات كانها اغصن جللها الندا تنظر بعينين ما ارتد طرفها الا بنفس
ملاحظها فاظللن حتى فرغ النهار فانصرفن وقد رمت بقلبي جراحا بطيئة الاندمال
فعدت اتنسم اخبارها فلم اجد احدا يرشدني اليها فجعلت اتبعها في الاسواق
فلم اقع لها على خبر ومرضت اسا وحكيت قصتي لذي قرابة لي فقالت لي لا بأس
عليك هذه ايام الربيع ما انقضت وستمطر السماء فتخرج حينئذ واخرج انا معك
فافعل مرادك قال فاطمانت نفسي بذلك الى ان سال العقيق وخرج الناس ينظرون
فخرجت مع اخوتي وقرابتي فجلسنا في مجلسنا بعينه فما لبثنا الا والنسوة
كفرسي رهان فقلت لقرابتي قولي لهذه الجارية يقول لك هذا الرجل

لقد احسن من قال

ومتني بسهم اقصد القلب وانثنت	وقد غادرت جرحا به وندوبا

قال فمضت اليها وقالت لها ذلك فقالت لها قولي له وقد احسن من اجابه

بنا مثل ما تشكو فصبرا لعلنا	نرى فرجا يشفي القلوب قريبا

قال فامسكت عن الكلام خوفا لفضيحة وقمت منصرفا فقامت لقيامي فتبعتها قرابتي حتى عرفت منزلها ورجعت فاخذتني وسرنا اليها حتى اجتمعنا واتصل ذلك حتى شاع وظهر وحجبها ابوها فلم ازل مجتهدا في لقائها فلم اقدر وشكوت ذلك الى ابي فجمع اهلنا ومضى الى ابيها راغبا في خطبتها فقال لو بدا له ذلك قبل ان يفضحها لفعلت ولكنه اشهرها فما كنت لاحقق قول الناس قال ابراهيم فاعدت عليه الصوت وعرفني منزله ثم انصرف وكانت بيننا عشرة ثم جلس جعفر بن يحيى وحضرت على عادتي فغنيته شعر الفتى فطرب وشرب اقداحا وقال ويلك لمن هذا الصوت فحدثته حديث الفتى فامرني بالركوب اليه وان اجعله على ثقة من بلوغ اربه فمضيت اليه واحضرته فاستعاده الحديث فحدثته فقال هي في ذمتي حتى ازوجك اياها فطابت نفسه واقام معنا فلما اصبح ركب جعفر الى الرشيد وحدثه بذلك فاستظرفه وامران يحضرا جميعا فاستعاد الصوت وشرب عليه فامر بكتب الكتاب الى عامل الحجاز باحضار المرأة واهلها ووالدها مبجلين الى حضرته والانفاق عليهم نفقة واسعة فلم يمض الا يسير حتى حضروا فاشار الرشيد بايصال الرجل اليه فحضر وامر بتزويج ابنته من الفتى واعطاه الف دينار ونقلت الى اهله ولم يزل الشاب من ندماء جعفر حتى حدث ما حدث فعاد الفتى باهله الى المدينة فرحمهم الله تعالى ورحمهم اجمعين حكاية اجنبية مما اتفق ان الوزير ابا عامر احمد بن مروان كان قد اهدى له غلام من النصارى لا تقع العيون على احسن منه فلمحه الملك الناصر فقال له انى لك هذا قال هو من عند الله فقال تتحفونا بالنجوم وتستأثرون بالاقمار فاعتذر اليه ثم احتفل في هدية بعثها اليه مع

الغلام وقال لكن داخلا في جملة الهدية ولولا الضرورة ما سمحت بك

نفسي وكتب معه هذه الابيات

امولاى هذا البدر سار لافقكم	وللافق اولى بالبدور من الارض
ارضيكم بالنفس وهي نفيسة	ولم ار قبلى من بمهجته يرضى

قال فحسن ذلك عند الناصر واتحفه بمال جزيل وتمكن عنده ثم بعد ذلك اهديت للمؤتمن جارية من اجمل نساء الدنيا فخاف ان ينهى ذلك الى الناصر فيطلبها فتكون كقصة الغلام فاحتفل في هدية اعظم من الاولى وارسلها

مع الجارية وكتب معها هذه الابيات

امولاى هذى الشمس والبدر اولا	تقدم لكى ان يلتقى القمران
قران لعمرى بالسعادة ناطق	فدم معهما في كوثر وجنان
فما لهما والله في الحسن ثالث	وما لك في ملك البرية ثان

قال فتضاعفت مكانته عنده ثم وشى به بعض اعدائه عند الناصر ان عنده بقية من الغلمان وحذره وانه لا يزال يلهج بذكره حين تحركه الشمول فيقرع السن على تعذر الوصول فقال الناصر للواشى لا تحرك به لسانك والاطار رأسك وكتب على لسان الغلام ورقة فيها يا مولاى تعلم انك كنت لى على الانفراد ولم ازل معك في نعيم وانا وان كنت عند السلطان مشاركا في المنزلة محاذرا ما ابيد ومن سطوة الملك فتحيل في استدعائى منه ثم بعثها مع غلام صغير واوصاه ان يقول هى من عند فلان وان الملك لم يكلمه قط فلما وقف عليها ابو عامر واستخبر الخادم فطن بالمكيدة فكتب

على ظهر الورقة يقول

امن بعد احكام التجارب ينبغى	لدى سقوط الطير في غابة الاسد
ولا انا ممن يغلب الحب عقله	ولا جاهل ما يدعيه اولو الحسد
فان كنت روحى قد وهبتك طائعا	وكيف ترد الروح ان فارق الجسد

فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد الى سماع واثر فيه
بعد ذلك ثم قال له كيف خلصت من الشرك قال لان عقلي بالهوى غير مشترك

وهذا سبب قتل البرامكة وما وقع لهم مع الرشيد

والقصة في ذلك على ما رواه ابراهيم بن اسحاق عن ابي ثور زاهر بن صفار
قال بلغني انه كان لهارون الرشيد مجلس بالليل مع جعفر البرمكي فقال له
يوما لا يطيب لي ذلك الا بحضر اختي ميمونة ولكن لا يجوز الا ان كتبت لك
عليها لاباحة النظر من غير ان تقربها فاتفقا على ذلك وعقد له عليها ثم احضرها
فكانت تحضر لذلك المجلس الا انه زاد غرامها وعشقها فيه وكان لجعفر البرمكي
امرأة تزين له الجواري كل ليلة فجاءت ميمونة لها وارشتها بمال فزينتها
له وادخلتها عليه فظن انها جارية فواقعها فلما اصبحوا قالت له انا ميمونة وقد
كنت اسألك ان تساعدني على مودتك فتأبى فلما ايست منك احتلت عليك
بما رايت في هذه الليلة وان لم تواظب لاكونن سببا في سلب نعمتك وهل
انت الا زوجي فقال لها جعفر ويحك اهلكتيني واهلكت نفسك وكان كما
قال ولم يزل هذا حتى ظهر امرها للرشيد فهذا كان سبب قتل البرامكة وهذا
ابتداء الحديث قال المبرد قال ابو عبد الله المارستاني عن يحيى بن اكثم القاضي
قال سألت اسماعيل بن يحيى الهاشمي عن سبب زوال نعمة البرامكة قال نعم
اعرف صحة الخبر وباطن القصة كان سبب ذلك اني كنت مع الرشيد يوما من
الايام راكبا الى الصيد فبينما نحن اذ نظر الى موكب بالبعد اعترضنا فقال لي يا اسماعيل
لمن هذا فقلت هؤلاء اخيك جعفر بن يحيى فالتفت يمينا وشمالا الى من صحبه
في موكبه فاذا هو شرذمة يسيرة ثم نظر الى الموكب الذي فيه جعفر فلم يره فقال لي
يا اسماعيل ما فعل جعفر وموكبه فقلت يا سيدي قد مضى اخواك في طريق ولم
يعلم بموضعك فقال ما اتانا اهلا ان يزيننا بموكبه ويجملنا بجيشه فقلت العفو
يا امير المؤمنين لو علم بمكانك ما تعداك وما سار الا بين يديك واعتذرت

بما حضرلی من الکلام ثم سرنا حتی انتهینا الی ضیعة عامرة ومواش کثیرة وعمارة حسنة وکان الطریق یدور علیها فدرنا حتی وردنا باب القریة فنظر الرشید الی البیدر والی کثرة الغلال فیه والمواشی ویسار اهلها فالتفت الی وقال یا اسماعیل لمن هذه الضیعة قلت لاخیك جعفر بن یحیی فسکت ثم تنفس الصعداء ثم سرنا ولم نزل نمر بکل ضیعة اعمر من الاخری وکلما مر وسألنی عن ضیعة قلت لجعفر بن یحیی حتی سرنا ووصلنا الی المدینة قبل اردت وداعه والانصراف الی منزلی نظر الی من کان حوالیه نظرة فعلموا ما اراد فتفرقوا وبقیت انا وهو فقال یا اسماعیل قلت لبیك یا امیر المؤمنین فقال انظر الی البرامکة اغنیناهم وافقرنا اولادنا واغفلنا امرهم فقلت فی نفسی بلیة والله ثم قلت لماذا یا امیر المؤمنین قال نظرت الی هؤلاء وغفلت عن هؤلاء لانی لا اعرف لاحد من اولادی ضیعة من ضیاع البرامکة علی طریق واحد علی قرب هذه المدینة فکیف بما هو لهم غیر ذلك علی غیر هذه الطریق فی سائر البلدان فقلت یا امیر المؤمنین انما البرامکة عبیدك وخدمك والضیعات واموالهم وکل ما یملکون لك فنظر الی نظرة جبار عنید ثم قال ما عد البرامکة بنی هاشم الا عبیدهم وانهم هم الدولة وان لا نعمة لبنی العباس الا والبرامکة انعموا علیهم بها فقلت امیر المؤمنین ابصر من غیره بخدمه ومو الیه فقال والله یا اسماعیل انك لتعلم انی قلت هذا وکانی اراك ان تعلمهم بکلامی فیثمان لك عندهم یدا وانی آمرك وان تکتم هذا الامر فانه ما علم به احد غیرك وان بلغهم شیء مما جری علمت انه ما افشاه الا انت یا امیر المؤمنین اعوذ بالله ان یکون مثلی یفشی سرك قال وکان هذا القول اول ما ظهر من امر البرامکة ثم ودعته وانصرفت متفکرا فی ایقاع الحیلة علیهم فلما کان من الغد بکرت الیه وجلست بین یدیه وکان فی محل یشرف علی الدجلة من شرقی مدینة باب السلام وبازائه منزل جعفر من الجانب الغربی وکانت المواکب من جمیع الاصناف من قائد وامیر وعامل یردون فی کل

يوم الى قصر جعفر فالتفت الى وقال لي يا اسماعيل هذا ما كنا فيه بالامس انظر كم على باب جعفر من الجيوش والغلمان والمواكب وانا ما على باب داري احد فقلت يا امير المؤمنين ناشدتك الله ان لا تعلق نفسك بشيء من هذا وان جعفر انما هو عبدك وخادمك ووزيرك وصاحب جيوشك اذا لم يكن الجيش على بابه فعلى باب من يكون انما بابه من ابوابك فقال يا اسماعيل انظر الى دوابهم الست ترى اعجازهم الى قصري وتروث بابنائنا ونحن ننظر اليها والله هذا هو الاستخفاف بعينه والله لا اصبرن على ذلك ثم غضب غضبا شديدا وامتلأ غيظا فامسكت عن الكلام وقلت والله هذا قضاء من الله سابق وحكم لا محالة واقع ثم استأذنته في الانصراف ورجعت الى منزلي فلقيني جعفر في الطريق يريد الرشيد فتواريت عنه حتى مضى فدخل اليه وسلم عليه فاجلسه عن يمينه واكرمه غاية الاكرام وبش في وجهه وحادثه ساعة ووهب له خادما من خاصة خدمه وانبلهم واوضحهم وجها واكملهم ظرفا فاتيا حاسبا لبيبا فسر جعفر سرورا كاملا ووقع في قلبه اجل موقع وكان دسيسا عليه وبليته لديه برفع اخباره الى الرشيد ويحصى عليه انفاسه ساعة بساعة ووقتا بوقت فخلا به جعفر يومه ذلك وليلته واحتجب من اجله عن الناس فلما كان بعد ثلاثة ايام سرت الى جعفر فسلمت عليه فلما خلا مجلسه ولم يبق عنده غيري وذلك الخادم واقف وعلمت ان الخادم يحصى علينا اخبارنا فقلت ايها الوزير نصيحة افتأذن لي بالكلام قال تكلم وكان الرشيد ولاه كورة خراسان كلها وما يضاف اليها وينسب لها قبل هذا الكلام بايام وخلع عليه وعقد له لواء وعسكروا بالنهروان وضرب للناس مضاربهم بها وهم متأهبون للسفر فقلت يا سيدي انت عازم على الخروج الى بلدة كثيرة الخير واسعة الاقطار عظيمة المملكة فلو صيرت بعض ضياعات لولد امير المؤمنين لكان احظى لمنزلتك عنده فلما قلت ذلك نظر الي مغضبا وقال والله يا اسماعيل ما اكل الخبز ابن عمك او قال صاحبك الا بفضلي ولا قامت هذه الدولة الا بنا اما كفى اني تركته

لا يهتم بامر شئ من امر نفسه و ولده وحاشيته ورعيته وقد ملأت بيوت
امواله اموالا ولا زلت للامور الجليلة ادبرها حتى يمد عينيه الى ما ادخرته
واخترته لولدي وعقبي من بعدي وداخله حسد بني هاشم وبغيهم ودب فيه
الطمع والله لئن سالني شيئا من ذلك ليكونن وبالا عليه سريعا فقلت والله يا
سيدي ما كان مما ظننت شيئا ولا تكلم امير المؤمنين بحرف قال فما هذا الفضل
منك فقعدت بعدها هنيهة ثم قمت الى منزلي ولم اركب اليه ولا الى الرشيد
لاني صرت بينهما في حال تهمة وقلت في نفسي هذا الخليفة وهذا وزيره وايش لي
بالدخول بينهما ولا شك في زوال نعمة البرامكة وان امورهم قد انثلمت قال و
حدثني خادم ام جعفر ان الخادم الذي وهبه الرشيد لجعفر كتب الى الرشيد
بما كان بيني وبينه وما تكلم به من الكلام الغليظ قال فلما قرأ الكتاب وفهم
الخبر احتجب ثلاثة ايام متفكرا في ايقاع الحيلة على البرامكة فدخل في اليوم الرابع
على زبيدة فخلا بها وشكى لها ما في قلبه واطلعها على الكتاب الذي رفعه
اليه الخادم وكان بين جعفر وزبيدة شر وعداوة قديمة فلما تمكنت الحجة عليه
بالغت في مكرهم واجتهدت في هلاكهم وكان الرشيد يتبارك بشومها
فقال اشيري على برأيك الموفق الرشيد فاني خائف ان يخرج الامر من يدي
ان تمكنوا من خراسان وتغلبوا عليها فقالت يا امير المؤمنين مثالك مع البرامكة
كمثل رجل سكران غريق في بحر عميق فان كنت قد افقت من سكرتك وتخلصت
من غرقك اخبرتك بما هو اصعب عليك واعظم من هذا بكثير وان كنت على الحالة
الاولى تركتك فقال لها قد كان ما كان فقولي اسمع منك فقالت ان هذا
الامر قد اخفاه عنك بنو برمك وهو اصعب مما انت فيه واقبح واشنع فقال لها
ويلك وما هو فقالت انا اجل من ان اخاطبك به ولكن تحضر ارجوان الخادم و
تشدد عليه وتوهمه ضربا فانه يعرفك الخبر وكان الرشيد قد احل جعفرا محلا
لم يحله اخوه ولا ابوه وامره ان يدخل على الحريم في السفر والحضر وابرز اليه جواريه

واخواته وبناته لانه كان بينهما رضاع سوا امرأته زبيدة فانه لم يكن رآها ولا
دخل عليها ولا تقضي لها حاجة ولا هي ايضا تستقضيه حاجة فلما فسد قلب الرشيد
وتغير على هؤلاء البرامكة وجدت سبيلا على البرامكة فسلطت على جعفر
وكان جعفر يدخل على الحريم في غياب الرشيد ويقضي حوائجهن لانهن لا يستترن
منه وكان ذلك بامر الرشيد ولم يعلم الرشيد ما حدث من جعفر قال فخرج
الرشيد واستدعى بارجوان الخادم واحضر السيف والنطع وقال برئت من
المنصور ان لم تصدقني في حديث جعفر لاقتلنك فقال الامان يا امير المؤمنين
قال نعم لك الامان فقال اعلم ان جعفرا قد خانك في اختك ميمونة وقد دخل بها
منذ سبع سنين وولدت منه ثلاث بنين احدهم له ست سنين والآخر له
خمس سنين والثالث عاش سنتين ومات قريبا والاثنان قد انفذتهما
الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي حامل بالرابع وانت اذنت له بالدخول
على البنات وامرتني ان لا امنعه في اي وقت شاء ليلا او نهارا قال امرتك ان
لا تحجبه فحين حدثت هذه الحادثة لم لا اخبرتني اول مرة ثم امر بضرب
عنقه وقام من وقته على الفور ودخل على زبيدة وقال لها رأيتي ما عاملني
به جعفر وما ارتكب من هتك ستري ونكس رأسي وفضحني بين العرب والعجم
فقالت هذه شهوتك وارادتك عمدت الى شاب جميل الوجه حسن الثياب
طيب الرائحة جبار في نفسه ادخلته على ابنة خليفة من خلفاء الله وهي احسن منه
وجها وانظف منه ثوبا واطيب منه رائحة لكنها لم تر رجلا قط غيره فهذا جزاء من
جمع بين النار والحطب فخرج من عندها سكرانا فدعا بخادمه مسرور وكان قاسي
القلب فظا غليظا قد نزع الله الرحمة من قلبه فقال يا مسرور اذا كان الليلة بعد
العتمة فأتني بعشرة من الفعلاء اجلادا ومعهم خادمان قال نعم فلما كان بعد العتمة
جاء مسرور ومعه الفعلاء والخادمان فقام الرشيد وهم بين يديه حتى اتى
المقصورة التي فيها اخته فنظر اليها وهي حامل فلم يكلمها بشيء ولم يعاتبها على

ما فعلت وامر الخادمين بادخالها فى صندوق كبير فى مقصورتها بعد قتلها ووضعها بحليها وثيابها كما هى وقفل عليها وقد علمت انها بعد قتل رجوان لاحقة به فلما علم انه استوثق بها دعا بالفعلاء ومعهم المعاول والزنابيل فحفروا وسط تلك المقصورة حتى بلغوا الماء وهو قاعد على كرسيه ثم قال حسبكم هاتوا الصندوق فدلوه فى تلك الحفرة ثم قال ردوا التراب عليه ففعلوا وسووا الموضع كما كان ثم اخرجهم وقفل الباب واخذ المفتاح معه وجلس فى موضعه والفعلاء والخادمان بين يديه ثم قال يا مسرور خذ هؤلاء القوم واعطهم اجرتهم فاخذهم مسرور وجعلهم فى جوالق وخيط عليهم بعد ان ثقلهم بالصخر والحصى ورماهم فى وسط الدجلة ورجع من وقته فوقف بين يديه فقال يا مسرور فعلت ما امرتك به قال وفيت القوم اجورهم فدفع اليه مفتاح البيت وقال احفظه حتى اسألك عنه وامض الآن فانصب فى وسط المحل القبة التركية ففعل ذلك ووافاه قبل الصبح ولم يعلم احد ما يريد فلما جلس فى مجلسه وكان يوم خميس يوم موكب جعفر قال يا مسرور لا تتباعد عنى ودخل الناس فسلموا عليه ووقفوا على مراتبهم ودخل جعفر بن يحيى البرمكى فسلم عليه فرد عليه السلام احسن رد وترحب به وضحك فى وجهه فجلس فى مرتبته وكانت مرتبته اقرب المراتب الى امير المؤمنين ثم حدثه ساعة وضاحكه فاخرج جعفر الكتب الواردة عليه من النواحى فقرأها عليه وامر ونهى ومنع ونفذ الامور وقضى حوائج الناس ثم استأذنه جعفر فى الخروج الى خراسان فى يومه ذلك فدعا الرشيد بالمنجم وهو جالس بحضرته فقال الرشيد كم مضى من النهار قال ثلاث ساعات ونصف فاخذ له الارتفاع وحسب له الرشيد بنفسه ونظر فى نجمه فقال يا اخى هذا يوم نحوسك وهذه ساعة نحس ولا ارى الا انه يحدث فيها حدث ولكن تصلى الجمعة وترحل فى سعودك وتبيت فى النهروان تبكر يوم السبت وتستقبل الطريق بالنهار فانه اصلح من اليوم فما رضى جعفر بما قاله الرشيد حتى

اخذ الاصطرلاب من يد المنجم وقام واخذ الطالع وحسب لطالع لنفسه وقال و
الله صدقت يا امير المؤمنين ان هذه الساعة ساعة نحس وما رايت نجما اشد
احتراقا ولا اضيق مجرى من البروج في مثل هذا اليوم ثم قام وانصرف الى منزله
والناس والقواد والخاص والعام من كل جانب يعظمونه ويجلونه الى ان وصل
الى قصره في جيش عظيم وامر ونهى وانصرف الناس عنه فلم يستقر به المجلس حتى بعث
اليه الرشيد مسرورا وقال له امض الى جعفر وائتني به الساعة وقل له وردت كتب من
خراسان فاذا دخل من الباب الاول اوقف الجند والثاني اوقف الغلمان والثالث
فلا تدع احدا يدخل معه من غلمانه بل يدخل وحده فاذا دخل في صحن الدار فمل به
الى القبة التركية التي امرتك بنصبها فاضرب عنقه وائتني براسه ولا تعلم احدا من خلق الله
على ما امرتك به ولا تراجعني في امره وان لم تفعل امرت من يضرب عنقك
ويأتيني براسك وراسه جملة وفي دون هذا كفاية وانت اعلم وتبادر قبل
ان يبلغه الخبر من غيرك فمضى مسرور واستأذن على جعفر فدخل عليه وقد نزع
ثيابه وطرح نفسه ليستريح فقال سيدي اجب امير المؤمنين قال فانزعج وارتاع
منه وقال ويلك يا مسرور انا في هذه الساعة خرجت من عنده فما الخبر قال
وردت كتب من خراسان يحتاج تقرأها فطابت نفسه ودعا بثيابه فلبسها
وتقلد بسيفه وذهب معه فلما دخل من الباب الاول وقف الجند وفي الثاني
اوقف الغلمان فلما دخل من الباب الثالث التفت فلم ير احدا من غلمانه ولا الخادم
الفرد فندم على ركوبه تلك الساعة ولم يمكنه الرجوع فلما صار بازاء تلك القبة
المضروبة في صحن الدار مال به اليها واثنى له عن دابته ودخل القبة فلم ير فيها احدا
وفي رواية رأى فيها سيفا ونطعا فحس بالبلاء وقال لمسرور يا اخي ما الخبر
فقال له مسرور انا الساعة اخبرك وفي منزلك تغفو الي ويلك انت تدري ما القضية
وما كان الله ليهملك ولا ليخذل فقد امرني امير المؤمنين بضرب عنقك وحمل
رأسك اليه الساعة فبكى جعفر وجعل يقبل يدي مسرور ورجليه ويقول يا اخي

يا مسرور قد علمت كرامتى لك دون جميع الغلمان والحاشية وان حوائجك عندى مقضية فى سائر الاوقات وانت تعرف موضعى ومحلى من امير المؤمنين وما يوجبه الى من الاسرار ولعل ان يكونوا بلغوه عنى باطلا وهذه مائة الف دينار احضرلك بها الساعة قبل ان اقوم من موضعى هذا وخلنى اهيم على وجهى فقال لاسبيل الى ذلك ابدا قال فاحملنى اليه واوقفنى بين يديه فلعله اذا وقع نظره على تذكر الرحمة فيصفح عنى قال مالى سبيل الى ذلك ابدا ولا يمكننى مراجعته وقد علمت انه لا سبيل لى الحياة ابدا قال فتوقف عنى ساعة وترجع عليه وتقول له قد فرغت مما امرتنى به واسمع ما يقول وعد فافعل ما تريد فان فعلت ذلك وحصلت لى السلامة فانى اشهد الله وملائكته انى اشاطرك فى نعمتى مما ملكته يدى واجعلك امير الجيش واملكك امر الدنيا ولم يزل به وهو يبكى حتى طمع فى الحياة قال له مسرور ربما يكون ذلك وحل سيفه ومنطقته واخذهما ووكل به اربعين غلاما من السودان يحفظونه ومضى مسرور ووقف بين يدى الرشيد وهو جالس يقطر غضبا وفى يده القضيب لولع بينكت به فى الارض فلما رآه قال له ثكلتك امك ما فعلت فى امر جعفر فقال يا امير المؤمنين قد انفذت امرك فيه قال فاين رأسه قال فى القبة قال فائتنى برأسه الساعة فرجع مسرور وجعفر يصلى وقد ركع ركعة فلم يمهله ان يصلى الثانية حتى سل سيفه الذى اخذه منه وضرب عنقه واخذ رأسه بلحيته فطرحها بين يدى امير المؤمنين وهو يتحب دما فتنفس الصعداء وبكى بكاء شديدا وجعل ينكت فى الارض اثر كل كلمة ويقرع اسنانه بالقضيب ويخاطبه ويقول يا جعفر الم احلك محل نفسى يا جعفر ما كافأتنى ولا عرفت حقى ولا حفظت عهدى ولا ذكرت نعمتى ولا نظرت فى عواقب الامور ولا تفكرت فى صروف الدهر ولا حسبت تقلب الايام واختلاف احوالها يا جعفر خنتنى فى اهلى وفضحتنى بين العرب والعجم يا جعفر أسأت الى والى نفسك ولا تفكرت فى عاقبة امرك قال مسرور

وانا واقف بين يديه وهو ينكت فی الارض فی کل کلمة ولم يزل کذلک الی ان اذن لصلاة الظهر فدعا بماء فتوضأ للصلاة وخرج للجامع فصلی بالناس جماعة ثم الظهر وجهه لقصور جعفر ودوره وقبض علی ابيه واخيه وجميع اولاد البرامکة و مواليهم وغلمانهم واستباح ما فيها ووجه مسرورا الی العسکر فاخذ جميع ما فيه من مضارب وخيام وسلاح وغير ذلک فلما اصبح يوم السبت فاذا هو قد قتل من البرامکة وحاشيتهم نحو الف انسان وترک من بقی منهم لا يرجع الی وطنه وشتت شملهم فی البلاد ولم يقدر واحد منهم علی کسرة خبز وحبس اباه يحيی واخاه الفضل فی مطمورة وامر بجثة جعفر فصلبت علی الجسر ببغداد ثم بعث الی خراسان ان يوطن بلادها وامر الناس فردوا مضاربهم ودخل العسکر واستقرت له الامور واحضر علی بن عيسی بن ماهان فولاه خراسان ثم وجه الی مدينة النبی صلی الله عليه وسلم فاتی بالصبيين ولدی جعفر من اخته ميمونة فادخلا عليه فی بيته فلما رآهما اعجب بهما وکانا فی نهاية من الحسن والجمال فاستنطقهما فوجد لغتهما مدنية وفصاحتهما هاشمية وفی الفاظهما عذوبة وبلاغة فقال لکبيرهما ما اسمک يا قرة عينی قال الحسن وقال للصغير ما اسمک يا حبيبی قال الحسين فنظر اليهما وبکی بکاء شديدا ثم قال يعز علی حسنکما وجمالکما لا رحم الله من ظلمکما ولم يدر ما يراد بهما ثم قال يا مسرور ما فعل بالمفتاح الذی دفعته لک وامرتک بحفظه قال هو حاضر يا امير المؤمنين قال فأتنی به ثم دعا بجماعة من الغلمان والخدم وامرهم ان يحفروا فی البيت حفرة عميقا ودعا مسرورا وامره بقتلهما ودفنهما مع امهما فی تلک الحفرة رحمهم الله تعالی جميعا وهو مع ذلک يبکی بکاء شديدا حتی ظننت انه رحمهما ثم مسح عينيه من الدموع وامر ان لا تذکر البرامکة فی مجلس ولا يستعان بمن بقی منهم فی المدينة ابدا فخرجوا علی وجوههم فی البلاد شاردين متنکرين وقطع الله دابرهم قال فلما کان بعد مدة من هلاک البرامکة وجد الرشيد رقعة تحت مصلاه

فيها خطاب وابيات من الشعر فبحث عنها فقيل ان صاحب السر علمها فبعث
اليه فسأله عنها فقال يا امير المؤمنين وجدتها في صحن الدار ولا اعلم من طرحها
فاخذتها وطرحتها تحت مصلاك فقيل ان ذلك من زبيدة لتهلك من بقى
من البرامكة فعملت الرقعة للرشيد وحركته وزادت في غيظه فاستدعى في
الوقت بالفضل بن يحيى وضربه سياطا حتى كاد ان يهلك وزاد في حديده
واغلاله ثم استدعى يحيى وكان شيخا كبيرا وزاد في حديده واغلاله ايضا
وكان قد نشأ في النعيم فتذكر فقد جعفر وتشتت الاهل فكتب كتابا الى الرشيد
يستعطفه ويسأله ان يخفف عنه من القيد والغل وهو بسم الله الرحمن الرحيم
الى امير المؤمنين ونسل المهديين وامام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين
من عبد اسلمته ذنوبه واوبقته عيوبه وخذله شقيقه ورفضه صديقه
وخانه الزمان واناخ عليه الخذلان ونزل به الحدثان فصار الى الضيق بعد
السعة وعالج البؤس بعد الدعة وشرب بكاس الموت مترعه وافترش السخط
بعد الرضا واكتحل السهر بعد الكرى فنهاره فكر ونومه سهر وساعته شهر
وليله دهر فقد عاين الموت مرارا وشارف الهلاك جهارا يا امير المؤمنين قد
اصابتني مصيبتان الحال والمال اما المال فان ذلك منك ولك كان في يدي
عارية منك ولا بأس برد العواري الى اهلها واما المصيبة بجعفر فبجرمه وجريرته
وعاقبته بما استخف من امرك وكان جزاؤه فوق ما استحق واما الفقير فاذكر
يا امير المؤمنين خدمتي وارحم ضعفي ووهن قوتي وهب لي رضاك فمن
مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة ولست اعتذر ولكن اقر وقد رجوت ان
افوز برضاك فتقبل عذري وصدق نيتي وظاهر طاعتي وتلويح حجتي ففي
ذلك ما يكتفي به امير المؤمنين ويرى الحقيقة فيه ويبلغ المراد منه ثم انشأ

يقول

قل للخليفة ذي الصنائع	والعطايا الفاشيه

وابن الخلائف من قريش   والملوك العاليه

راس الامور وخير من   ساس الامور الماضيه

ان البرامكة الذ   ن رموا لديك بداهيه

عمتهم لك سخطة   لم تبق منهم باقيه

فكانهم مما بهم   اعجاز نخل خاويه

صفر الوجوه عليهم   خلع المذلة باديه

مستضعفون ومطرو   ن بكل ارض قاصيه

بعد الامارة والوزا   رة والامور الساميه

ومنازل كانوا بها   فوق المنازل عاليه

اضحوا وجل مناهمو   منك الرضا والعافيه

يا من يريد لي الردى   يكفيك ويحك مابيه

يكفيك اني مستبا   ح لمعشر ونسائيه

يكفيك ما ابصرته   ذلي وذل مكانيه

فلقد رايت الموت من   قبل الممات علانيه

وبكاء فاطمة الكبيرة   والدموع الجاريه

ومقالها بتفجع   يا اسرتي وشفائيه

من لي وقد غلب الزمان   على جميع رجاليه

يا لهف نفسي لهفها   ما للزمان وماليه

او ما سمعت مقالتي   يا ذا الفروع الزاكيه

يا عطفة الملك الرضا   عودي علينا ثانيه

فلما وقف الرشيد على الرقعة كتب على ظهرها هذه الابيات

يا آل برمك انكم   كنتم ملوكا عاتيه

فعصيتمو وطغيتمو   وكفرتمو نعمائيه

هذی عقوبة من عصے	من فوقه وعصانيه
اجری القضاء عليكم	ماخنتموه علانيه
من ترك نصح امامكم	عند الامور البادية

ثم اردفه بقوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون فلما قراها يحيى وهو بالسجن اخذته الحمى لوقته وساعته وكان ينام على التراب وايس من الحياة وعلم انه ليس له مخلص مما هو فيه من السجن انتهى وقيل ليحيى ابن خالد بن برمك ايها الوزير اخبرنا باحسن ما رايت فى ايام سعادتك قال ركبت يوما فى بعض الايام فى سفينة اريد التنزه فلما خرجت برجلى لاصعد فانكان على لوح من الواحها وكان باصبعى خاتم فطار فصه من يدى وكان ياقوتا احمر قيمته الف مثقال من الذهب فتطيرت من ذلك ثم عدت الى منزلى واذا بالطباخ قد اتى بذلك الفص بعينه وقال ايها الوزير لقيت هذا الفص فى بطن حوت وذلك لانى اشتريت حينا ناللمطبخ فشققت بطنها فرايت هذا الفص فقلت لايصلح هذا الا للوزير اعزه الله تعالى فقلت الحمد لله هذا بلوغ الغاية و قيل له اخبرنا ببعض ما لقيت من المحن قال اشتهيت لحما فى قدر طباخ وانا فى السجن تغرمت الف دينار فى شهوتى حتى اتيت بقدر ولحم مقطع فى قصبة فارسية والخل وسائر حوائجها فى قصبة اخرى وتركوا عندى ما احتاج اليه واتيت بنار فاوقدت تحت القدر ونفخت ولحيتى فى الارض حتى كادت روحى تخرج فلما نضجت تركتها تفور وتغلى وفتيت الخبز وعمدت لانزلها فانفلتت من يدى وانكسر القدر على الارض فبقيت التقط اللحم واصبح منه التراب واكله وذهب المرق الذى كنت اشتهيته وهذا اعظم ما مر بى انتهى ثم ان الرشيد نذر الحج فخرج وخرج معه العسكر وكان خروجه فى رمضان فكانت

تضرب له السرادقات المكللة بالديباج مفروشة بالحرير يخرج من سرادق الى سرادق والناس محدقون به حتى وصل الى الحرم وحج فاتفق ان الوفاة دنت من يحيى وهو فى السجن فكتب رقعة واوصى لولده الفضل ان يوصلها

الى الرشيد وكتب فيها هذه الابيات

ستعلم فى الحساب اذا التقينا	غدا يوم القيام من الظلوم
وينقطع التلذذ عن اناس	من الدنيا وتنقطع الهموم
تنام ولم تنم عنك المنايا	تنبه للمنية يا نؤوم
تروم الخلد فى دار المنايا	وكم قد رام غيرك ما تروم
الى ديان يوم الدين نمضى	وعند الله تجتمع الخصوم

قال فلما قدم الرشيد نفذها اليه الفضل فلما قرأها علم بموته فقال مات والله يحيى ومات الجود والكرم والسخاء والله لو كان حيا فرجت عنه ثم امر باطلاق التقفيل ابنه واستوزره مكان اخيه جعفر رحمة الله عليهم اجمعين قال بعضهم فى

البرامكة شعرا

ان البرامكة الكرام تعلموا	فعل الكرام فعلموه الناسا
كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا	لم يهدموا البناءهم اساسا
واذا هموا صنعوا الصنائع فى الورى	جعلوا لها طول البقاء لباسا
فعلام تسقينى وانت سقيتنى	كاس المرارة من جنابك كاسا
أنسيتنى متفضلا افلا ترى	ان القطيعة توحش الايناسا

وسئل اسحاق الموصلى عن سخاء اولاد يحيى بن خالد فقال اما الفضل فيفعله برضيك

واما جعفر فيفعله برضيك	واما محمد فيفعل ما يجد

وفى يحيى يقول القائل

سالت الندا هل انت حر فقال لا	ولكننى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة	توارثها من والد بعد والد

(وفی الفضل يقول القائل)

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة	رايت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسعال اذا سيل حاجة	ولا بمكب فی ثری الارض ينكت

(وفی محمد يقول القائل)

سالت الندا والجود مالی اراكما	تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد امسی مهدما	فقالا اصبنا فی ابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته	وقد كنتما عبديه فی كل مشهد
فقالا اقمنا كی نعزی بفقده	مسافة يوم ثم نتلوه فی غد

وذكر الحافظ السيوطی نفعنا الله به فی رسالته منتهى العقول فی منتهى النقول ان منتهى الكرم للوزراء البرامكة كادان لا يوجد احد من العلماء والحكماء والعظماء والندماء الا وللبرامكة عليه كرم نماء كماء السماء وتكرم جعفر بخمسين الف دينار من الذهب تكرم عنه كثيرا فی ولايته كلها من غير من ولا اذى ولا لغرض ولا لمرض حتى صار يضرب بهم المثل الاكبر يقولهم تبرمك فلان ومن كرم جعفر انه تكرم فی يوم على الف شاعر اعطى كل شاعر الف درهم والدرهم ثلاثة انصاف فضة ومن كرمه انه تكرم على من هجاه بخمسة الاف دينار وعفا عن تاديبه وتغذيبه ولما وقع بهم من الامر ما اوقع الرشيد صار امرهم الى ما سيوصف من الفقر والذل والاهانة فمن ذلك ما قاله محمد بن غسان صاحب ولاية الكوفة وقاضيها قال دخلت على امی فی يوم عيد اضحى فرايت عندها عجوزا فی اطمار رثة واذا لها بيان ولسان فقلت لامی من هذه قالت هذه خالتك عتابة ام جعفر البرمكی ابن يحيى فسلمت عليها وقلت لها اصابك الدهر الى ما ارى قالت نعم يا بنی ان الذی كنا فيه عارية ارتجعها الدهر منا قال فقلت حدثينی ببعض شانك قالت خذه جملة لقد مضى علی عيد اضحى مثل هذا منذ ثلاث سنين وعلى راسی ربعمائة وصيفة وانا ازعم ان ابنی عاق لی وقد جئتكم اليوم اطلب جلدی شاة اجعل احدهما شعارا والاخر دثارا

قال فغمني ذلك وابكاني فوهبت لها بعض دنانير كانت عندي والله اعلم
ومن قول يحيى بن خالد لابنه جعفر يا بني ما دام قلمك يرعف فامطره معروفا
ومن كلام جعفر اذا احببت انسانا من غير سبب فارج خيره واذا ابغضت انسانا
من غير سبب فتوق شره ٭ وقال يحيى بن سلام الابرش قال حدثني ابي قال
خرج الرشيد للصيد يوما بعد ما اباد البرامكة فاجتاز بجدار خراب من جدران
بني برمك فرأى لوحا مكتوبا عليه هذه الابيات

يا منزلا لعب الزمان باهله	فاباد هم بتفرق لا يجمع
ان الذين عهدتهم بك مرة	كان الزمان بهم يضر وينفع
اصبحت تفزع من رآك وطالما	كنا اليك من المهاول نضرع
ذهب الذين يعاش في اكنافهم	وبقي الذين حياتهم لا تنفع

قال فبكى الرشيد واقبل على الاصمعي وقال اتعرف شيئا من اخبار البرامكة
تحدثني به فقال الاصمعي ولي الامان قال ولك الامان فقال احدثك
بشيء شاهدته بعيني من الفضل بن يحيى وذلك انه خرج يوما للصيد و
القنص وهو في موكبه اذا رأى اعرابيا على ناقة قد اقبل من صدر البرية
يركض في سيره قال هذا يقصدني فقلت ومن اعلمك قال لا يكلمه احد غيري
فلما دنا الاعرابي ورأى المضارب تضرب والخيام تنصب والعسكر الكثير الجم
الغفير وسمع الغوغاء والضجة ظن انه امير المؤمنين فنزل وعقل راحلته وتقدم
اليه وقال السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ٭ قال اخفض
عليك ما تقول فقال السلام عليك ايها الامير قال الآن قاربت اجلس فجلس
الاعرابي فقال له الفضل من اين اقبلت يا اخا العرب قال من قضاعة قال امن ادناها
او من اقصاها قال من اقصاها قال الاصمعي فالتفت الى الفضل وقال كم من
العراق الى ارض قضاعة فقلت ثمانمائة فرسخ فقال يا اخا العرب مثلك من يقصد
من ثمانمائة فرسخ الى العراق لاي شيء قال قصدت هؤلاء الاماجد الانجاد الذين

قد اشتهر ذكرهم في البلاد قال من هم قال البرامكة قال الفضل يا اخا العرب
ان البرامكة خلق كثير وفيهم جليل وخطير ولكل منهم خاصة وعامة فهل افردت
لنفسك منهم من اخترت لنفسك واتيته لحاجتك قال اجل قال اطولهم باعا
واسمحهم كفا قال من هو قال الفضل بن يحيى بن خالد فقال له الفضل يا اخا العرب
ان الفضل جليل القدر عظيم الخطر اذا جلس للناس مجلسا عاما لم يحضر مجلسه الا
العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والكتاب والمناظرون للعلم اعالم انت قال لا قال
افاديب قال لا قال افعارف انت بايام العرب واشعارها قال لا قال وردت على الفضل
بكتاب وسيلة قال لا فقال يا اخا العرب غرتك نفسك مثلك يقصد الفضل
ابن يحيى وهو ما عرفتك عنه من الجلالة باى ذريعة او وسيلة تقدم عليه
قال والله يا امير ما قصدته الا لاحسانه المعروف وكرمه الموصوف وبيتين من
الشعر قلتهما فيه فقال الفضل يا اخا العرب انشدنى البيتين فان كانا يصلحان لان تلقاه بهما اشرت عليك بلقائه
وان كانا لا يصلحان لان تلقاه بهما برزت بشيء من مالي ورجعت الى باديتك وان كنت لم تستحق
بشعرك شيئا قال افتفعل ايها الامير قال نعم قال فاني اقول

الم تران الجود من عهد آدم		تحدر حتى صار يمتطه الفضل	
ولو ان اما مسها جوع طفلها		غذته باسم الفضل لاغتذى الطفل	

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك هذان البيتان قد مدحنا بهما شاعر
واخذ الجائزة عليهما فانشدنى غيرهما ما تقول قال اقول

قد كان آدم حين حان وفاته		اوصاك وهو يجود بالحوباء	
ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم		وكفيت آدم عولة الابناء	

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل منحنا هذان البيتان اخذتهما
من افواه الناس فانشدنى غيرهما ما تقول وقد مقتك الادباء بالابصار
وامتدت الاعناق اليك وتحتاج ان تناضل عن نفسك قال اذن اقول

ملئت جهابذ فضل وزن نائله		وملّ كاتبه احصاه ما يهب	

والله لولا انت لم يمدح بمكرمة ۞ خلق ولم يرتفع مجد ولا حسب

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك هذان البيتان ايضا اخذتهما من افواه الناس ما كنت قائلا قال اقول

وللفضل صولات على مال نفسه ۞ يرى المال منه بالمذلة والعنا
ولو ان رب المال ابصر ماله ۞ لصلى على مال الامير واذنا

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان انشدني غيرهما ما تقول قال اذن اقول

ولو قيل للمعروف نادى اخا العلا ۞ لنادى باعلى الصوت يا فضل يا فضل
ولو انفقت جدواك من بمل عاجل ۞ لاصبح من جدواك قد نفد الوصل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان ايضا انشدني غيرهما ما تقول قال اقول

وما الناس الا اثنان صب وباذل ۞ واني لذاك الصب والباذل الفضل
على ان لي مثلا كما ذكر الورى ۞ وليس لفضل في سماحته مثل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل انشدني غيرهما ما تقول قال

اقول ايها الامير

حكى الفضل عن يحيى سماحة خالد ۞ فقامت به التقوى وقام به العدل
وقام به المعروف شرقا ومغربا ۞ ولم يك للمعروف بعد ولا قبل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك قد ضجرنا من الفاضل والمفضول انشدني بيتين على الكنية لا على الاسم ما تقول قال اذن اقول

الا يا ابا العباس يا واحد الورى ۞ ويا ملكا خد الملوك له نعل
اليك الناس شرقا ومغربا ۞ فرادى وازواجا كانهم نحل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل انشدنا غير الاسم والكنية والقافية قال والله لئن زادني الفضل واستعفى بعد هذا لاقولن اربعة ابيات ما سبقني

اليهن عزنى ولا عجمى ولئن نادنى بعدها لاجمعن قوائم ناقتى هذه واجعلها
فى حرام الفضل وارجعن الى قضاعة خاسرا ولا ابالى فنكس الفضل رأسه وقال
للاعرابى يا اخا العرب سمعنى الابيات الاربعة قال افول

ولائمة لامتك يا فضل فى الندا	فقلت لها هل يقدح اللوم فى البحر
أتنهين فضلا عن عطاياه للغنى	فمن ذا الذى ينهى السحاب عن القطر
كان نوال الفضل فى كل بلدة	تحدر هذا المزن فى مهمه قفر
كان وفود الناس فى كل وجهة	الى الفضل لاقوا عنده ليلة القدر

قال فامسك الفضل عن فيه وسقط على وجهه ضاحكا ثم رفع رأسه وقال يا
اخا العرب انا والله الفضل بن يحيى سل ما شئت فقال سألتك بالله ايها
الامير انك لهو قال نعم قال له فاقلنى قال اقالك الله اذكر حاجتك قال عشرة
الآف درهم قال الفضل ازدريت بنا وبنفسك يا اخا العرب نعطى عشرة الآف
درهم فى عشرة الآف وامر بدفع المال فلما صار المال لديه حسده وزير الفضل
وقال يا مولاى هذا اسراف يأتيك جلف من اجلاف العرب بابيات استرقها
من اشعار العرب فتجزيه بهذا المال فقال استحقه بحضوره الينا من ارض قضاعة
قال الوزير اقسمت عليك يا مولاى الا اخذت سهما من كنانتك وركبته فى كبد
قوسك واومات به الى الاعرابى فان رد عن نفسه ببيت من الشعر والا استعطف
ما لك ويكون له فى بعضه كفاية فاخذ الفضل سهما وركبه فى كبد قوسه واوما
به الى الاعرابى وقال له رد سهمى ببيت من الشعر فانشا يقول

لقوسك قوس الجود والوتر الندا	وسهمك سهم العز فارم به فقرى

قال فضحك الفضل وانشا يقول

اذا ملكت كفى منالا ولم انل	فلا انبسطت كفى ولا نهضت رجلى
على الله اخلاف الذى قد بذلته	فلا مبق لى بخلى ولا متلفى بذلى
ارونى بخيلا نال مجدا ببخله	وهاتوا اكريما مات من كثرة البذل

ثم قال الفضل لوزيره اعط الاعرابي مائة الف درهم لقصيدته وشعره ومائة الف درهم لكفينا شرفوائم ناقته فاخذ الاعرابي المال وانصرف وهو يبكي فقال له الفضل مم بكاؤك يا اعرابي استقلالا بالمال الذي اعطيناك قال لا ولكني ابكي على مثلك يأكله التراب وتواريه الارض وتذكرت قول الشاعر

لعمرك ما الرزية فقد مال		ولا فرس يموت ولا بعير	
ولكن الرزية فقد حر		يموت لموته خلق كثير	

وتوجه الاعرابي بالمال مسرورا رحمة الله عليهم اجمعين (ويحكى) ان الرشيد قال لابي نواس بعني ذقنك قال بكم قال بالف دينار قال بعتك فقال الرشيد لخازن داره ادفع له الف دينار فدفعها له فاخذها وربطها وقال يا امير المؤمنين خذ ما اشتريت قال لا ولكن جعلتها وديعة عندك قال فمضى ابو نواس واشتغل بامره ولهوه وهو خائف على ذقنه من امير المؤمنين قال فبينما هو متفكر في شئ يفعله اذ جاءه قاصد امير المؤمنين فلم يقدر ان يتكلم دون ان قام معه ودخل الى دار الخلافة فوجده في جمع كثير من خواص المملكة واعوان الدولة وكان من شانه ان يجلس بالقرب من امير المؤمنين فلما تحادثوا وتماجنوا فضرط ابو نواس ضرطة من عجبه ان عجبت الحاضرين فضحكوا جميعا وضحك امير المؤمنين وقال له في ذقنك يا معرص فقال في الحال الله اعلم هي ذقن من فقال امير المؤمنين قد وهبتها لك يا ملعون فاخذها وانصرف وكسب الالف دينار بهذه الحيلة والله اعلم انتهى (وكان نصر بن مقبل) عاملا على الرقة فاتى برجل من الظرفاء وجد ينكح شاة فقال له ما حملك على هذا فقال ايها الامير انها والله ملك يميني وقد قال الله تعالى او ما ملكت ايمانكم فاطلقه وامر ان تضرب الشاة الحد فان ماتت تصلب قالوا ايها الامير انها بهيمة قال وان كانت بهيمة فان الحد ولا تعطل وان عطلتها فبئس الوالي انا فانتهى الى الرشيد خبره ولم يكن رآه قبل فدعا به فلما حضر بين يديه قال من انت قال مولى لكلب فضحك منه ثم قال كيف بصرك بالحكم فقال يا امير المؤمنين

البهائم عندی والناس سواء ولو وجب حد علی بهیمة وکانت امی والخنی لحدتهما ولم تاخذنی فی الله لومة لائم فامر الرشید ان لا یستعان به علی عمل فلم یزل معطلا الی ان مات والله اعلم ویحکی ان هارون الرشید امر بقتل ابی نواس فقال انقتلنی شهوة لقتلی فقال لا بل انت مستحق للقتل قال فبم استحقیت القتل

قال بقولك

الا فاسقنی خمرا وقل لی هی الخمر	ولا تسقنی سرا اذا امکن الجهر

فقال له یا امیر المؤمنین افتعلم انه سقانی وشربت فقال له امیر المؤمنین اظن ذلك فقال یا امیر المؤمنین افتقتلنی علی الظن وقد قال الله تعالی ان بعض الظن اثم فقال له الرشید قد قلت ایضا ما تستحق به القتل فقال

ماهو فقال له قولك

ماجاءنا احد یخبر انه	فی جنة من مات او فی نار

فقال له یا امیر المؤمنین هل جاءنا احد قال لا قال اتقتلنی علی الصدق فقال له

الرشید اولست القائل

یا احمد المرتجی فی کل نائبة	قم سیدی نعص جبار السموات

فقال له یا امیر المؤمنین او صار القول فعلا قال لا اعلم قال افتقتلنی علی ما لا تعلم فقال له امیر المؤمنین دع هذا کله فقد اعترفت فی مواضع کثیرة من شعرك بالزنا قال ابو نواس قد علم الله هذا قبل علم امیر المؤمنین بقوله تعالی والشعراء یتبعهم الغاوون الم تر انهم فی کل واد یهیمون وانهم یقولون ما لا یفعلون فقال الرشید خلوا عنه ومن هذا اخذ الصفی الحلی بقوله

لجن الذی جاء الکتاب مخبرا	بعفاف انفسنا ونسق الالسن

(وعن محمد بن نافع) قال رایت ابا نواس فی النوم بعد موته فقلت یا ابا نواس فقال لات حین کنیة فقلت الحسن بن هانی قال نعم قلت ما فعل الله بك قال غفر الله لی بابیات قلتها فی علتی قبل موتی هی تحت الوسادة فسألت اهله

فقلت هل قال اخی شعرا قالو الا نعلم الا انه دعا بدواة وقرطاس وکتب شیئا

لاندری ما هو فدخلت ورفعت وسادته واذا انا برقعة مکتوب فیها

یا رب ان عظمت ذنوبی کثرة	فلقد علمت بان عفوك اعظم
ان کان لا یرجوك الا محسن	فمن الذی یدعو ویرجو المجرم
مالی الیك وسیلة الا الرجا	وجمیل عفوك ثم انی مسلم

(وهذه حکایة العجمی والکردی وما جری بینهما علی ید القاضی بسبب الجراب)

قیل ان الخلیفة هارون الرشید قلق لیلة فاستدعی بوزیره جعفر البرمکی فلما حضر عنده قال له جعفر انی قلقت وضاق صدری وارید منك شیئا یشرح خاطری فقال له جعفر یا امیر المؤمنین ان لی صدیقا اسمه علی العجمی وعنده من جمیع الحکایات والاخبار فقال علی به فقال سمعا وطاعة ثم ان جعفر اخرج من عند الخلیفة فی طلب علی العجمی فارسل خلفه فلما حضر قال اجب یا امیر المومنین فقال سمعا وطاعة فاتی عند الخلیفة فسلم وترحم فقال له الخلیفة اجلس فجلس فقال له الخلیفة اسمع یا علی انی اللیلة ضیق الصدر وقد سمعت عنك ان فی ذهنك حکایات واخبار ارید منك ان تسمعنی ما یزیل همی وفکری فقال یا امیر المؤمنین ترید ان احکی لك شیئا سمعته او رایته فقال ان کنت رایت شیئا فاحکه فقال سمعا وطاعة اعلم یا امیر المؤمنین انی سافرت فی بعض السنین من بلدی الی هذه المدینة وهی بغداد وصحبتی غلام ظریف ومعه جراب نظیف فاودعنا اياه فبینما انا ابیع واشتری واذا انا برجل کردی ظالم معتد هجم علی واخذ الجراب منی وقال هذا الجراب جرابی وکل ما فیه قماشی وثیابی فقلت یا معشر الناس فداعنی الوسواس فقال الناس جمیعا امضوا الی القاضی فمضینا الی القاضی وانا بحکمه راضی فدخلنا علیه وتمثلنا بین یدیه فقال القاضی فی ای شئ جئتما فقال الکردی نحن خصمان قال ایکما المدعی فتقدم الکردی وقال اید الله مولانا القاضی هذا الجراب جرابی وکل ما فیه قماشی وثیابی وقد ضاع منی ووجدته مع هذا الرجل فقال القاضی ومتی ضاع منك فقال الکردی

ضاع مني بالامس فقال القاضي ان كنت عرفته فصف لي ما فيه فقال الكردي ان
في جرابي هذا مقودين من لجين واكحالا للعينين ومنديلا لليدين وعشربتين
مذهبتين وشمعدانين ومكنستين وطبقين وابريقين وصينية وطشتين و
قدرة ودستين ومغرفة ومعلقتين ومسلة ومرودين ومقلمة وعلبتين
وقعبا وقصعتين ومخدة ونطعين وجبة وفروتين وبقرة وعجلتين وعنزا و
شاتين ونعجة وخروفين وقطين ابلقين وجملا وناقتين وبقرة وثورين
ولبوة وسبعين ودبة وثعلبين ومرتبة وسريرين وطبقة وقاعتين ورواقا
ومقعدين ومطبخا ببابين وجماعة اكراد يشهدون ان الجراب جرابي فقال القاضي
فما تقول انت يا علي فتقدمت يا امير المؤمنين وقد بهتني كلامه فقلت اعز
الله مولانا القاضي انا ما في جرابي الا دويرة خراب واخرى بلا باب ومقصورة
للكلاب وفيه للصبيان كتاب وشباب يلعبون بالكعاب وفيه عساكر و
اطناب ومدينة بصرى وبغداد وقصر كنعان بن شداد وكور وحداد وشبكة
صياد وعصا واوتاد وبنات واولاد والف قواد يشهدون ان الجراب جرابي
فلما سمع الكردي هذا الكلام بكى وانتحب وقال يا سيدنا القاضي جرابي هذا
معروف وكل ما فيه موصوف في جرابي هذا حصون وقلاع وقرى وضباع
وطابق للصراع ووحوش وضباع ورجال يلعبون الطابة والرقاع وان في جرابي
هذا حجرة ومهرين وفحلا وحصانين ورمحين طويلين وسبعين وارنبين وسكينا
وخنزيرين وحمارا وخليجين وكمرا وجوخين وعشاري ومركبين وصاري وقرنتين
وكوارا ودكانين ومنقلة ونردين وعجوزا وقحبتين وقوادا وشاطرين ومخنثا
وعلقين واعمى وبصيرين واعرج ومكسحين وعيارا واوزعرين وجامعا ومدرستين
ودبرا وكنيستين وقسيسا وشماسين وبتركا وراهبين وقاضيا وشاهدين
يشهدون ان الجراب جرابي فقال القاضي ما تقول انت يا علي فبادرت يا امير
المؤمنين وقد امتلات غيظا وزدت في الحمق وقلت ايد الله مولانا القاضي ان في

جرابي هذا زردخانات صفاح وخزائن سلاح والف كبش نطاح في عشرين
مراح واربعين كلب نباح وبساتين وكروم عنب وتين وتفاح وصور واشباح
وقناني واقداح وعرائس ملاح ومغاني وافراح وهرجا وصياح وعبد فلاح
وانفاه نجاح ودنيفة صباح ومعهم سيوف ورماح وقسي ونشاب واصدقاء و
احباب وخلان واصحاب ومجلس للعتاب وندمان للشراب وطنبور مع رباب
ونايات وقناني مصفوفات وصبيان ودايات واختان معلمات وبنات مجليات
وجواري مغنيات وجاريتان حبشيات وثلاثة هنديات واربعة بدويات و
خمسة روميات وستة تركيات وسبعة عجميات وثمانية فنجيات ونسعة
كرجيات وعشرة كلبات والدجلة والفرات وشبكة وصياد وقداحة وزناد
وارم ذات العماد والهجواد وقصر شداد بن عاد وخانات مع حمامات وقدوم
ونجار وخشبة مع مسمار وتاجر مع عطار ومزار مع بيطار وعبد أسود بمزمار
ومقدم وركيدار ومدن وامصار ومائة الف دينار وبواب وكسندار ودار نوبة
وعلم دار والكوفة مع الانبار وعشرين صندوقا ملانة قماش ودكاكين نحاس و
حاصلات معاش وبرجان للحمام وغزة وعسقلان ومن دمياط الى اسوان في ايوان
كسرى وملك سليمان ومن كوش نعمان الى ارض خراسان وبلخ واصبهان و
من الهند الى بلاد السودان وفيه اطال الله عمر مولانا القاضي قماش وغلائل
وعراضي وموسى يجد ماضي يحلق ذقن مولانا القاضي ان حكم ان الجراب ما
هو جرابي فعند ذلك يا امير المؤمنين حار القاضي مما سمع ثم قال اراكما الا شخصين
نحسين تلعبان بالقضاة والحكام لان ما وصفا لو اصفون ولا سمع السامعون
ما وصفتم في هذا الجراب ما هذا الا بحر ليس له قرار ثم امر القاضي بفتح الجراب
ففتحه الكردي فاذا فيه خبز وليمون وجبن وزيتون ثم اني رميت الجراب قدام
القاضي والكردي ومضيت الى حال سبيلي فلما سمع امير المؤمنين ذلك من حكات
حتى استلقى على قفاه وقد زال همه وغمه واحسن جائزة علي العجمي وانصرف والله

اعلم (معن بن زائدة الشيباني) كان من الكرماء يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وكان عاملا بالبصرة فحضر على بابه شاعر واقام مدة يريد الدخول فلم يتهيأ له ذلك فقال يوما لبعض الخدام اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل اعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة والقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن جالسا على القناة فلما رأى الخشبة اخذها وقرأها فاذا فيها

(هذا البيت مكتوب)

ايا جود معن ناج معنا بحاجتي	فليس الى معن سواك رسول

فقال من الرجل صاحب هذه فأتى به اليه فقال كيف قلت فانشده البيت فامر له بعشرة بدر فاخذها وانصرف فوضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان في اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط ينظر فيها ودعا بالرجل فامر له بمائة الف درهم فلما كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك فتفكر الرجل وخاف ان يأخذ منه ما اعطاه فخرج من البلد بما كان معه فلما كان في اليوم الرابع طلب الرجل فلم يوجد فقال معن والله هممت ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار الا

(اعطيته له وفيه يقول القائل)

يقولون معن لا زكاة لماله	وكيف يزكي المال من هو باذله
اذا حال حول لم يجد في دياره	من المال الا ذكره وجمائله
تراه اذا ما جئته متهللا	كانك تعطيه الذي انت سائله
هو البحر من اي النواحي أتيته	فلجته المعروف والبر ساحله
تعوّد بسط الكف حتى لو انه	اراد انقباضا لم تطعه أنامله
فلو ان ما في كفه غير نفسه	لجاد بها فليتق الله سائله

ومن قول معن دعني اهب الاموال حمدا اعف الاكرمين عن اللئام ويروى أن معن بن زائدة خرج في جماعة يتصيدون فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا في طلبه وانفرد معن خلف ظبي فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شخصا مقبلا من البرية

علی حمار فرکب فرسہ فاستقبلہ فسلم علیہ وقال لہ من این اتیت قال اتیت من ارض قضاعۃ وان لی بہا ارضا لہا عدۃ سنین مجدبۃ وقد اخصبت فی ہذہ السنۃ فزرعتہا تشاء فطرحت فی غیر وقتہا فجمعت منہا ما استحسنتہ فقصدت الامیر معن بن زائدۃ لکرمہ المشہور ومعروفہ الماثور واحسانہ المذکور فقال لہ کم املت منہ قال الف دینار فقال لہ ان قال لک کثیر قال خمسمائۃ دینار قال ان قال لک کثیر قال ثلثمائۃ دینار قال فان قال لک کثیر قال مائتی دینار قال ان قال لک کثیر قال مائۃ دینار قال ان قال لک کثیر قال خمسین دینار قال ان قال لک کثیر قال فلا اقل من ثلاثین قال فان قال لک کثیر قال ادخل قوائم حماری فی حر امہ وارجع الی اہلی خائبا فضحک معن منہ وساق جوادہ حتی لحق بعسکرہ ونزل منزلہ وقال لحاجبہ اذا اتاک شیخ علی حمار بقثاء فادخل بہ علی فاتی بعد ساعۃ فلما دخل علی الامیر معن لم یعرفہ لہیبتہ وجلالتہ وکثرۃ خدمہ وحشمہ وہو متصدر فی دست مملکتہ والحفدۃ قیام عن یمینہ وشمالہ وبین یدیہ فلما سلم علیہ قال لہ الامیر معن ما الذی اتی بک یا اخا العرب قال املت الامیر واتیتہ بقثاء فی غیر اوانہا قال فکم املت فینا قال الف دینار قال کثیر قال خمسمائۃ دینار قال کثیر قال ثلثمائۃ دینار قال کثیر قال مائتی دینار قال کثیر قال مائۃ دینار قال کثیر قال واللہ لقد کان ذلک الرجل الذی قابلنی علی میشوم قال خمسین دینارا قال کثیر قال فلا اقل من ثلاثین قال فضحک معن وسکت فعلم الاعرابی انہ صاحبہ فقال یا سیدی ان لم تعطنی الثلاثین فالحمار مربوط بالباب ہا انا مع معن جالس فضحک معن حتی استلقی علی قفاہ ثم استدعی بوکیلہ وقال اعطہ الف دینار وخمسمائۃ دینار وثلثمائۃ دینار ومائتی دینار ومائۃ دینار وخمسین دینارا وثلاثین دینارا ودع الحمار مربوطا مکانہ فبہت الاعرابی وتسلم الفی دینار ومائۃ وثمانین دینارا رحمۃ اللہ علیہم اجمعین وقیل کان معن بن زائدۃ فی بعض صیودہ فعطش فلم یجد مع غلمانہ ماء فبینما ہو کذلک واذا بثلاث جوار قد اقبلن حاملات ثلاث قرب فسقینہ فطلب شیئا من المال مع غلمانہ فلم یجدہ فدفع لکل واحدۃ منہن عشرۃ اسہم من کنانتہ نصولہا من ذہب فقالت

احداهن ويلكن لم تكن هذه الشمايل الا لمعن بن زائدة فلتقل كل واحدة منكن شيئا من الابيات فقالت الاولى

يركب في السهام نصول تبر	ويرمي للعدا كرما وجودا
فللمرضى علاج من جراح	واكفان لمن سكن اللحودا

وقالت الثانية

ومحارب من فرط جود بنانه	عمت مكارمه الاقارب والعدا
صيغت نصول سهامه من عسجد	كي لا يفوته التقارب والندا

وقالت الثالثة

ومن جوده يرمي العداة باسهم	من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها المجروح عند انقطاعه	ويشتري الاكفان منها قتيلها

وكان مع كرمه صاحب شهامة فمن ذلك انه سعى رجل في افساد دولة المهدي وكان من الكوفة فعلم به فهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة الف درهم فاقام الرجل حينا مختفيا ثم ظهر في مدينة السلام فبينما هو في بعض الشوارع اذ رآه رجل من الكوفة فعرفه فاخذ بمجامع طوقه ونادى هذا طلبة امير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحالة وقد اجتمع حوله خلق كثير اذ سمع وقع حوافر الخيل من ورائه فالتفت فاذا هو بمعن بن زائدة فقال يا ابا الوليد اجرني اجارك الله فوقف فقال للرجل الذي تعلق به ما تريد منه قال هذا طلبة امير المؤمنين اهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة الف درهم فقال له معن دعه ثم قال يا غلام اردفه وكر راجعا الى داره فصاح الرجل معن حال بيني وبين من طلبه امير المؤمنين ولم يزل صارخا الى ان اتى قصر المهدي فامر المهدي باحضار معن فاتته الرسل فدعا معن اولاده ومماليكه وقال لا تسلموا الرجل وواحد منكم يجيش ثم سار الى المهدي فدخل وسلم فلم يرد عليه ثم قال يا معن اتجير علينا عدونا قال نعم يا امير المؤمنين قال المهدي ونعم ايضا واشتد غضبه فقال معن يا امير المؤمنين بالامس بعثتني الى اليمن

مقدم الجيش فقتلت في طاعتك في يوم واحد عشرة آلاف رجل ولي مثل هذا ايام
كثيرة فما رأيتموني اهلا ان اجير رجلا واحدا استجار بي ودخل منزلي فسكن غضبه لهكذا
وقال قد اجرنا من اجرت يا ابا الوليد قال معن فان رأى امير المؤمنين ان يصله بصلة
يعلم منها موقع الرضى فان قلب الرجل قد انخلع من صدره خوفا قال قد امرنا له بخمسين
الف درهم قال يا امير المؤمنين ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية قال قد
امرنا له بمائة الف درهم قال عجلها يا امير المؤمنين فان خير البر عاجله فاحضر معن الرجل
وقال له خذ صلة امير المؤمنين وقبل يده واياك ومخالفة خلفاء الله في ارضه فما كل مرة
تسلم الجرة فارسلها الناس مثلا واخذ الرجل المال واستغفر الله انتهى وكان
معن لا يغيظ احدا ولا احد يغيظه فقال بعض الشعراء انا اغيظه لكم ولو كان قلبه
من حجر فراهنوه على مائة بعير ان اغاظه اخذها ولم يغيظه دفع مثلها فعمد الرجل
فذبحه وسلخه ولبس الجلد مثل الثوب وجعل اللحم من خارج والشعر من داخل والذباب
يقع عليه ويقوم ولبس برجليه نعلين من جلد الجمل وجعل اللحم من خارج والشعر
من ناحية رجليه وجلس بين يديه معن على هذه الصورة المشروحة ومد رجليه

في وجهه وقال

اتاوالله لا ابدى سلاما | | على معن المسمى بالامير

فقال له معن السلام لله ان سلمت رددنا عليك وان لم تسلم ما عتبنا عليك فقال الشاعر

ولا انزل بلادا انت فيها | | ولو خربت الشام مع الثغور

فقال له البلاد بلاد الله ان نزلت مرحبا بك وان رحلت كان الله في عونك

فقال الشاعر

وارحل عن بلادك الف شهر | | اجد السير في اعلى القفور

فقال له مصحوبا بالسلامة فقال الشاعر

اتذكر اذ قميصك جلد شاة | | واذ نعلاك من جلد البعير

فقال له اعرف ذلك ولا انكره فقال الشاعر

وتأوي كل مسطبة وسوق | بلا عبد لديك ولا وزير

فقال له ما نسيت ذلك يا اخا العرب فقال الشاعر

وتومك في الشتاء بلا رداء | واكلك دائما خبز الشعير

فقال له الحمد لله على كل حال فقال الشاعر

وفي يمناك عكاز قوي | تذود به الكلاب عن الهرير

فقال له ما خفي عليك خبرها اذ هي كعصا موسى فقال الشاعر

فسبحان الذي اعطاك ملكا | وعلمك القعود على السرير

فقال له بفضل الله لا بفضلك فقال الشاعر

فعجل يا ابن ناقصة بمال | فاني قد عزمت على المسير

فامر له بالف دينار فقال الشاعر

قليل ما امرت به فاني | لأطمع منك بالشئ الكثير

فامر له بالف دينار اخرى فقال الشاعر

فثلث اذ ملكت الملك رزقا | بلا عقل ولا جاه خطير

فامر له بثلثمائة دينار فقال الشاعر

ولا ادب كسبت به المعالي | ولا خلق ولا رأي منير

فامر له باربعمائة دينار فقال الشاعر

فمنك الجود والافضال حقا | وفيض يديك كالبحر الغزير

فامر له بخمسمائة دينار وما زال يطلب منه الزيادة حتى استكمل الف دينار فاخذها وانصرف متعجبا من حلم معن وعما نتقاصر منه ثم قال في نفسه مثل هذا لا ينبغي ان يهجى بل يمدح واغتسل ولبس ثيابه ورجع اليه فسلم عليه ومدحه واعتذر له بان الحامل له على هجوه المائة بعير التي صار الرهن عليها في نظير اغاظته له فامر له بمائة بعير يدفعها في نظير الرهن وبمائة بعير اخرى لنفسه فاخذها

وانصرف والله اعلم

خلافة المأمون بن هارون الرشيد واسمه عبد الله

ومما وضع في بطون الدفاتر* واستحسنته عيون البصائر* ونقلته الأصاغر عن الاكابر* ما رواه خادم امير المؤمنين* قال طلبني امير المؤمنين المأمون ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لى خذ معك فلانا وفلانا وسماهما لى احدهما على بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما اقول لك فانه بلغني ان شيخا يحضر ليلا الى آثار دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض انت وعلى ودينار حتى تردوا تلك الخرابات فاستتروا خلف بعض الجدر فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد أبياتا فأتونى به قال فاخذتهما ومضينا حتى اتينا الخرابات فاذا نحن بغلام قد اتى ومعه بساط وكرسى حديد واذا شيخ قد جاء وله جمال وعليه مهابة ولطف فجلس على الكرسى وجعل يبكى وينتحب

ويقول هذه الابيات

ولما رأيت السيف جندل جعفرا	ونادى مناد للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفي	عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع ابيات اطالها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له اجب امير المؤمنين ففزع فزعا شديدا وقال دعونى حتى اوصى بوصية فانى لا اوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين واستفتح واخذ ورقة وكتب فيها وصية وسلمها الى غلام ثم سرنا به فلما مثل بين يدى امير المؤمنين فقال حين رآه من انت وبما استوجبت منك البرامكة ما تفعله فى خرائب دورهم قال الخادم ونحن نستمع فقال يا امير المؤمنين ان للبرامكة ايادى خضرة عندى افتأذن لى احدثك بحالى معهم قال قل فقال يا امير المؤمنين انا المنذر بن المغيرة من اولاد الملوك وقد زالت عنى نعمتى كما تزول عن الرجال فلما ركبنى الدين واحتجت الى بيع ما على رأسى ورؤس اهلى وبيتى الذى ولدت فيه اشاروا على بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعى نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى

دخلنا بغداد ونزلنا فی بعض المساجد ندعوت ببعض ثیاب کنت اعددتہا للاستتر بہا فلبستہا وخرجت وترکتہم جیاعا لا شئ عندھم و دخلت شوارع بغداد سائلا عن البرامکۃ فاذا انا بمسجد مزخرف وفی جانبہ شیخ باحسن زی وزینۃ وعلی الباب خادمان وفی الجامع جماعۃ جلوس فطمعت فی القوم ودخلت المسجد وجلست بین ایدیہم وانا اقدم رجلا واؤخر اخری والعرق یسیل منی لانہا لم تکن صناعتی واذا الخادم قد اقبل ودعا القوم فقاموا وانا معہم فدخلوا دار یحیی بن خالد فدخلت معہم واذا یحیی بن جالس علی دکۃ لہ وسط بستان فسلمنا وھو یعدنا مائۃ وواحدا وبین یدیہ عشرۃ من ولدہ واذا بامرد نبت العذار فی خدیہ قد اقبل من بعض المقاصیر وبین یدیہ مائۃ خادم متمنطقون فی وسط کل خادم منطقۃ من ذھب یقرب وزنہا من الف مثقال مع کل خادم مجمرۃ من ذھب فی کل مجمرۃ قطعۃ من عود کہیئۃ الفہر وقد قرن بہ مثلہ من العنبر السلطانی فوضعوہ بین یدی الغلام وجلس الی جنب یحیی ثم قال للقاضی تکلم وزوج ابنتی عائشۃ من ابن اخی ھذا فخطب القاضی خطبۃ النکاح وزوجہ وشہد اولئک الجماعۃ واقبلوا علینا بالنثار ببنادق المسک والعنبر فالتقطت واللہ یا امیر المؤمنین مل ٔکمی ونظرت واذا نحن فی المکان ما بین یحیی والمشایخ وولدہ و الغلام مائۃ واثنا عشر واذا بمائۃ واثنا عشر خادما قد اقبلوا ومع کل خادم صینیۃ من فضۃ علی کل صینیۃ الف دینار فوضعوا بین یدی کل رجل منا صینیۃ فرایت القاضی والمشایخ یضعون الدنانیر فی اکمامہم ویجعلون الصوانی تحت آباطہم ویقوم الاول فالاول حتی بقیت وحدی لا اجسر علی اخذ الصینیۃ فغمزنی الخادم فجسرت واخذتہا وجعلت الذھب فی کمی والصینیۃ فی یدی وقمت وجعلت التفت الی ورائی مخافۃ ان امنع من الذھاب فبینما انا کذلک الی ان وصلت الی صحن الدار ویحیی یلاحظنی فقال للخادم ائتنی بہذا الرجل فاتانی فقال ما لی اراک تلتفت یمینا وشمالا فقصصت علیہ قصتی فقال للخادم ائتنی بولدی موسی فاتاہ بہ فقال لہ یا بنی ھذا رجل غریب فخذہ الیک واحفظہ بنفسک وبنعمتک فقبض موسی ولدہ علی یدی

وادخلني الى دار من دورهم فاكرمني غاية الاكرام واقمت عنده يومي وليلتي في الذ عيش
واتم سرور فلما اصبح دعا باخيه العباس وقال له الوزير امرني بالعطف على هذا
الفتى وقد علمت اشتغالي في بيت امير المؤمنين فاقبضه اليك واكرمه ففعل
ذلك واكرمني غاية الاكرام ثم لما كان من الغد تسلمني اخوه احمد ثم لم ازل في ايدي
القوم يتداولوني على مدة عشرة ايام لا اعرف خبر عيالي وصبياني افي الاموات
هم ام في الاحياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم
فقالوا قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية
واخرج على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثاني
ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخير قال لي مهما كان لك من الحوائج
فارفعها الي فاني مامور بقضاء جميع ما تامرني به فلما رفع الستر الاخير رايت حجرة
كالشمس حسنا ونورا واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبياني
وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الي مائة الف درهم وعشرة آلاف دينار
ومنشور بضيعتين وتلك الصينية التي كنت اخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق
واقمت يا امير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن
البرامكة انا ام رجل غريب فلما جاءتهم البلية ونزل بهم يا امير المؤمنين من الرشيد
ما نزل اجحفني عمرو بن مسعدة والزمني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي
دخلهما به فلما تحامل علي الدهر كنت في آخر الليل اقصد خرابات دورهم فاندبهم
واذكر حسن صنعهم الي وابكي على احسانهم فقال المامون علي بعمرو بن مسعدة
فلما اتي به قال له تعرف هذا الرجل قال يا امير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة
قال كم الزمته في ضيعته قال كذا وكذا فقال له رد اليه كل ما اخذته منه في مدته وافرغهما
له ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل فلما رأى المامون كثرة بكائه
قال له يا هذا قد احسنا اليك فما يبكيك قال يا امير المؤمنين وهذا ايضا من صنيع
البرامكة لو لم آت خراباتهم فابكيهم واندبهم حتى اتصل خبري الى امير المؤمنين ففعل

بی ما فعل من این کنت اصل الی امیر المومنین قال ابراهیم بن میمون فرأیت
المأمون وقد دمعت عیناه وظهر علیه حزنه وقال لعمری هذا من صنائع
البرامکة فعلیهم فابک وایاهم فاشکر ولهم فأوف ولاحسانهم فاذکر انتهی قال اسحاق
دخلت یوما علی المأمون فی زمن الورد فقال لی یا اسحاق هل قلت شیئا فی الورد
قلت اقول بسعادة امیر المؤمنین وفکرت ساعة فلم تسمح قریحتی فی ذلک الوقت
بشیء فخرجت من عنده وبقیت لیلتی ساهرا متفکرا فلم یفتح لی بشیء فلما اصبحت
غدوت الی دار الخلافة واذا غلام الفضل بن مروان علی باب المأمون ومعه
سبع وردات علی صینیة فضة ینتظر الاذن فی الدخول بها علیه فسألته المهلة
بها قلیلا فامتنع فسألته ثانیا وقلت امهل قلیلا ولک بکل وردة دینار فالجأته
الی ذلک فدفعت له سبعة دنانیر واحببت ان لا یصل الیه الورد قبل وصولی ثم
خرجت اقصد الازقة لعلی اسمع شیئا من احد وینبعث خاطری ولو ببیت
واحد فبینما انا کذلک واذا انا برجل یغربل التراب وهو ینشد ویقول

اشرب علی ورد الخدود فانه	اذهی وابهی فالصبوح یطیب
ما الورد احسن من نورد وجنة	حمراء جاد بها علیک حبیب
صبغ المدام بیاضها فکانه	ذهب بقالب فضة مضروب

فلما سمعته نزلت عن دابتی ودخلت مسجدا بالقرب منه وطلبته فلما اقبل سألته
ان یملیها علی فابی وقال ان اردت فاعطنی بکل بیت عشرة دنانیر فدفعتها
له واستملیتها منه ثم عدت انا وغلام الفضل بن مروان واذا بالمأمون یشرب
من وراء الستارة فلما جسیت العود قال لجواریه اسکتن فقد جاء اسحاق فقدمت
ذلک الورد بین یدیه وانشدت الابیات فسمعت الشهیق والنعیر من وراء الستارة
ثم اخرج الی بدرة فیها عشرة آلاف درهم فاعدت الابیات فاخرج الی بدرة اخری
فاعدت الثالثة فاخرج الی بدرة ثالثة فاخذت فی غیر الشعر فخرج الی خادم
قال یقول لک امیر المؤمنین لو دمت علی انشادک لدمنا علی البدرة ولو الی اللیل

انتهى من حلبة الكميت (وحكى) عن العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت الى مجلس امير المؤمنين ببغداد يوما وبين يديه رجل مكبل بالحديد فقال لي يا عباس قلت لبيك يا امير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق به واحتفظ عليه وبكر به الي في غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة حملوه ولم يقدر ان يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي اوصاني بها امير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا ان يكون معي في بيتي فلما تركوه في داري اخذت اسأله عن قضيته وحاله ومن هو فقال انا من دمشق فقلت جزى الله دمشق واهلها خيرا فمن انت من اهلها فقال وعمن تسأل وقلت او تعرف فلانا قال لي ومن اين تعرف ذلك الرجل فقلت له وقعت لي معه قضية فقال ما كنت بالذي اعرفك خبره حتى تعرفني قضيتك معه فقلت ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فسمعت اهلها وخرجوا علينا حتى ان الوالي خرج في زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو واصحابه وهربت في جملة القوم فبينما انا هارب في بعض الدور واذا بجماعة يعدون فما زلت اعدو امامهم حتى تجاوزتهم ومررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت يا هذا اغثني اغاثك الله قال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت لي زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل والرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا ها هو هنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وانا قائم ارجف ما تحملني رجلاي من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم البث حتى دخل الرجل فقال لا تخف فقد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت جزاك الله خيرا فما زال يعاشرني احسن معاشرة واجملها وافرد لي مكانا من داره ولم يحوجني الى شيء ولم يفتر عن تفقد احوالي

فاقمت عنده اربعة اشهر في اتم عيش وارغده الى ان سكنت الفتنة وهدأت وزال اثرها فقلت له اتأذن لي في خروج حتى اتفقد حال غلماني فلعلي اقف منهم على خبر فاخذ على المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلماني فلم ار لهم اثرا فرجعت اليه واعلمته بالخبر وهو مع هذا كله لا يعرفني ولا يعرف من انا فقال لي علام تعزم فقلت عزمت على التوجه الى بغداد فقال ان القافلة بعد ثلاثة ايام تخرج فقلت له انك قد تفضلت على هذه المدة ولك على عهد الله انني لا انسى لك هذا الفضل ولأوفينك مهما استطعت قال فدعا بغلام اسود وقال انعل الفرس لفلاني ثم جهز آلة السفر فقلت في نفسي ما اشك انه يريد ان يخرج الى ضيعة له او ناحية من النواحي فاقاموا يومهم ذلك في كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاء في السحر فقال يافلان قم فان القافلة تخرج الساعة واكره ان تنفرد عنها فقلت في نفسي كيف اصنع وليس معي ما اتزود به ولا ما اكري به مركبا ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان بقجة من افخر اللباس وخفين جديدين وآلة السفر ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ثم قدم لي غلاما وعلى كتفه صرتان وفوقهما مرتبة السفر وسجادة من افخر ما يكون واعلمني بما في الصرتين انه خمسة الاف درهم وشد لي الفرس الذي انعله بسرجه ولجامه وقال لي اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوس مركوبك واقبل هو وامرأته يعتذران الي من التقصير في امري وركب معي من يشيعني وانصرفت الى بغداد وانا اتوقع خبره لاني بعهدي له في مجازاته ومكافاته واشتغلت مع امير المؤمنين فلم اقدر انفرغ الى ان ارسل اليه من يكشف خبره فلهذا اسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال قد امكنك الله من الوفاء له ومكافاته على فعله ومجازاته على صنعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال انا ذلك الرجل واما الضر الذي انا فيه فقد غير عليك حالي وما كنت تعرفه مني ثم لم يزل يذكر لي تفاصيل الاسباب حتى اثبت معرفته فما تمالكت ان قمت فقبلت رأسه ثم قلت له فما الذي صيرك الى ما أرى

قال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التي كانت في بابك فنسبت الي وبعث
امير المؤمنين بجيوش فاصلحوا البلد فاخذت انا وضربت الى ان اشرفت على
الموت وقيدت وبعث بي الى امير المؤمنين وامري عنده عظيم وهو قاتلي لا محالة
وقد اخرجت من عند اهلي بلا وصية وقد تبعني من ينصرف اليهم بخبري وهو نازل
عند فلان فان رايت ان تجعل من مكافاتك لي ان ترسل من يحضره لي حتى اوصيه
بما اريد فان انت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافاة وقمت بوفاء عهدك
قال العباس فقلت يصنع الله خيرا ثم احضر حدادا في الليل ففك قيوده وازال ما كان
عليه من الانكال وادخله حمام داره والبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم سير من
احضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكي ويوصيه فاستدعى العباس نائبه وقال
علي بفرس الفلاني والبغل الفلاني والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة
من الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا قال ذلك الرجل واحضر لي بدرة فيها عشرة
آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لعامله في الشرطة خذ هذا الرجل
وشيعه الى حد الانبار فقال له ان ذنبي عظيم عند امير المؤمنين وخطبي جسيم
وان انت احتججت باني هربت بعث امير المؤمنين في طلبي كل من على بابه فارد
واقتل فقال انج بنفسك ودعني ادبر امري فقال والله لا ابرح من بغداد حتى اعلم
ما يكون من خبرك فان احتجت الى حضوري حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان
الامر على ما يقول فليكن في موضع كذا وكذا فان انا اسلمت في غداة غد اعلمته وان
انا قتلت وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه وانشدك الله ان لا يذهب من ماله درهم
وتجتهد في اخراجه من بغداد قال الرجل فاخذني صاحب الشرطة وصيرني في مكان
يثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحنط وجهز له كفنا قال العباس فلم افرغ من صلاة
الصبح الا ورسل المامون في طلبي يقولون يقول لك امير المؤمنين هات الرجل
معك وقم قال فتوجهت الى دار امير المؤمنين واذا هو جالس وعليه كآبة فقال
اين الرجل فسكت فقال ويحك اين الرجل ويحك اين الرجل فقلت

يا امير المؤمنين اسمع مني ما اقول فقال لله علي عهد لئن ذكرت انه هرب لاضربن عنقك فقلت لا والله يا امير المؤمنين انه ما هرب ولكن اسمع حديثي معه و حديثه ثم شأنك وما تريد تفعله في امري قال قل فقلت يا امير المؤمنين كان من حديثي معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته اني اريد ان افي له واكافئه على ما فعله معي وقلت انا وسيدي ومولاي امير المؤمنين بين امرين اما ان يصفح عني وقد وفيت وكافأت واما ان يقتلني فاقيه بنفسي وقد تحنطت وها كفني يا امير المؤمنين فلما سمع المامون الحديث قال ويلك لا جزاك الله خيرا عن نفسك انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا الا غير لا عرفتني خبره فكنت اكافئه عنك ولا اقصر بوفائي له فقلت يا امير المؤمنين انه ههنا وقد حلف انه لا يبرح حتى يعرف سلامتي فان احتجت الى حضوره حضر فقال المأمون هذه منة اعظم من الاولى اذهب الآن فطيب نفسه وسكن روعه وائتني به حتى اتولى مكافأته عنك قال فاتيت اليه وقلت ليزل عنك خوفك ان امير المؤمنين قال كيت و كيت فقال الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء احد سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم اتيت به الى امير المؤمنين فلما مثل بين يديه اقبل عليه وادنى مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء واكل معه وخلع عليه وعرض عليه اعمال دمشق فاستعفى عنها فامر له المأمون بعشرة افراس بسروجها ولجمها وعشرة ابغال بآلاتها وعشرة بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب الى عامله بدمشق بالوصية به واطلق خراجه وامر بمكاتبته باحوال دمشق فصارت كتبه تصل الى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لي يا عباس هذا كتاب صديقك والله اعلم (وحكي) عن اسحاق الموصلي انه قال خرجت ليلة من عند المأمون متوجها الى بيتي فاحسست بالبول فعمدت الى زقاق وقمت لا تمسح بالحيطان واذا بزنبيل كبير باربعة آذان ملبس ديباجا

فقلت ان لهذا سببا وبقيت متحيرا فى امره فحملنى السكر وقال لى اجلس فيه فجلست
فلما احس بى الذين كانوا يرقبونه جذبوه الى رأس الحائط فاذا انا باربع جوار
يقلن لى انزل بالرحب والسعة ومشت بين يدى جارية بشمعة حتى نزلت الى
دار ومجالس مفروشة لم ار مثلها الا فى دار الخلافة فجلست فما شعرت بعد ساعة
الا بستور قد رفعت فى ناحية من الجدر واذا بوصائف يتمشين وفى ايديهن
الشمع وبعض مجامر يحرق فيهن العود بينهن جارية كانها البدر الطالع فنهضت
وقالت مرحبا بك من زائر وجلست ثم سألتنى عن خبرى فقلت انصرفت من
عند بعض اخوانى وغرنى الوقت وحرقنى البول فعمدت الى هذا الزقاق فوجدت
زنبيلا معلقا فحملنى السكر على ان جلست فيه فان كان خطأ فالنبيذ اكسبنيه
قالت لا ضير وارجو ان تحمد عاقبة امرك ثم قالت فما صناعتك قلت بزاز ببغداد
فقالت هل رويت من الاشعار شيئا قلت شيئا ضعيفا قالت فذاكرنا شيئا قلت ان للداخل
حشمة ولكن تبدئين انت قالت صدقت فانشدتنى شعر الجماعة من القدماء
والمحدثين من اجود اقاويلهم وانا مستمع لا ادرى أم اعجب من حسنها ام من
حسن روايتها ثم قالت اذهب ما كان منك من الحصر قلت اى والله قالت
فان رأيت ان تنشدنا فانشدتها شيئا الجماعة من القدماء ما فيه مقنع فاستحسنت
ذلك ثم قالت والله ما ظننت ان يوجد فى ابناء السوقة هذا ثم امرت بالطعام
فاحضر فجعلت تقطع وتضع قدامى وفى المجلس من صنوف الرياحين وغريب
الفواكه ما لا يكون الا عند سلطان ودعت بالشراب فشربت قدحا ثم ناولتنى
قدحا ثم قالت هذا اوان المذاكرة والاخبار فاندفعت اذاكرها وقلت بلغنى ان كذا
وكذا وكان رجل يقال له كذا حتى اتيت على عدة اخبار حسان فسرت بذلك وقالت
كثر تعجبى ان يكون احد من التجار يحفظ مثل هذا وانما هذه احاديث ملوك فقلت
كان لى جار يحادث الملوك وينادمهم واذا تعطل حضرت معه فربما حدثنى بما
سمعت فقالت لعمرى لقد احسنت الحفظ وما هذه الا قريحة جيدة واخذنا

في المذاكرة اذا سكت ابتدأت انا حتى قطعنا اكثر الليل وبخور العود يعبق وانا في
حالة لو توهمها المامون لطار شوقا اليها فقالت انك من اظرف الرجال وضوء الوجه
بارع في الادب وما بقي الا شئ واحد قلت وما هو قالت لو كنت تترنم ببعض الاشعار
قلت والله لقد بما كنت الفت به ولم ارزقه واعرضت عنه وفي قلبي منه حرارة و
كنت احب في مثل هذا المجلس شيئا منه لتكمل ليلتي قالت كانك عرضت فقلت
والله ما هو تعريض قد بدأتي بالفضل وانت جدير على ذلك فامرت بعود فحضر
بصوت ما سمعت بحسنه مع حسن ادبها وجودة الضرب بالكمال الراجح ثم قالت
هل تعرف هذا الصوت ومن غنى به قلت لا قالت الشعر لفلان والمغني لاسحاق
هذا اجعلت فداك بهذه الصفة قالت بخ بخ اسحاق بارع هذا الشان فقلت سبحان
الله اعطى هذا الرجل ما لم يعط احد قالت فكيف لو سمعت هذا الصوت منه ثم
لم نزل على ذلك حتى اذا كان الفجر اقبلت عجوز كأنها داية لها فقالت ان الوقت قد
حضر فنهضت عند قولها فقالت لتستر ما كنا فيه فان المجلس في الامانات قلت
جعلت فداك لم اكن احتاج الى وصية في ذلك فودعتها وجارية بين يدي الى باب
الدار ففتح لي فخرجت الى داري فصليت الصبح ونمت فانتهى رسول المامون الى
فسرت اليه واقمت عنده نهاري فلما كان العشاء تفكرت ما كنت فيه البارحة وهذا
شئ لا يصبر عنه الا جاهل فخرجت وجئت الى الزنبيل فوجدته على عادته فجلست
فيه ورفعت الى موضع البارحة واذا هي قد طلعت فقالت لقد عاودت فقلت
ولا اظن الا انني قد ثقلت واخذنا في المحادثة مثل تلك الليلة السالفة في المذاكرة
والمناشدة وغريب الغناء منها الى الفجر فانصرفت الى منزلي فصليت الصبح و
نمت فانتهى رسول امير المؤمنين الى فمضيت اليه واقمت نهاري عنده فلما كانت
العشية توجه الى خطاياه وقال اقسمت عليك لتجلس حتى اجئ واحضر فما كان
حتى ان غاب وجالت وساوسي فلما تذكرت ما كنت فيه هان على ما يحصل من
امير المؤمنين فوثبت مبادرا وخرجت جاريا حتى اتيت الزنبيل فجلست فيه

فرغت الی مجلسی فقالت صدیقنا قلت ای واللہ قالت اجعلها دار اقامة
قلت جعلت فداک حق الضیافة ثلاثة ایام فان رجعت بعد ذلک فانتم فی حل من
دمی ثم جلسنا علی ذلک الحال فلما قرب الوقت علمت بان المأمون لا بد ان یسألنی
فلا یقنع الا بشرح القصة فقلت لها اراک ممن یعجب بالغناء ولی ابن عم احسن منی
وجها واظرف قدا واکثر ادبا واطیب ریحا وهو اعرف خلق اللہ بغناء اسحاق فقالت
طفیلی وتقترح قلت لها انت المحکمة ثم قالت ان کان ابن عمک علی ما تصف فما نکره
معرفته ثم جاء الوقت فنهضت وقمت وذهبت فلم اصل الی داری الا ورسل المأمون
قد هجموا علی وحملونی حملا عنیفا فوجدته قاعدا علی کرسی وهو مغتاظ منی فقال
یا اسحاق اخروجا عن الطاعة قلت لا واللہ قال فما قصتک اصدقنی قلت نعم فی
خلوة فاوما الی من بین یدیه فتنحوا فحدثته الحدیث وقلت له وعدتها بک قال
احسنت فاخذنا فی لذتنا ذلک الیوم والمأمون معلق القلب بها فما صدقنا ان
جاء الوقت وسرنا وانا اوصیه واقول له تجنب واحذر ان تنادینی باسمی قدامها و
بحضرتها وغنی وانا لک تبع وهو یقول نعم ثم سرنا الی عند الزنبیل فوجدناهما
اثنین فقعدنا فیهما ورفعنا الی الموضع المعهود فحضرت واقبلت وسلمت فلما
رآها المأمون بهت فی حسنها وجمالها واخذت تذاکره وتناشده الاشعار ثم
احضرت النبیذ فشربنا وهی مقبلة علیه مسرورة به وهو اکثر فاخذت العود و
غنت صوتا ثم قالت وابن عمک هذا من التجار واشارت الی قلت نعم قالت واللہ
انکما لقریبان فلما شرب المأمون ثلاثة ارطال داخله الفرح والطرب فصاح وقال
یا اسحاق قلت لبیک یا امیر المؤمنین قال غن هذا الصوت فلما علمت انه الخلیفة نهضت
الی مکان فدخلته فلما فرغت من الصوت قال انظر من رب هذه الدار فبادرت العجوز
وقالت للحسن بن سهل فقال علی به فغابت العجوز ساعة واذا الحسن قد حضر فقال
له المأمون الک ابنة قال نعم قال ما اسمها قال بوران قال امتزوجة قال لا واللہ قال
فانی اخطبها منک قال هی جاریتک وامرها الیک قال قد تزوجتها علی نقد ثلاثین الفا

تحمل اليك صبيحة يومنا هذا فاذا اقبضت المال فاحملها الينا من ليلتنا قال نعم ثم
خرجنا فقال يا اسحاق لا توقف على هذا الحديث احدا فسترته الى ان مات المامون
فما اجتمع لاحد مثل ما اجتمع لى فى تلك الاربعة ايام مجالسة المامون بالنهار وبوران
بالليل و والله ما رايت احدا من الرجال مثل المأمون ولا شاهدت امراة تقارب
بوران فهما وعقلا والله تعالى اعلم اهـ من حلبة الكميت (وقيل كان المأمون)
يوما يأكل مع ابيه الرشيد فلما فرغ جعلت جارية تصب الماء على يد الرشيد
فنظر اليها المأمون واشار اليها كانه يقبلها فانكرت ذلك منه بعينها وابطأت فى
الصب بقدر النظر الى المأمون فقال لها الرشيد لاى شئ صغى الابريق فى يدك
فوالله لئن لم تصدقينى الحق لاضرب عنقك فقالت يا سيدى نظر الى عبد
الله المأمون واشار الى كانه يقبلنى فانكرت ذلك بعينى فنظر الرشيد الى المأمون
فسقط مغشيا عليه كانه ميت مما داخله من الخوف والفزع فاخذه وضمه
الى صدره وقال له يا عبد الله اتحبها قال اى والله يا امير المؤمنين فقال له هى
لك خذ بيدها وادخل بها الى هذه القبة قال ففعل فلما خرج الى الرشيد قال
له هل قلت فى هذا شيئا قال نعم يا امير المؤمنين ثم انشد يقول

ظبى كنيت بطرفى	عن الضمير اليه
قبلته من بعيد	فاعتل من شفتيه
ورد اخبث رد	بالكسر من حاجبيه
فما برحت مكانى	حتى قدرت عليه

(وعن ابى عبد الله النميرى) انه قال كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة فركب
للصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر اذ لاحت له طريدة فاطلق
عنان فرسه وكان على سابق من الخيل فاشرف على نهر من ماء بحر الفرات
فاذا هو بجارية عربية خماسية القد قائمة النهد كانها القمر ليلة تمامه وبيدها
قربة قد ملأتها من النهر ورفعتها على كتفها وصعدت من حافة النهر فانحل

وكادها فصاحت برفيع صوتها يا ابت ادرك فاها قد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها قال فعجب المأمون من فصاحتها ورمت القربة من يدها فقال لها المأمون يا جارية من اي العرب انت فقالت انا من بني كلاب قال وما حملك ان تكوني من الكلاب قالت والله لست من الكلاب وانما انا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت يا فتى من اي الناس انت قال اوعندكم علم بالانساب قالت نعم قال من مضر الحمراء قالت من اي مضر قال من اكرمها نسبا واعظمها حسبا وخيرها اما وابا ممن تهابه مضر وتخشاه قالت اظنك من كنانة قال انا من كنانة قالت من اي كنانة قال من اكرمها مولدا واشرفها محتدا واكرمها في المكرمات يدا ممن تهابه كنانة وتخشاه قالت والله انت من بني هاشم قال انا من هاشم قالت من اي هاشم قال من اعلاها منزلة واشرفها قبيلة ممن تهابه هاشم وتخشاه قال فعند ذلك قبلت الارض و قالت السلام عليك يا امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين قال فعجب المأمون منها وطرب طربا شديدا ثم قال لاتزوجن بها لانها من اكبر الغنائم و وقف حتى تلاحقته العسكر فنزل وارسل خلف ابيها وخطبها منه فزوجه بها وهي والدة العباس والله اعلم (ومن محاسن الاخلاق) ما حكي عن القاضي يحيى بن اكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع ان يصيح لغلام يسقيه وانا نائم فينغص علي نومي فرايته وقد قام يمشي على اطراف اصابعه حتى اتى موضع الماء وكان بينه وبين الماء نحو ثلثمائة خطوة ثم رجع يمشي على اطراف اصابعه حتى وصل الى الفراش الذي انا عليه فخطى خطوات لطيفة لئلا ينبهني حتى وصل الى فراشه ثم رايته آخر الليل وقد قام يبول فقعد طويلا يحاول ان اتحرك فيصيح للغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح بالغلام وتاهب للصلاة ثم جاءني وقال كيف اصبحت يا ابا محمد وكيف مبيتك قلت خير مبيت جعلني الله فداك قال لقد استيقظت للصلاة فكرهت ان اصيح للغلام فازعجك فقلت يا امير المؤمنين لقد خصك الله باخلاق الانبياء عليهم السلام ووهب لك سيرتهم فهناك الله

بهذه النعمة وانما عليك فامر لي بالف دينار وانصرفت (وحدث سليمان الوراق) قال ما رايت اعظم حلما من المأمون دخلت عليه يوما وفي يده فص مستطيل من ياقوت احمر له شعاع قد اضاء له المجلس وهو يقلبه بيده ويستحسنه ثم دعا برجل صائغ وقال له اصنع بهذا الفص كذا وكذا واحلل فيه كذا وكذا وعرفه كيف يعمل به فاخذه الصائغ وانصرف ثم عدت الى المأمون بعد ثلاث فتذكره فاستدعى بالصائغ فاتى به وهو يرعد وقد انتفع لونه فقال المأمون ما فعلت بالفص فتلجلج الرجل ولم ينطق بكلام ففهم المأمون بالفراسة انه حصل فيه خلل فولى وجهه عنه حتى سكن جأشه ثم التفت اليه واعاد القول فقال الامان يا امير المؤمنين قال لك الامان فاخرج الفص اربع قطع وقال يا امير المؤمنين سقط من يدي على السندال فصار كما ترى فقال المأمون لا بأس عليك اصنع به اربع خواتم والطف له في الكلام حتى ظننت انه كان يشتهي الفص على اربع قطع فلما خرج الرجل من عنده قال اتدرون كم قيمة هذا الفص قلنا لا قال اشتراه الرشيد بمائة الف وعشرين الفا انتهى (ومن حلمه ايضا) قال يحيى كنت انا والمأمون يوما في بستان ندور فيه فمشينا في البستان من اوله الى آخره وكنت مما يلي الشمس والمأمون مما يلي الظل فكان يجذبني ان اكون في الظل وهو في الشمس فامتنع من ذلك حتى اذا رجعنا قال لي والله يا يحيى لتكونن في مكاني ولاكونن في مكانك حتى آخذ نصيبي من الشمس كما اخذت نصيبك منها فقلت والله يا امير المؤمنين لو قدرت ان اقيك من هول المطلع لفعلت ولم يزل بي حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقي وقال بحياتي عليك الا ما وضعت يدك على عاتقي مثل ما فعلت فانه لا خير في صحبة من لا ينصف (ومن حلمه ايضا) انه كان له خادم يسرق طاساته التي يتوضأ فيها فقال له المأمون اذا سرقت شيئا فأتني بما تسرقه فاشتريه منك فقال له الخادم اشتر مني هذه واشار الى التي بين يديه فقال بكم قال بدينارين قال على شرط

انك لا تسرق فيها قال نعم فاعطاه دينارين فلم يعد الخادم يسرق بعدها شيئا لما رأى من حلمه والله اعلم (وروى) بعض اهل الادب ان فتى من اهل الكوفة قد فاق اهل زمانه في الادب والبيان والفصاحة باللسان ناقدا في صناعة حافظا للاقدار راويا للاشعار خبيرا بسير الملوك في الايام السالفة بصيرا بالبحث عن امورهم في الايام الآنفة حاذقا في التصنيف فائقا في التأليف صبيح الوجه مقبول المشاهد حلو الشمايل وكان مع ذلك لا يتوجه له وجه من العمل الا عارضه فيه عائق وحال دونه حائل وقدر سابق فبقي حينا من الدهر وقد برز في القدر والمال والجاه من كان عنده في الصناعة متاخر انضاق صدره وعيل صبره وضلت مقاليده فخرج الى بغداد واكترى في بعض خاناتها منزلا واجمع رايه على ان يحمل نفسه على خطب هائل ليكون فيه هلكة او ملكة وتربص لذلك الى ان يرى وجها الى ان عزم امير المؤمنين المأمون ان يشرب يوما هو وصنوه المعتصم فامر المأمون بالاستعداد ليوم سماه ليخلو فيه مع الجواري منفردين عن سائر الندماء فظهر خبرهما بذلك وعرف الناس ذلك اليوم الذي عزما عليه فعزم هذا الاديب المذكور على ان يتطفل في ذلك على المأمون واخيه المعتصم فمضى الى اخوانه واصدقائه فاستعار من هذا قباء وجبة وزردية ومن آخر منطقة وخفا وسيفا ومن آخر برذونا ومن آخر ما يحتاج اليه من الطيب واستعد لذلك اليوم ودخل الحمام سحرا وتطيب ولبس وركب عند طلوع الشمس الى دار المعتصم وقال للحاجب عرف الامير اني رسول امير المؤمنين واستأذن لي عليه فسعى الحاجب عدوا حتى اخبر المعتصم فاذن له فلما دخل عليه وتمثل بين يديه قال له يا سيدي ان امير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك انسيت الوعد المتقدم اليك بالركوب لنخلو ونستريح يومنا هذا قال المعتصم لا والله ما نسيت ذلك ولكني تربصت ساعة ونمت نومة لاتقوى بذلك على انتصاب سائر النهار فقال الفتى فعجل الآن ايها الامير فانه امرني ان لا افارقك حتى آتيه بك وامر المعتصم باسراج

مركوبه واسرع فى التأهب ولبس ثيابه وتطيب وركب وركب الفتى معه وللمعتصم لاينكر
شيئا من كلام الفتى ويتأمل للطافته وهيئته ولم يتوهم الا انه من بعض خواص
المأمون واخذ الفتى يحدث المعتصم واقبل عليه بكليته ولم يتمكن من سؤاله
شهوة لاستماع حديثه حتى بلغ باب الخليفة فالقى الفتى نفسه عن دابته واخذ يمشى
بين يديه والحجاب لاينكرون منه شيئا ويظنون انه من خدم المعتصم حتى نزل
المعتصم واخذ الفتى بركابه ودخل المجلس فلما استقر المعتصم فى مجلسه جلس الفتى
بين يديه وهو منهمك فى نوادره واخباره والمعتصم مصغ اليه تعجبا مما يسمع من
حسن كلامه واخبر المأمون ان المعتصم قد وصل ومعه رفيق لايعرف من هو فقال
المأمون اخى قد عرف ان هذا المجلس اتفقنا عليه لاينبغى ان يحضره احد من الناس
الا من هو عديل النفس وقد احسن اخى اذ جعل لنا ثالثا فان المجلس اذا لم يحضره
اكثر من اثنين تعطل لقيام احدهما الى الصلاة والى ما بد منه ثم خرج من ساعته
فرحا وليس له همة الا تصفح وجه الغلام واستنطاقه واعتبار قدره وعقله فلما
استقر على سرير ملكه والفتى عالم بما وقع فى نفس المأمون نهض قائما فقبل
يد المأمون وعاد الى مجلسه واخذ فى نوادره وحديثه ومضحكاته وحسن
اخباره وغرايب اشعاره كانه يغرف من بحر وهو مع ذلك يوهم المأمون انه من
خواص المعتصم فساعة يكنيه وساعة يسميه حتى غلب على قلب المأمون واظهر
الحسد لاخيه فى صحبة مثل هذا الغلام وكلامه وامر المأمون باحضار المائدة
فنصبت بانواع الطعام فاكلوا وغسلوا ايديهم ولجلس الشراب انتقلوا وامر المأمون
باحضار الجوارى من غير ستارة فحضرن واخذن فى الغناء فما من صوت يمر الا و
الفتى عارف به وبالمغنى ومتى قيل وفيمن قيل فعز فى عين المأمون حتى
ملاء عينه وتزايد حسده لاخيه فى صحبة مثل هذا الفتى بول ولم يجد للمدافعة
سبيلا فقام وهو متيقن انهما سيذكرانه ويتواصفان امره وحاله اذ اخلا
المجلس فما هو الا ان غاب من بين ايديهما حتى قال المأمون لاخيه المعتصم يا ابا

اسحاق من صاحبك هذا فوالله ما رأيت رجلا قط اكثر منه ادبا ولا الطف هيئة
ولا اشرف من شمايله فقال المعتصم والله ما اعلم من هو وانه جاءني مبكرا برسالة
امير المؤمنين فقال المأمون سألتك بالله يا اخي اهو كذلك فقال اي والله الذي
لا اله الا هو فقال المأمون طفيلي ورب الكعبة وغضب وامر الجواري بالنهوض
فنهضن واقبل الفتى راجعا فلما نظر الى خلو المجلس من الجواري والى تغير وجه
المأمون وقف على رأس المجلس واقبل بوجهه على المعتصم وقال يا ابا اسحاق كانى
بك قد اخذت فى نوع الزور والبهتان وهذا المجلس من المجالس التى لا تحتمل المزاح وما
هكذا وعدتنى ثم قال والله يا امير المؤمنين ما بليت من احد من الناس مثل ما بليت
من هذا لانه دائما ابدا يعرضنى لمثل هذا واشباهه ويغرى بى ويوقعنى فى كل ورطة
ثم اقبل على المعتصم وقال يا ابا اسحاق سألتك بالله امير المؤمنين الا ما اعفيتنى من
مداعباتك التى لا تحتمل وتؤدى الى مؤاخذة امير المؤمنين ولم يزل يأتى بهذا و
امثاله حتى شك المأمون فى امره والتفت الى اخيه المعتصم وقال سألتك
بالله يا اخى بحياتى عليك الا ما علمتنى بحقيقة امره فقال المعتصم يا امير المؤمنين
برئت من ذمة الله ورسوله ومن حياتك وولايتك ان كنت اعرفه او رايته
قط الا فى يومى هذا فقال الفتى كذب والله يا امير المؤمنين لقد كنت معه دهرى
الاطول وفى موضع كذا وكذا وان هذا انعله معى ابدا فضحك المأمون تعجبا وقال
ادخل فدخل وامره بالجلوس فجلس ثم قال لك الامان ان صدقتنى فصدقه الحديث
على وجهه فاعجب من حسن منطقه ولطف مدخله ودقيق تصرفه وامر باعادة
الجوارى الى مجلسهن فطربوا سائر يومهم فقال له المأمون اخبرنى باعجب ما لحقك
فى قدومك من الكوفة الى بغداد واجعله نظما ولا تكتم عنى شيئا فقال نعم

(ثم انشا يقول)

بينا انا راقد فى البيت مكتئبا	متفكر فى حصول الكد والقوت
وليس فى البيت لى شئ اربه	وبى من الجوع ما يدنى الى الموت

اذا بصوت بباب الدار اسمعه ... والاذن مصغية منى الى الصوت
ناديت من ذا الذى رجوتى لى فرجا ... نادى انا فرج زن لى كرى البيت

فضحك المامون حتى استلقى على فراشه ثم ضرب برجله الارض من شدة اعجا
وقال ثم ماذا قال يا امير المؤمنين فخرجت فاذا هو صاحب الخان يطالبنى بالكراء
فوعدته بان يرجع الى مرة اخرى فمضى ومضيت على وجهى لا اعلم اين اتوجه فسالت
كل من لقيته من صديق لى كنت استأنس به فخطر على بالى بيتان من الشعر

في ذلك وهما

غريب الدار ليس له صديق ... جميع سؤاله اين الطريق
تعلق بالسؤال لكل شخص ... كما يتعلق الرجل الغريق

فاشرفت يا امير المؤمنين على جارية كانها البدر ليلة كماله وهى تقول

ترفق يا غريب فكل حر ... يمر بحالة سعة وضيق
وكل ملمة اذ انت فيها ... صبرت لها اتيح لها الطريق

ثم قالت خذ هذه فادفع بها فاقتك فوالله ماهى الا مواساة من قوت ورمت
الى صدرى بقرطاس واذا فيه عشرة دراهم فرجعت من فورى فوجدت
صاحب الكراء قائما على الباب فدفعت اليه خمسة دراهم واستعنت
بالباقى الى ان وقعت هذه القصة وهذا الامر الذى كلفنى وحملنى على

ما فعلت وانشا يقول

لم آت فعلا غير مستحسن ... جهلا بفعل الاحسن الاملح
لكننى فى حالة اوجبت ... ضرورة اتيان مستقبح

فاعجب المامون امره واستحسنه وامر له بمائة الف درهم يصلح بها شانه
والحقه بمراتب الخاصة ورفعت منزلته عنده وصار اقرب الناس اليه
وآخر خارج من عنده واول داخل اليه وسمى طفيلى المعتصم وانشد

للمامون يوما يقول

كانت لقلبي اهواء مفرقة — فاستجمعت اذ رأتك العين اهوائي
تركت للناس دنياهم ودينهم — شغلا بذلك عن ديني ودنيائي
وصار يحسدني من كنت احسده — وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي

فاستحسن المامون الابيات وامر بكتبها على الستارة وصار الفتى اذ احضر يوم سرور المامون لم يكن للمأمون هم الا اقتراح هذه الابيات الى ان ينقضى المجلس ثم ان الفتى بعد ان حسنت حالته ارسل الى الدار التى اشرفت عليه منها الجارية فاذا هى لرجل من اهل بغداد من مباشريها وقد مات ولم يخلف ولدا سوى تلك الجارية وما مات حتى تضعضع حاله فاعلم المامون بذلك فامر بجلبها للفتى ودفع المهر من عنده وصار الفتى والجارية فى نعمة عظيمة بقية عمرهما والله اعلم وسرق شاب سرقة فاتى به الى المامون فامر بقطع

يده فتقدم لتقطع يده فانشد الشاب بقول

يدى يا امير المؤمنين اعيذها — بعفوك ان تلقى نكالا يشينها
فلا خير فى الدنيا ولا راحة بها — اذا ما شمال فارقتها يمينها

وكانت ام الشاب واقفة رأسه فبكت وقالت امير المؤمنين انه ولدى وواحدى ناشدتك الله الا رحمتنى وهديت لوعتى وجدت بالعفو عما استحق العقوبة فقال المأمون هذا احد من حدود الله تعالى فقالت يا امير المؤمنين اجعل عفوك عن هذا الحد ذنبا من الذنوب التى تستغفر منها فرق لها المامون و عفا عنه وفى حياة الحيوان قال رايت فى بعض المجاميع بخط بعض العلماء الاكابر ان المامون اشرف يوما من قصره فرأى رجلا قائما بيده فحمة وهو يكتب بها على حائط قصره فقال المامون لبعض خدمه اذهب الى ذلك الرجل فانظر ما كتب وائتنى به فبادر الخادم الى الرجل مسرعا وقبض عليه وقال ما كتبت فاذا هو

قد كتب هذين البيتين

يا قصر جمع فيك الشوم واللوم — متى يعشش فى اركانك البوم

يوما بعشش فيك اليوم من فرح	اكون اول من ينعاك مرغوما

ثم ان الخادم قال له اجب امير المؤمنين فقال الرجل سألتك بالله لا تذهب بي اليه فقال الخادم لابد من ذلك ثم ذهب به فلما مثل بين يدي امير المؤمنين واعلم بما كتب فقال له المأمون ويلك ما حملك على هذا فقال يا امير المؤمنين انه لا يخفى عليك ما حواه قصرك هذا من خزائن الاموال والحلي والحلل والطعام والشراب والفرش والاواني والامتعة والجواري والخدم وغير ذلك مما يقصر عنه وصفي ويعجز عنه فهمي واني يا امير المؤمنين قد مررت عليه الآن وانا في غاية من الجوع والفاقة فوقفت مفكرا في امري وقلت في نفسي هذا القصر عامر عال وانا جائع ولا فائدة لنا فيه فلو كان خرابا ومررت به لم اعدم رخامة او خشبة او مسمارا ابيعه واتقوت بثمنه او ما علم امير المؤمنين رعاه الله قول الشاعر

اذا لم يكن للمرء في دولة امرئ	نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وماذا الا من بغض له غير انه	يرجي سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون يا غلام اعطه الف درهم ثم قال هي لك في كل سنة ما دام قصرنا عامرا

(باهله مسرور ابدولته وانشدوا في معنى ذلك)

اذا كنت في امر فكن فيه محسنا	فعما قليل انت ماض وتاركه
فكم دحت الايام ارباب دولة	وقد ملكوا اضعاف ما انت مالكه

(ويحكى) انه تنبأ رجل في ايام المأمون فقال ليحيى بن اكثم القاضي يا يحيى امض بنا مستترين حتى ننظر الى هذا المتنبي والى دعواه فركبا في الليل مستترين ومعهما خادم حتى صارا الى بابه وكان مستترا بثوبه فاستأذنا عليه فخرج اليهما فقال من انتما فقالا رجلان يريدان ان يسلما على يديك قال ادخلا فدخلا وجلس المأمون عن يمينه ويحيى عن يساره فقال المأمون الى من بعثت قال الى الناس كافة قال اموحى اليك ام ترى في المنام ام ينفث في قلبك قال بل اناجى واكلم قال ومن يأتيك قال جبريل قال فمتى كان عندك قال الساعة قبل ان تأتياني بساعة

قال فما اوحى اليك قال اوحى الى انه سيدخل عليك رجلان فيجلس احدهما عن يمينك والآخر عن يسارك والذى يجلس عن يسارك الوط خلق الله تعالى فقال له المأمون اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وكان يحيى يعزى الى ما قاله عنه المتنبي انتهى ودخل ابو نواس على القاضى يحيى اكثم ودخل معه غلام جميل الوجه فقال الغلام هذا مر على وقبلنى كرها ففتن به القاضى فانشد يقول

اذا كنت للتخميش والبوس كارها	فلا تدخل الاسواق الا منقبا
ولا تظهر الاصداغ من تحت طرة	وتشهر منها فوق خديك عقربا

فلما سمع الغلام ذلك انشأ يقول

لقد كنت ارجوان ارى العدل بيننا	فاعقبنى بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح اهلها	اذا كان قاضى المسلمين يلوط

ويحكى انه كان عند المأمون يوما فقال له المأمون وهو يعرض له باللواط يا يحيى من ذا الذى يقول

قاض يرى الحد فى الزناء ولا	يرى على من يلوط من باس

فقال له الذى يقول

ما ارى الجور ينقضى وعلى الامة وآل من بنى العباس

ويقال ان المأمون شرب يوما ومعه القاضى يحيى بن اكثم فمال الساقى على القاضى حتى وقع سكران فامر المأمون ان يلقى عليه الورد والرياحين حتى يدفن فيها كانه ميت وصنع بيتى شعر وقال للمغنية خذى العود وغنى على راسه فغنت وقالت

ناديته وهى حى لا حراك له	مزمل فى ثياب من رياحين
فقلت قم قال رجلى لا تطاوعنى	فقلت خذ قال كفى لا يواتينى

فاستيقظ يحيى لرنة العود والجارية تغنى البيتين فقام وقال

يا سيدى وامير الناس كلهم	قد جار فى حكمه من كان يسقينى

حتى بقيت سليب العقل لا الدين		سقاني الراح لم يمزج سلافتها

قال الواقدي كان ابراهيم بن مهدي ادعى لنفسه الخلافة بالري واقام مالكها سنة واحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وله اخبار كثيرة فمما حكاه قال لما دخل المأمون الري في طلبي اثقل على الطلب وجعل لمن دل على واتاه بي مائة الف درهم فخفت على نفسي وتحيرت في امري فخرجت من داري وقت الظهر وكان يوما صائفا وما ادري اين اتوجه فدرت بزقاق لا ينفذ فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون وخفت ان رجعت على اثري يعلموا بي فرايت في صدر الزقاق عبدا اسود قائما على باب داره فتقدمت اليه وقلت له اعندك موضع اقيم فيه ساعة من نهار قال نعم وفتح الباب فدخلت الى بيت نظيف فيه حصير نظيفة وبسط ومخدات جلد ثم انه اغلق الباب على ومضى فخفت ان يكون سمع الجعالة في حقي وانه عرفني ومضى ليدلهم على فبقيت مثل الحبة في المقلاة تلظيا من الخوف فبينما انا كذلك اذ اقبل ومعه حمال حامل كل ما احتاج اليه من لحم وخبز وقدر جديدة وجرة وكيزان جدد ثم التفت الي وقال جعلني الله فداك انا رجل حجام وانا اعرف انك تنفر مني لما اتولاه من معيشتي فشانك بما لم تقع عليه يدي وكان لي حاجة الى الطعام فقمت وطبخت قدرا ما ظننت اني اكلت مثلها قط فلما قضيت اربي قال لي هل لك ان تشرب شيئا فانه يسلي الهم ويزيل الغم ويمهد للنفس الفرح قلت ما اكره ذلك رغبة في موانسته فاتى بقطرميز جديد واحضر لي نقلا وفاكهة في اواني جدد من فخار ثم قال بعد ذلك ان اذنت لي جعلت فداك ان اقعد بناحية منك وآتي بشراب فاشرب سرورا بك فقلت افعل ففعل وشرب ثلاثا ثم دخل الى خزانة له فاخرج عودا اصلحها ثم قال يا سيدي ليس من قدري ان اسألك ان تغني ولكن قد وجب على مروءتك حرمتي فان رايت ان تشرف عبدك بان تغني لنفسك والعبد يسمع فافعل فقلت له ومن اين

لك انى احسن الغناء فقال متعجبا سبحان الله انت اشهر من ذلك انت ابراهيم
ابن المهدى خليفتنا بالامس الذى جعل المأمون لمن يدل عليك مائة الف
درهم فلما قال ذلك عظمت مروئته عندى وعلمت ان مروته اجل مما بذل فتناولت

العود فاصلحته وقد مر بخاطرى ذكر اهلى وولدى فقلت

وعسى الذى اهدى ليوسف اهله	واعزه فى السجن وهو غريب
ان يستجيب لنا فيجمع شملنا	فالله رب العالمين قريب

فقال يا سيدى اجعل ما تغنيه مما اقتضيك اياه قلت نعم فقال غن لى

ان الذى عقد الذى انعقدت به	عقد المكاره فهو يملك حلها
فاصبر فان الله يعقب راحة	فلعلها ان تنجلى فلعلها

فحسن عندى اقتراحه فشربت وشرب ثم قال غن لى

وراء مضيق الخوف متسع الامن	واول مفروح به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا	خزائنه بعد الخلاص من السجن

ففرح وشرب وشربت وقال غن لى

اذا ما الحادثات بلغن النهى	وكان لهن تذوب المهج
وحل البلاء وقال لعزا	ء فعند التناهى يكون الفرج

فغنيته وحسن فى نفسى اقتضائه وانست به واستظرفته ثم قال ان رأيت
يا سيدى ان تأذن لى ان اغنى ما خطر بالى وان كنت من غير اهل هذه
الصناعة فقلت يكون ذلك زيادة فى ادبك ومروئتك فاخذ العود ثم قال

دستور ثم ضرب عليه وغنى يقول

شكونا الى احبابنا طول ليلنا	فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم	سريعا ولا يغشى لنا النوم اعينا
اذا ما دنا الليل المضر بذى الهوى	جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما	نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

فقلت والله ذهب عني كل ما كان عندي من الهلع وسألته يغني فغنى يقول

تعيرنا انا قليل عدادنا	فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا	عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا لقوم لا نرى الموت سبة	اذا ما راته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا	وتكرهه آجالهم فتطول

فوالله لقد اجاد وذهب عني كل ما كان من الفزع والجزع واستأنست به وداخلني من الطرب ما لا مزيد عليه وعاجلني النوم قبل اوانه فنمت ولم استيقظ الا بعد المغرب وجال فكري في هذا الحجام وادبه وظرفه وكيف غناؤه وادبه وارادته ان يسليني عما انا فيه اشارة الى تخصيصه بالوفاء لضيفه ونصره لجاره فقعدت وغسلت وجهي وايقظته واخذت خريطة كانت صحبتي فيها دنانير ومصاغ لها قيمة فدفعتها اليه وقلت له انت في وداعة الله وحفظه فاني ماض عنك ان تصرف ما في هذه الخريطة في بعض مهماتك ولك عندي اذا أمنت المزيد فاعادها علي مبادرا وقال ياسيدي الصعلوك منا لا قيمة له عند اهل الرياسات ويظنون فيه الظنون الرديئة أفآخذ على ما وهبني الله من قربك وحلولك في منزلي ثمنا لا والله فالححت عليه فاخذ موسى لذبيحه وقال والله ان راجعتني لاذبحن نفسي فخشيت عليه واخذت الخريطة واثقلني حملها فلما انتهيت الى باب الدار قال ياسيدي ان هذا الموضع اخفى لك من غيره وليس عندي في مؤنتك ثقلة فاقم عندي الى ان يفرج الله عنك فراجعته وسألته ان يكون منفقا من تلك الخريطة فلم يفعل وكان كل يوم يفعل بي مثل ما فعل في اليوم الاول فاقمت اياما في اطيب عيش واهناه ثم سئمت من الاقامة عنده وخشيت الثقل عليه فتركني ومضى يجدد لنا حالنا فلبست ثيابي وتزييت بزي النساء بالخف والنقاب وخرجت فلما صرت في الطريق داخلني من الخوف والفزع امر شديد ومشيت لاعبر الجسر واذا هو قد رش وهو رجل قائم فابصرني بعض من كان في خدمتي

من الجند فتعلق بی و قال طلبة امیر المومنین قد فعمنة فی صدره فوقع فی الزلق و صار عبرة وتبادر الناس الیه فاجتهدت فی المشی حتی قطعت الجسر و دخلت زقاقا فوجدت بابا وامرأة واقفة بنیه فقلت یا سیدة النساء احقنی دمی فانی رجل خائف فقالت ادخل فدخلت فاطلعتنی الی غرفة و فرشت لی و قدمت لی طعاما و قالت لیهدأ روعك فانه لا یعلم بك مخلوق و لو اقمت سنة ما علیك بأس واذا بالباب یدق فخرجت وفتحت الباب فاذا هو صاحبی الذی دفعته علی الجسر و هو مشدوخ الرأس ودمه یسیل علی ثیابه فقالت له ما دهاك قال ان حدیثی عجیب وامری غریب ظفرت بالغنی وانفلت من یدی قالت وکیف قال ابراهیم بن المهدی لقیته فتعلقت به فدفعنی فاصابنی ما ترین من حالی ولو حملته الی امیر المومنین لاخذت منه مائة الف درهم قال فاخرجت له حراقا و دروا و فرشت له بعد کبس جرحه فنام قلیلا وطلعت وقالت لی اظنك صاحب القصة قلت نعم قالت لی انی خائفة علیك ثم جددت لی الکرامة واقمت عندها ثلاثة ایام ثم قالت لی انی خائفة علیك من هذا الرجل لئلا یطلع علی امرك فینم علیك فانج بنفسك فسألتها امهالی الی اللیل فلما دخل اللیل لبست زی النساء وخرجت من عندها واتیت الی بیت مولاة فلما رأتنی بکت و توجعت وحمدت الله تعالی علی سلامتی وخرجت کانها ترید کرامتی فتوجهت للسوق مظهرة الاهتمام للضیافة فظننت خیرا فلم اشعر الا بابراهیم الموصلی بخیله ورجله والمولاة معه حتی سلمتنی الیه فرایت الموت عیانا وحملت مثل ما انا الی امیر المؤمنین فجلس مجلسا عاما وامر بادخالی علیه فلما مثلت بین یدیه سلمت علیه سلام الخلافة فقال لی لا سلمك الله و لا حفظك ولا رعاك فقلت یا امیر المؤمنین ان ولی الثار محکم فی القصاص والعفو اقرب للتقوی ومن تناوله ید الاقتدار بما مد له من اسباب الرجاء مایامن معه عادیة الدهر وقد جعلك الله فوق خلقه واصبح عفوك فوق کل ذی عفو فان تأخذ فبحقك

(وان تعف فبفضلك وانشدت اقول)

ذنبی الیک عظیم — وانت اعظم منه
فخذ بحقك او لا — فاصفح بحلمك عنه
ان لم اکن فی فعالی — من الکرام فکنه

قال فرفع راسه الی فقلت مستدرا

اتیت ذنبا عظیما — وانت للعفو اهل
فان عفوت فمن — وان جزیت فعدل

قال فرق المأمون واسترجع فرایت روائح الرحمة فی شمایله ثم اقبل علی اخیه ابی اسحاق محمد المعتصم وابنه العباس وجمیع من حضر من خاصته وقال ماترون فی امره فاشار الکل بقتلی الا انهم اختلفوا فی القتل فقال المأمون لاحمد بن ابی خالد ماتقول یا احمد فقال یا امیر المؤمنین ان قتلته فقد وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت لم نجد مثلك فی العفو فنکس المأمون رأسه الی الارض وجعل یخط فی الارض باصبعه ثم رفع رأسه وقال

قومی هموقتلوا امیم اخی — فاذا رمیت یصیبنی سهمی

ثم قال المأمون لا بأس علیك یا عم فقلت ذنبی یا امیر المؤمنین اعظم من ان انوه معه بعذر وعفوك اعظم من ان انطق معه بشکر

ولکن اقول شعرا

ان الذی خلق المکارم حازها — فی صلب آدم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة — وتظل تکلؤهم بقلب خاشع
ما ان عصیتك والغواة تمدنی — اسبابها الا بنیة طائع
وعفوت عمن لم یکن عن مثله — عفو ولم یشفع الیك بشافع
ورحمت اشبالا کافراخ القطا — وحنین والدة بقلب جازع

فقال المأمون لا تثریب الیوم علیك قد عفوت عنك ورددت علیك مالك

وضیاعك فانشدت اقول

وقيل برلك مالي قد حقنت دمي	هددت مالي ولم تبخل علي به
نعم الحيا نان من موت ومن عدم	امنت منك وقد خولتني نعما
والمال حتى اسل النعل من قدمي	فلو بذلت دمي ابغي رضاك به
اني الى اللوم اولى منك بالكرم	وان جحدتك ما اوليت من نعم

فقال المأمون ان من الكلام كلاما كالدر وهذا منه وامر لي بمالي وخلع علي وقال يا عم ان ابا اسحاق والعباس اشارا بقتلك فقلت انهما نصحاك يا امير المؤمنين ولكن فعلت ما انت اهله ودفعت ما خفت انا بما رجوت فقال المأمون لقد مات حقدي بحياة عذرك وقد عفوت عنك ثم سجد المأمون طويلا ثم رفع رأسه ثم قال يا عم اتدري لم سجدت قلت له شكرا لله تعالى على ما اوقع علي وملكك اياي في يدك تفعل بي ما تشاء فقال اخطأت ولكن شكرا لله تعالى على ما الهمني من العفو عنك من قبل نفسي ثم قال واعظم من عفوي عنك انني لم اجرعك مرارة امتنان الشافعين فحدثني بما كان من امرك فحدثت له ما جرى لي مع الحجام والجندي وزوجته والمولاة التي سلمتني فامر المأمون باحضارها وهي في دارها تنتظر الجائزة فلما حضرت قال لها المأمون ما حملك على ما فعلت من تسليمك ابراهيم مع انعامه عليك قالت رغبة في المال قال هل لك من ولد او زوج قالت لا فامر بضربها مائة سوط واسر بتخليدها في السجن ثم احضر الجندي وامراته والحجام فسال الجندي عن السبب الذي حمله على ما فعل قال رغبة في المال فقال انت اولى بان تكون حجاما من ان تكون خداما ووكل من يلزمه الجلوس في مكان الحجام ليتعلم الحجامة واحسن الى امراة الجندي وجعلها قهرمانة قصره وقال هذه امراة اديبة تصلح للمهمات وسلم للحجام دار الجندي وما فيها وخلع عليه واثبته برزقه في الديوان وزيادة الف دينار في كل سنة ولم يزل كذلك الى ان مات والله اعلم (وعن محمد بن عبد الله التميمي) قال حدثنا احمد بن محمد

الجرهري قال كان لحمدنة بنت عبد الرحمن الهاشمي من الاموال مالا يسعه
الديوان ولا تأكله النيران لكثرته وكانت ادب نساء بني هاشم وافصحهن
لسانا وافولهن شعرا فدخلت على المأمون يوما وكانت تحبه غاية الحب
سرا وكان المأمون جالسا في ايوان قد ابتدعه له لم يبتدعه احد من الخلفاء
قبله وكان قد تنوق في بنائه وكان فيه من كل صورة في البر والبحر ممثلة
من الذهب والفضة وقد فرشه ببساط من الديباج الاصفر واسبل عليه
ستورا من الحرير الصيني وقد اقام فيه اربعمائة وصيفة بقراطق الحرير و
قلانس الوشي بطرر وشعور واصداغ وهن بقد واحد لا تزيد الواحدة منهن
على الاخرى اقام مائتين عن يمينه ومائتين عن يساره * فقال يا حمدنة هل
كان لابيك اولبعلك اولاحد من الخلفاء مثل هذا الايوان مع فرشه و
مثل هؤلاء الجواري مع زينتهن فقالت يا امير المؤمنين متعك الله وعمر
بك فلقد اوتيت ملكا عظيما انسا اهله لتر فهك وشرفك فان اجبت خادمتك
حمدنة اجلستك في مجلس لم تجلس في مثله قط واصادتك صيدا لم تصد مثله
قط واسقيتك شرابا لم تشرب مثله قط وكان عنده يحيى بن اكثم فقال
لها يا حمدنة قد اجبتك الى ما سألتيني ولكن لا ينفعني ولا يهنيني ذلك الا بمشهد
من يحيى بن اكثم فانه لا يطيب لي مجلس الا به فقالت نعم يا امير المؤمنين ثم ضربت
يدها الى جيبها فاخرجت منه مخرنة من ذهب احمر محشوة مسكا اذفر فدفعتها
الى يحيى وقالت يا يحيى ان الاجير لا يعمل حتى يستوفي اجرته وهذه اجرتك مني
فكن مستحثا الى امير المؤمنين غدا عند الزوال في المسير الى منزل خادمته
فقال حبا وكرامة ثم خرجت من عنده فهيأت ما تحتاج اليه للمأمون وغيره
فلما كان من الغد جلس المأمون في مجلس السلام فلما زالت الشمس وصارت
في كبد السماء قال يحيى يا امير المؤمنين الحاجة التي عرضت عليك بالامس ففطن
المأمون لذلك وقام من مجلسه ولبس ثياب التجار ولبس يحيى مثل ذلك فسرعا

بجاريتين مصريتين بغاشيتين وركبا هما حتى اتيا دار حمنة فدقا الباب دقا خفيفا فسمعته فاقبلت بنفسها حتى فتحت الباب واقبلا يمشيان جميعا حتى انتهوا الى بيت فى بستان قد حمل على اربعة اعمدة من الرخام الاحمر المنقوش واذا فى صدر البيت ثلاثة اسطر منقوشة بالدر وصنوف الجوهر وهى

ماسرنى ان فؤادى ولا	ان لسانى يوما خلا
وان لى ملك بنى هاشم	يجئ الى اوان اولا
ان لم ارال ديا مالكى	تاتى الى كن امقبلا
يا سائلى دوحى بلا علة	انت المعافى وانا المبتلا

فقال المأمون يا يحيى ما ملكت احد من الخلفاء مثل هذا البيت واذا فرشه ارمنى محفور منقوش باللآلى واذا فوق الارمنى مطارح من الديباج الاخضر حشوها حواصل الوبش وفى البيت المسك والعنبر والكافور والصندل والزعفران والند والعود مصفوف فى اوانى الذهب والفضة وهى تلوح منه روائح لايدرى ماهى من طيبها ثم اخرجتهما الى اربعة ميادين فيها انواع الرياحين حول البيت فقال ان هذا الاسحر يؤثر ثم دعت لهما بمائدة من الجزع اليمانى قوائمها منها قطعة واحدة فوضعت وقدمت عليها الالوان الغريبة فقال المأمون ماطعمت مثل هذا الطعام قط ثم دعت بالطشت والابريق فغسلا ايديهما ثم امرت فقدم اليهما قنانى الزجاج الشامية المرتفعة الصافية والبلور وفيها شراب قد اتت عليه الايام والاعوام فهى تحكى الهوى لرقتها والياقوت لحمرتها والزنجبيل لحدتها ووضعت بين ايديهما مع اقداح وانطال تشاكل ذلك فقال المأمون والله ما رايت مثل هذا قط ثم اخرجت جاريتين عليهما جباب الوشى الكوفى المنسوج بالذهب ورؤسهما مقانع رشيدية وتيجان من الذهب مكللة بالجوهر فجلسا وفى حجريهما العيدان المبسوطة الموزونة فحركتا الاوتار وغنتا بصوت شجى مليح من انواع الاغانى

وغرائب الاصوات فقال المأمون هذه الجنة مما نرى فيها من غرائب الطيب والجوهر
فقال يحيى وقد بقي لنا يا امير المؤمنين شرط آخر فقال وما هو يا يحيى قال
الصيد يا امير المؤمنين قال صدقت يا يحيى ثم قال يا حمنة ما فعل الصيد فقالت
قوما اليه فقام المأمون ويحيى حتى دخلا بستانا لم ير مثله وقد كانت زينت
البستان باحسن ما تقدر عليه واتخذت فيه الوان الطيور من الفاخت والقمري
والهزار والطواويس فكانت الاطيار تغني من رؤس الاشجار وتغرد بالسرور
الاجهار وقد كانت زينت مائة جارية نواهد ابكار ابطر وشعور وخدود
ومباسم ساطعات الانوار ترى كل واحدة منهن ابهى من صاحبتها واحسن
وعليهن من الوان الثياب ما يعجز عنه الوصف وفي اوساطهن مناطق الذهب
الاحمر وتقدمت اليهن وقالت لهن اذا رأيتن المأمون ويحيى تغادين ما بين
الاشجار فلما دخل المأمون ويحيى البستان فعلن ما كانت امرتهن فتضاعف السرور
على المأمون واعجب المأمون بذلك عجبا شديدا ثم قال ليحيى هذا الصيد
فقال يا امير المؤمنين رايك فيه فقال المأمون لو كان لنا كلب لاصطدنا هؤلاء
فقال يحيى انا كلبك يا امير المؤمنين فعدا المأمون ويحيى فاصطادا منهن صبية فقالت
حمنة سألتك بحق اجدادك الا ما خليت عن الجواري لا تبخل بهن عليك وقد فهمت
المعنى فيه وقد كانت حمنة تغار على المأمون فخلى عن الجواري وقال ليحيى دونك
والصيد اذن انت محل فقال يحيى لو كان لي كلب لاصطدت من هؤلاء فقال المأمون
انا كلبك فضحك يحيى وضرب بقلنسوته الارض فعدا خلفهن فاخذ منهن خمسة
فقالت حمنة يا يحيى لك الخمسة ولا غيرة لي عليك وانما اغار على المأمون لحاجتي اليه
فقال يحيى والله يا امير المؤمنين لقد رايت الهوى الغالب في حماليق عينيها ولا تتم
لنا النعمة الا بتزويجك اياها ان رايت ذلك فقال المأمون انا بريء من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومتنفر من جدنا العباس ان ذهبت من البستان ولم اتزوجها
ثم قال يا يحيى اخطب خطبة النكاح فخطب يحيى وامهرها المأمون الف دينار

واقطعهما مائة من منتخبات الضياع فحمدت حمدونة الله سرورا بما ظفرت من تزويج المأمون اياها وامرت ليحيى بعشرة آلاف دينار ورجع المأمون الى منزله وزفت اليه فى تلك الليلة فواقعها فحملت بالعباس ابنه انتهى (وحكى) ان المأمون كان مشغوفا بحب جارية يقال لها نسيم وكانت ذات عقل وادب وفضل وكمال وكان لا يفارقها فى الحضر ولا فى السفر ثم بعد ذلك مال الى جارية اخرى احسن منها واعرض عنها فاغتمت ولم تجد حيلة فى استعطافه وكانت ربت جارية رومية احسن منها فى العقل والادب وكتمت امرها عن المأمون فاتفق ان المأمون حصل له بعض ضعف ففصد فحصل له الشفاء فجعل الناس يدخلون اليه باصناف التحف والهدايا فاهدت اليه نسيم الجارية المذكورة ومعها جام بلور وغطته بمنديل دبيقى مكتوب عليه بالذهب هذه الابيات

فصدت عرقا تبتغى صحة	البسك الله به العافيه
فاشرب بهذا الجام ياسيدى	مستمتعا فى هذه الجاريه
واجعل لمن اهداكها زورة	تحظى بها فى الليلة الثانيه

فاعجب المأمون ما راى من الجام والجارية ثم بعث لها يقول نعم وفى هذه الليلة ثم رضى على نسيم ووصلها بعد ذلك (وحكى) ان المأمون مر يوما على زبيدة ام الامين فرآها تحرك شفتيها بشئ لا يفهمه فقال لها يا اماه اتدعين على لكونى قتلت ابنك وسلبته ملكه قالت لا والله يا امير المؤمنين قال فما الذى قلتيه قالت يعفينى امير المؤمنين فالح عليها وقال لابد ان تقوليه قالت له قلت قبح الله الملاحة قال وكيف ذلك قالت لانى لعبت يوما مع امير المؤمنين الرشيد بالشطرنج على الحكم والرضى فغلبنى فامرنى ان اتجرد من اثوابى واطوف القصر عريانة فاستعفيته وبذلت له اموالا لا تحصى فلم يعف عنى فتجردت من اثوابى وطفت القصر عريانة وانا حقدة عليه ثم عاودنا اللعب فغلبته فامرته ان يذهب الى المطبخ فيطأ اقبح جارية واشوهها خلقة فاستعفانى عن ذلك فلم اعفه فنزل لى عن خراج مصر والعراق

فابيت وقلت والله لنطأنها فالححت عليه واخذت بيده وجئت به الى المطبخ
فلم ار جارية اقبح ولا اشوه خلقة من اصل مراحل فامرته ان يطأها فوطئها
فعلقت منه بك فكنت سببا لقتل والدي وسلبه ملكه فولى المأمون وهو يقول
قاتل الله اللحاحة اي التي الح عليها حتى اخبرته بهذا الخبر انتهى (وأتى شاعر المأمون)
فقال لقد قلت فيك شعرا فقال انشدنيه فقال

حياك رب الناس حياكا	ان بجمال الوجه رباكا
بغداد من نورك اشرقت	لما ورق العود بجدواكا

قال فاطرق المأمون ساعة وقال يا اعرابي وانا قد قلت فيك شعرا وانشد يقول

حياك رب الناس حياكا	ان الذي املت اخطاكا
اتيت شخصا قد خلا كيسه	ولو حوى شيئا لأعطاكا

فقال يا امير المؤمنين الشعر بالشعر حرام فاجعل بينهما شيئا يستطاب فضحك
المأمون وامر له بمال انتهى (وروى) ابن عامر الفهري عن اشياخه قال امر
المأمون ان يحمل اليه من اهل البصرة عشرة رجال كانوا قد رموا عنده بالزندقة
فحملوا اليه فرآهم طفيلي فرآهم مجتمعين فظن خيرا ومضى معهم الى الساحل وقال ما
اجتمع هؤلاء الا لوليمة فانسل ودخل الزورق وقال لا شك انها نزهة فلم يكن
الا يسيرا وقد قيد والقوم وقيد معهم فعلم انه وقع فيما لا طاقة له به ورام الخلاص
فلم يقدر وساروا الى ان وصلوا الى بغداد ودخلوا على المأمون فاستدعى بهم
باسمائهم واحدا بعد واحد وجعل يذكره بفعله وبقوله ويضرب عنقه حتى لم يبق
الا الطفيلي وفرغت العشرة فقال المأمون للموكل من هذا فقال لا اعلم يا امير
المؤمنين غير انا رأيناه معهم فجئنا به فقال يا امير المؤمنين امرأته طالق ان كان
يعرف من احوالهم شيئا ولا يعرف غير لا اله الا الله محمد رسول الله وانما رأيتهم مجتمعين
فظننت انها وليمة يدعون اليها فلحقت بهم فضحك المأمون وقال او قد بلغ من
شؤم التطفل ان يحل بصاحبه هذا المحل لقد سلم هذا الجاهل من القتل ولكن

يؤدب حتى لا يعود الى مثلها وكان ابراهيم بن المهدى حاضرا فقال يا امير المؤمنين هبه لى وانا احدثك عن نفسى فيما وقع لى فى التطفل من العجب فقال وهبته لك هات حديثك فقال يا امير المؤمنين خرجت متنكرا يوما انظر الى سكك بغداد فاستهوى بى الطرب والتفرج فانتهى بى المسير الى موضع شممت فيه رائحة طعام وابازير قد فاحت وهفت نفسى اليها ووقفت يا امير المؤمنين لا اقدر على المشى فرفعت بصرى واذا بشباك خلفه كف بمعصم ما رايت احسن منه فبقيت حائرا ونسيت رائحة الطعام بذلك الكف فاخذت فى عمل الحيلة التى الى الوصول اليها فاذا بجانب المكان خياط فسلمت عليه فرد على السلام فقلت يا سيدى لمن هذه الدار فقال لرجل من البزازين فقلت ما اسمه فقال فلان قلت هو ممن يشرب الخمر قال نعم واظن ان عنده اليوم اصحابه تجار مثله فبينما نحن فى الكلام اذا اقبل رجلان فقال لى هؤلاء ندماؤه فقلت له ما اسماؤهما وما كناهما فقال لى فلان الفلانى وفلان الفلانى فحركت ورائهما رجلى فلحقتهما فقلت جعلت فداكما استبطاكما فلان اعزه الله ولم ازل معهما حتى اتيت البيت فدخلت ودخلا فلما رآنى صاحب البيت بينهما لم يشك الا انى معهما فرحب بى واجلسنى فى افضل الاماكن ثم جئ بالمائدة ونقلت اليها الالوان فقلت فى نفسى هذه الالوان قد من الله على ببلوغ الغرض منها بقى الكف والمعصم ثم جئ بالماء فغسلنا ايدينا ثم نقلنا الى مجلس المنادمة فاذا شكل مليح ما رايت احسن منه ولا اظرف ورايت صاحب المكان يتلطف بى ويقبل على لظنه انى ضيف لاضيافه وهم على الحالة هذه الى ان شربنا اقداحا فخرجت علينا جارية كانها غصن بان فى غاية الظرف وحسن الهيئة فسلمت من غير خجل ولا احتشام وجلست واتى بعود فجسته احسن جسة واذا هى حاذقة فى الصناعة وغنت تقول

توهمها فكرى فاصبح خدها	وفيه مكان الوهم من نظرى اثر
وصافحها كفى فآلم كفها	فمن ضم كفى فى انا ملها عقر

فهيجت يا امير المؤمنين بليالي فطربت لحسن شعرها وحذقها ثم غنت تقول

اشرت اليها هل عرفت مودتي
فردت بطرف العين اني على العهد
فحادت على الاظهار عمدا لسرها
وحادت عن الاظهار ايضا على عمد

فحسدتها يا امير المؤمنين على حذقها واصابتها معنى الشعر فضحكت لما اصابني من الطرب الذي لم املك نفسي معه ثم غنت تقول

اليس عجيبا ان بيتا يضمنا
واياك لا نلهو ولا نتكلم
سوى اعين تبدي سرائر انفس
وتقطيع انفاس على النار تضرم
اشارت افواه وغمز حواجب
ونكسر اجفان وكف يسلم

فزاد حسدي لها يا امير المؤمنين على حذقها واصابتها معنى الشعر لانها لم تخرج عن المعنى وقلت بقي عليك يا جارية شئ فرمت العود من يدها وقالت متى كنتم تحضرون البغضاء فندمت على ما كان مني ورايت القوم كانهم قد انكروا على فقلت في نفسي فاتني جميع ما املت واحببت ان اتلافى قضيتي فقلت اثم عود غير هذا قالوا نعم فاحضروا عودا فاصلحت ما اردت اصلاحه ثم قلت

ما للمنازل لا تجيب حزينا
اصممن ام قدم البلاء بلينا

فما اتممت شعري حتى وثبت الجارية الي واكبت على يدي تقبلها وتقول المعذرة اليك يا سيدي والله ما علمت مكانك ولا سمعت بهذه الصناعة من احد ثم زادوا اكرامي وطربوا غاية الطرب فشربت عدة اقداح ثم غنيتهم ابياتا فرايت من طربهم شيئا عظيما حتى قلت ان ارواحهم فارقت ابدانهم فسكت عنهم ساعة حتى تراجعوا الى عقولهم فغنيتهم وقلت

هذا محبك مطويا على كمده
وجدا وادمعه تجري على جسده
له يد تسال الرحمن راحة
مما به واليد الاخرى على كبده
يا من يرى كلفا في حبه دنفا
كانت منيته في عينه ويده

قال فجعلت الجارية تصيح وتقول هذا والله الغناء والذي كنا فيه ليس بشئ

وشربوا القوم فلما جاءهم البسط واخذ المجلس منتهاه امر صاحب البيت عبدين له ان يحفظا النديمين الى منزلهما وخلوت معه فقال والله يا سيدى ذهب ما مضى من عمرى باطلا الذى ما عرفتك قبل يومى هذا فبالله يا مولاى من انت فجعلت ارد عليه وهو يقول ويقسم على الا ان اعلمته من انا على الحقيقة فلما سمع ذلك قام على قدميه وقال عجبت ان تكون هذه المكارم الا لمثلك وقد اصابنى من الدهر نعم لا اقوم بشكرها ثم قال اترى هذا يقظة امر منام ما اتمنى الى لا ازال هذه الليلة قائما الى ان تاذن لى فانى احترم ان اجالس الملوك فاقسمت عليه بان يجلس ثم اخذ فى الكلام وجعل يعرض على السبب الذى اوجب حضورى عنده بالطف تعريض فاخبرته بامرى على الحقيقة ولم اخفه شيئا ثم قلت له الطعام قد نلت منه بغيتى وبقى الامر الآخر فوثب الى باب القاعة وقال كل منكن تلبس افخر ثيابها وتخرج علينا من المخدع ثم استدعى بهن وجعل يقول يا فلانة وهن يخرجن واحدة بعد واحدة وانا لا ارى صاحبة الكف والمعصم الى ان اتت اربعون امرأة فقال والله ما بقى الا اختى وها انا مخرجها اليك فقلت افعل فقال حبا وكرامة ثم استدعاها فنزلت فرأيت يدها ومعصمها فاذا هى التى رأيتها فقلت هذه الحاجة فامر غلمانه لوقته ان يأتوا بعشرة شهود ثم قام واخرج عشرين الف درهم والفا اخرى فلما حضروا قال لهم هذا سيدى ابراهيم بن المهدى يخطب اختى فلانة واشهدكم انى قد زوجتها له وامهرتها عنه عشرين الف درهم فقلت قبلت الزواج ثم دفع الالف التى كان اخرجها لهم نشكروا له ودعوا ثم انصرفوا ثم قال يا سيدى امهد لك بعض البيوت تنام مع اهلك فاحتشمنى ما كان من كرمه واستحييت ان ادخل بها فى داره فقلت له بل اجعلها فى عمارية واحملها الى منزلى فوحقك يا امير المؤمنين لقد حمل معها من الفرش والاثاث ما ضاقت به بيوتنا فاولدتها هذا الغلام القائم بين يديك يا امير المؤمنين فتعجب المأمون من كرم الرجل وقال لله دره ما اكرمه والله ما سمعت بمثله قط ثم اطلق الطفيلى

وامر باحضار الرجل واستنطقه فاعجبه حسن منطقه وعقله وادبه فصيره من
جملة خواصه ومنادميه والله اعلم

ذكر خلافة ابراهيم المعتصم بن هارون الرشيد

هو ثامن خلفاء بنى العباس وكان شديد القوة ما كان فى بنى العباس مثله
فى القوة والشجاعة والاقدام قيل انه اصبح ذات يوم وكان برده شديدا وثلجه
عتيدا فلم يقدر واحد على اخراج يده ولا امساك قوسه فاوتر المعتصم فى
ذلك اليوم اربعة "آلاف قوس وكان يدعى المثمن وانشد ابو تمام حبيب بن

اوس الطائى يمتدح المعتصم بن هارون الرشيد يقول

ان جرّ عودا رأيت الخيل راقصة	كانها من سماع هزها نغم
او حركت يده اليمنى له وترا	على اعاديه غنى البوم والرخم

وكان يقول بخلق القرآن وضرب على ذلك احمد بن حنبل على ان يقول
ذلك فلم يقل رضى الله عنه وله معه كلام طويل فانظره فى حياة الحيوان
(ومن لطائف الحكايات) ما روى عن احمد بن ابى دواد القاضى انه قال
جئ بتميم بن جميل الى المعتصم اسيرا وكان قد خرج عليه قال فما رأيت رجلا عرض
عليه الموت فلم يكترث به سواه ثم دعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر
اليه فاعجبه حسنه وقده ومشيه الى الموت غير مكترث فاطال الفكر فيه ثم كلمه
لينظر اين عقله ولسانه من جماله فقال يا تميم ان كان لك عذر فات به فقال
اما اذا اذن امير المؤمنين فى الكلام فانى اقول الحمد لله الذى احسن كل شئ خلقه
وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين يا امير المؤمنين
جبر الله بك صدع الدين ولم بك شعث المسلمين واخمد بك نار الباطل و
انار بك سبل الحق ان الذنوب تخرس الالسنة وتصدع القلوب وايم الله
لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن الا فيك وهو
اشبه بك واليق ثم انشد

اری الموت بین السیف والنطع کامنا	یلاحظنی من حیث لا اتلفت
واکبر ظنی انک الیوم قاتلی	وای امرئ عما قضی الله یفلت
ومن ذا الذی یأتی بعذر وحجة	وسیف المنایا بین عینیه مصلت
یعز علی الاوس بن تغلب موقف	یسل علی السیف فیه ویصلت
وما جزعی من ان اموت واننی	لاعلم ان الموت شیٔ موقت
ولکن خلفی صبیة قد ترکتهم	واکبادهم من حسرة تتفتت
کانی اراهم حین انعی الیهم	وقد لطموا احمر الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا فی سرور ونعمة	اذود الردی عنهم وان مت موتوا
فکم قائل لا ابعد الله داره	وآخر جذلان یسر ویشمت

قال فبکی المعتصم ثم قال ان من البیان لسحرا کما قال النبی صلی الله علیه وسلم یا تمیم کاد والله ان یسبق السیف العذل قد غفرت لک الهفوة ووهبتک للصبیة ثم عقد له ولایة علی عمله واعطاه خمسین الف دینار انتهی من زهر الکمام فی قصة یوسف علیه السلام (وذکر صاحب تاریخ بغداد عن مخارق المغنی) قال تطفلت تطفیلة قامت علی امیر المؤمنین المعتصم بتسعین الف درهم قیل له وکیف ذلک قال شربت معه لیلة الی الصبح فلما اصبحنا قلت له یا امیر المؤمنین ان رایت ان اخرج الی الرصافة فاتنسم الی وقت انتباه امیر المؤمنین قال نعم فامر البوابین ان یترکونی فخرجت امشی فی الرصافة واذا بجاریة کان الشمس تترق من جبینها فتبعتها ورایت معها زنبیلا فوقفت علی فاکهانی واشترت سفرجلة بدرهم وانصرفت فتبعتها فالتفتت فرأتنی فقالت یا ابن الفاعلة الی این قلت خلفک یا سیدتی فقالت ارجع یا ابن الزانیة لئلا یراک احد فیقتلک فتأخرت ومشیت ومشت امامی ثم التفتت فرأتنی فشتمتنی شتما قبیحا ثم جاءت الی دار کبیرة فدخلت فیها وجلست انا عند الباب وقد ذهب عقلی ونزلت علی الشمس وکان یوما حارا فلم البث ان جاء فتیان کانهما بدران علی حمارین فلما وصلا

الى الباب اذن لهما فدخلا ودخلت معهما فظنا ان صاحب المنزل قد دعاني وجئ بالطعام فأكلنا وغسلنا ايدينا فقال لنا صاحب المنزل بمل لكم في فلانة فقالوا ان تفضلت قال فاستدعى بتلك الجارية فخرجت فاذا هي صاحبتي ووراءها وصيفة تحمل عودها فوضعته في حجرها فغنت فشربوا واطربوا وهو لحني وتشك في فقالوا لمن هذا الصوت فقالت لسيدي مخارق فلم البث ان قلت يا جارية شدي يدك فشدت اوتارها وخرجت عن ايقاعها الذي تقول عليه قال فاستدعيت بمدورة وقضيب وغنيت الصوت الذي قالته الجارية فقاموا الي وقبلوا رأسي قال وكان مخارق من احسن الناس صوتا وكان يوقع بالقضيب توقيعا عجيبا قال ثم غنيت الصوت الثاني والثالث فكادت عقولهم تطير فقالوا بالله من انت يا سيدي فقلت مخارق فقالوا وما سبب مجيئك قلت طفيلي اصلح الله شأنكم واخبرتهم بخبري فقال صاحب البيت لصديقيه اما تعلمان اني اعطيت في هذه الجارية ثلاثين الف درهم فامتنعت من بيعها قالا نعم قال هي له فقال صديقاه علينا عشرون الف درهم وعليك عشرة الآف قال مخارق فملكوني الجارية وجلست عندهم الى العصر وانصرفت بها وكلما مررت بالمواضع التي شتمتني فيها اقول يا مولاتي اعيدي كلامك فتستحي مني فاحلف عليها بالتعيد فتعيده حتى وصلت الى امير المؤمنين فقيل لي انه انتبه فطلبك في منازل ابناء القواد فلم يجدك وتغيظ غيظا شديدا فدخلت عليه ويدي في يدها فلما رآني سبني وشتمني فقلت يا امير المؤمنين لا تعجل وحدثته الحديث فضحك وقال نحن نكافئهم عنك فاحضرهم وامر لكل واحد منهم بثلاثين الف درهم والله اعلم انتهى (حكاية غريبة عن محلها) قال الاصمعي دعاني بعض العرب الكرام الى قراء الطعام فخرجت معه الى البرية فأتوا بباطية وعليها السمن غارق فجلسنا للاكل واذا باعرابي ينسف الارض نسفا حتى جلس من غير نداء فجعل يأكل والسمن يسيل على كراعه فقلت لاضحك الحاضرين

عليه فقلت بيت

كانك اتلة فى ارض هش ... اتاها وابل من بعد رش

فالتفت الى بعين بمحلقة وقال لى الكلام انثى والجواب ذكر وانت

كانك بعرة فى لست كبش ... مدلاة وذاك الكبش يمشى

فقلت له هل تعرف شيئا من الشعر وترويه فقال كيف لا اقول الشعر وانا امه وابوه فقلت له ان عندى قافية تحتاج الى غطاء فقال هات ما عندك فنطست فى بحور الاشعار فما وجدت قافية اصعب من الواو المجزومة فقلت

قوم بنجد عهدناهم ... سقاهم الله من النو

وقلت اتدرى النو ماذا فقال

نوتلألأ فى دجا ليلة ... حالكة مظلمة لو

فقلت له لو ماذا فقال

لو سار فيها فارس لانثنى ... على بساط الارض منطو

فقلت له منطو ماذا فقال

منطوى الكشح هضيم الحشا ... كالباز ينقض من الجو

فقلت له الجو ماذا فقال

جوى السما والريح تعلو به ... اشتم ريح الارض فاعلو

فقلت له فاعلو ماذا فقال

فاعلو لما عيل من صبره ... فصار نحو القوم ينعو

فقلت له ينعو ماذا فقال

ينعو رجالا للفنا شرعت ... كفيت ما لاقوا ويلقو

قال فعلمت انه لا شئ بعد الفناء ولكن اردت ان اثقل عليه فقلت له

ويلقو ماذا فقال

ان كنت ما تفهم ما قلته ... فانت عندى رجل بو

(فقلت له البو ماذا فقال)

البق سلخ قد حشی جلده		باالف قرنان ننتومرا و	

فقلت له اوماذا فقال

اواضرب الرأس بصوانة		تقول فی ضربها قو	

فخفت ان اقول له قو ماذا فيضربني و يكمل البيت فقلت له انت ضيفي الليلة فقال لا يأبى الكرامة الا الئيم فقلت لزوجتي اصنعي لنا دجاجة ففعلت فاتيته بها وجئته انا وزوجتي وابناي وبنتاي وقلت له فرق يا بدوي فقال الرأس للرأس والعطا فى للرأس وقال الولدان جناحان لهما الجناحان والبنتان لهما الرجلان والمرأة العجز لها العجز وانا زائر الزور واكل الدجاجة ونحن ننظر اليه وبتنا نحدث فلما اصبحنا قلت لزوجتي اصنعي لنا خمس دجاجات ففعلت واتيته بالدجاج وقلت له اقسم يا بدوي فقال تريد شفعا او وترا فقلت ان الله وتر يحب الوتر فقال كانك تريد بالفرد فقلت نعم فقال انت وزوجتك ودجاجة وابناك ودجاجة وابنتاك ودجاجة وانا ودجاجتان فقلت لا ارضى بهذه القسمة فقال كانك تريد شفعا فقلت نعم فقال انت وولداك ودجاجة وزوجتك وبنتاها ودجاجة وانا وثلاث دجاجات والله لا احول عن هذه القسمة قال الاصمعي فغلبني مرتين مرة فی الشعر ومرة فی الدجاج ثم انصرف انتهى

خلافة امير المؤمنين الواثق بالله

قال ابنه محمد الذي يقال له المهدي بالله كان ابي الواثق بالله اذا اراد ان يقتل رجلا احضرنا في ذلك المجلس فبينما نحن عنده ذات يوم اذ اتى بشيخ مقيد فقال ائذنوا لابي عبد الله يعني ابن ابي دواد ودخل الشيخ فی مصلاه فقال السلام عليك يا امير المؤمنين فقال لا سلم الله عليك فقال الشيخ يا امير المؤمنين بئس ما ادبك المؤدب قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وانت والله ما حييتني بها ولا باحسن منها فقال ابن ابي دواد يا امير المؤمنين الرجل متكلم فقال الواثق كلم الشيخ ما تقول في القرآن فقال الشيخ لم تسألني و

السؤال أسأله فقال له الامير سله فقال الشيخ لابن ابی دواد ما تقول فی القرآن فقال ابن ابی دواد مخلوق فقال الشيخ هذا شئ علمه النبی صلی الله عليه وابوبکر وعمر وعثمان وعلی رضی الله عنهم والخلفاء الراشدون اجمعین ام شئ لا يعلمونه فقال شئ لا يعلمونه فقال سبحان الله شئ لا يعلمه النبی صلی الله عليه وسلم ولا ابوبکر ولا عمر ولا عثمان ولا علی ولا الصحابة ولا الخلفاء الراشدون وعلمته انت قال فخجل وقال اقلنی قال قد فعلت والمسألة بحالها قال نعم قال ما تقول فی القرآن فقال مخلوق قال هذا شئ علمه النبی صلی الله عليه وسلم وابوبکر وعمر وعثمان وعلی رضی الله عنهم والخلفاء الراشدون ام لم يعلموه قال علموه ولم يدعوا الناس اليه قال افلا وسعك ما وسعهم قال ثم قام ابی فدخل مجلس الخلوة واستلقی علی قفاه ووضع احدی رجليه علی الاخری وهو يقول هذا شئ لم يعلمه النبی صلی الله عليه وسلم ولا ابوبکر ولا عمر ولا عثمان ولا علی ولا الخلفا الراشدون وعلمته انت سبحان الله انتهی (وذكر الحافظ ابو نعيم فی حليته) قال الحافظ ابوبکر الآجری بلغنی عن المهدی رحمة الله انه قال ما قطع ابی يعنی الواثق الا شيخ جی به من المصيصة فمكث فی السجن مدة ثم ان ابی ذكره يوما فقال علی بالشيخ فأتی به مقيدا فلما وقف بين يديه سلم عليه فلم يرد عليه السلام فقال له يا امير المؤمنين ما سلكت بی ادب الله ولا ادب رسوله صلی الله عليه وسلم قال الله تعالی واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وامر النبی صلی الله عليه وسلم برد السلام فقال ابی وعليك السلام ثم قال لابن ابی دواد سله فقال يا امير المؤمنين انا محبوس مقيد اصلی فی الحبس بتيمم منعت الماء فمر بقيودی تحل ومر بماء اتوضأ به اصلی ثم سلنی فامر به فحلت قيوده وامر له بماء فتوضأ وصلی ثم قال لابن ابی دواد سله فقال الشيخ المسألة لی فمره ان يجيبنی فقال سل فاقبل الشيخ علی ابن ابی دواد فقال له اخبرنی عن هذا الامر الذی تدعوا الناس اليه اشئ دعا اليه النبی صلی الله عليه وسلم قال لا قال افشئ دعا اليه ابوبکر الصديق رضی الله عنه

بعده قال لا قال افنشیٔ دعا الیه عمر بن الخطاب بعدهما قال لا قال افنشیٔ دعا الیه
عثمان بن عفان بعدهم قال لا قال افنشیٔ دعا الیه علی بن ابی طالب بعدهم
قال لا قال الشیخ افنشیٔ لم یدع الیه الرسول صلی الله علیه وسلم ولا ابوبکر ولا
عمر ولا عثمان ولا علی تدعوا انت الناس الیه لیس یخلوان تقول علموه او جهلوه
فان قلت علموه وسکتوا عنه نوسعنا وسعنا وایاک من السکوت ما وسع القوم فان
قلت جهلوه وعلمته انت فیا لکع ابن لکع شیٔ یجهله النبی صلی الله علیه وسلم و
الخلفاء الراشدون رضی الله عنهم وتعلمه انت واصحابک قال المهتدی فرایت
ابی وثب قائما ودخل الحجرة فجعل ثوبه فی فیه وجعل یضحک ثم جعل یقول
صدق الشیخ الی آخر ما تقدم وقال المهتدی ما زلت اقول ان القرآن مخلوق صدرا
من خلافة الواثق حتی اقدم علینا احمد بن دواد شیخا من اهل الشام فادخل الشیخ
علی الواثق مقیدا وهو جمیل الوجه تام القامة حسن الشیبة فرایت الواثق قد
استحیا منه ورق له فما زال یدنیه ویقربه حتی قرب منه فسلم علیه الشیخ فاحسن
السلام ودعا فابلغ واوجز فقال له الواثق اجلس ثم قال یا شیخ ناظر ابن ابی دواد
علی ما یناظرک فقال الشیخ یا امیر المؤمنین ابن ابی دواد یقل ویصغر ویضعف
عن المناظرة فغضب الواثق وعاد مکان الرقة له غضبا وقال ابو عبد الله بن ابی
دواد یقل ویصغر ویضعف عن مناظرتک انت قال الشیخ هوّن علیک یا امیر
المؤمنین ما بک واذن لی فی مناظرته فقال الواثق ما دعوتک الا للمناظرة فقال
الشیخ یا احمد یا ابن ابی دواد الام دعوت الناس ودعوتنی الیه فقال ان تقول
القرآن مخلوق لان کل شیٔ دون الله مخلوق فقال الشیخ یا امیر المؤمنین ان رایت ان تحفظ علی
وعلیه ما تقول فقال افعل فقال الشیخ یا احمد اخبرنی عن مقالتک هذه واجبة داخلة فی
عقد الدین فلا یکون الدین کاملا حتی یقال فیه ما قلت قال نعم فقال الشیخ اخبرنی عن رسول الله صلی الله
علیه وسلم بعثه الله عز وجل الی عباده هل ستر شیئا مما امر الله به فی دینه فقال لا قال
الشیخ افدعا رسول الله صلی الله علیه وسلم الی مقالتک هذه فسکت ابن ابی دواد

فقال الشيخ تكلم فسكت فالتفت الشيخ الى الواثق فقال يا امير المؤمنين قل واحدة
فقال الواثق واحدة فقال الشيخ يا احمد اخبرني عن الله عز وجل حين انزل
آخر القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا أكان الله صادقا في اكماله ام انت الصادق
في نقصانه فلا يكون كاملا حتى يقال فيه بمقالتك هذه فيكون كاملا فسكت
ابن ابي دواد فقال الشيخ اجب يا احمد فلم يجبه فقال الشيخ يا امير المؤمنين قل اثنتان
فقال اثنتان فقال الشيخ يا احمد اخبرني عن مقالتك هذه اعلمها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ام جهلها فقال ابن ابي دواد علمها فقال فدعا الناس اليها
فسكت ابن ابي دواد فقال الشيخ يا امير المؤمنين قل ثلاثة فقال الواثق ثلاثة
فقال الشيخ يا احمد فاتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما زعمت ولم يطالب
امته بها قال نعم فقال الشيخ واتسع لابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن
عفان وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم فقال ابن ابي دواد نعم فاعرض الشيخ
عنه واقبل على الواثق فقال يا امير المؤمنين قد قدمت ان احمد يقل ويصغر و
يضعف عن المناظرة يا امير المؤمنين ان لم يتسع لك من الامساك عن هذه
المقالة ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر وعمر وعثمان وعلي
رضي الله عنهم فلا وسع الله على من يتسع له منا ما اتسع لهم من ذلك فقال الواثق
نعم ان لم يتسع لنا من الامساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولابي بكر وعمر وعثما وعلي رضي الله عنهم فلا وسع الله علينا ثم قال
اقطعوا قيد الشيخ فلما قطع ضرب الشيخ بيده فاخذ القيد فوضعه في كمه فقال
الواثق لم فعلت هذا فقال الشيخ لاني نويت ان اقدم الى من اوصى اليه اذا مت
ان يجعله بيني وبين كفني حتى اخاصم به هذا الظالم عند الله عز وجل يوم
القيامة واقول يا رب سل عبدك هذا لم قيدني وروع اهلي وولدي و
اخواني بلا حق اوجب ذلك علي وبكى الشيخ وبكى الواثق وبكينا ثم ساله الواثق ان يجعله

فی حل وسعة مما نالہ منه فقال الشیخ یا امیر المؤمنین لقد جعلتك فی حل وسعة من اول یوم اکراما لرسول الله صلی الله علیه وسلم اذ انت رجل من اهله فقال الواثق لی الیك حاجة فقال الشیخ ان کانت ممکنة فعلت فقال الواثق تقیم عندنا تنتفع بك فتیاننا فقال الشیخ یا امیر المؤمنین ان ردك ایای الی الموضع الذی اخرجنی منه هذا الظالم انفع لك من مقامی عندك فقال ولم ذلك فقال لاسیر الی اهلی وولدی فاکف دعاءهم عنك فقد خلفتهم علی ذلك فقال الواثق افتقبل مناصلة تستعین بها علی دهرك فقال الشیخ یا امیر المؤمنین انا غنی وذو ثروة قال افتسالنا حاجة قال او تقضیها قال نعم قال تخلی سبیلی الی السفر الساعة وتاذن لی قال اذنت لك فسلم علیه الشیخ وخرج قال صالح فقال المهتدی بالله فرجعت عن هذه المقالة من ذلك الیوم والله اعلم (فائدة) روی الدار قطنی وشیخه الحاکم وابن عدی عن عمر ان النبی صلی الله علیه وسلم کان فی محفل من اصحابه اذ جاء اعرابی من بنی سلیم قد اصطاد ضبا وجعله فی کمه لیذهب به الی رحله فرای جماعة محتفین بالنبی صلی الله علیه وسلم فقال علی من هؤلاء قالوا علی هذا الذی یزعم انه نبی فاتاه فقال یا احمد ما اشتملت النساء علی ذی لهجة اکذب منك ولولا ان تسمینی العرب عجولا لقتلتك فسررت بقتلك الناس اجمعین فقال عمر یا رسول الله دعنی اقتله فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم اما علمت ان الحلیم کاد ان یکون نبیا ثم اقبل الاعرابی علی رسول الله صلی الله علیه وسلم فقال واللات والعزی لا آمنت بك حتی یؤمن بك هذا الضب واخرج الضب من کمه وطرحه بین یدیه رسول الله صلی الله علیه وسلم فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم یا ضب فتکلم الضب بلسان فصیح عربی صریح یفهمه القوم جمیعا فقال لبیك وسعدیك یا رسول رب العالمین فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم من تعبد قال الذی فی السماء عرشه وفی الارض سلطانه وفی البحر سبیله وفی الجنة رحمته وفی النار عذابه قال فمن انا یا ضب قال انت رسول رب العالمین وخاتم

النبيين قد افلح من صدقك وخاب من كذبك فقال الاعرابي اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله حقا والله لقد اتيتك وما على وجه الارض احد ابغض مني اليك والله لانت الساعة احب الي من نفسي ومن ولدي فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك الى هذا الدين الذي يعلو ولا يعلى عليه ولا يقبله الله تعالى الا بصلاة ولا يقبل الصلوة الا بقراءة قال فعلمني فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله وقل هو الله احد فقال يا رسول الله ما سمعت في البسيط ولا في الوجيز احسن من هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا كلام رب العالمين وليس بشعر اذا قرأت قل هو الله احد ثلاثا او قال ثلاث مرات فكانما قرأت القرآن كله فقال الاعرابي ان الهنا يقبل اليسير ويعطي الكثير انتهى باختصار من حياة الحيوان الكبرى ووقف رجل على الواثق فقال يا امير المؤمنين صل رحمك وارحم اتى ربك وارحم رجلا من اهلك فقال الواثق من انت فاني لا اعرفك قبل اليوم قال ابن خليفة آدم فقال يا غلام اعطه درهما فقال يا امير المؤمنين وما اصنع بالدرهم قال اراك لو قسمت المال بين اخوتك اولاد جدي اكان ينوبك منه حبة فقال لله درك ما اذكى فهمك فامر له بعطاء وانصرف مكرما

خلافة المتوكل على الله

(حكي عنه) انه قال ذات يوم لابي العيناء ما اشد ما مر عليك في ذهاب عينيك فقال فقد رؤيتك يا امير المؤمنين فاستحسن منه هذا الجواب وامر له بجائزة نفيسة (ومما حكاه ابو القاسم علي بن محمد التنيسي) عن ابي عبد الله النحوي قال الماجن محمد بن عبد الله بن طاهر راى في الطواف جارية في نهاية الحسن فسأل عنها فقيل انها لرجل من الادباء قد رواها الاشعار والاخبار والنحو والعروض وقد احسنت ضرب العود وطريق الغناء فاشتراها بمائة الف درهم فلما قدم بها مدينة دار السلام شغف بها شغفا شديدا واخفى امرها وما

وما يجده منها لتحف فاص امير المؤمنين المتوكل وكان من شدة وجده بها يحتبس
عندها اياما لا يظهر للناس فيظنون انه زمن وامره معها مستور ففطن به
سويد بن ابي العالية صاحب البريد وكان بينه وبين محمد منافرة فلم يجد سويد
ما يكيده به الا ان كتب الى المتوكل وهو نازل على اربعة فراسخ من بغداد كتابا
نسخته (بسم الله الرحمن الرحيم) اما بعد يا امير المؤمنين فان محمد بن عبد الله اشترى
جارية بثمانمائة الف درهم فهو يصطبح معها ويغتبق زمانه كله معها وقد اشتغل
بها عن النظر في امور المسلمين وعن التوقيع في قصص المظلومين ولا يأمن
امير المؤمنين ان تخرب عليه بغداد مع كثرة ما فيها من الغوغاء فيتعب امير
المؤمنين في اصلاحها وقد انهى المملوك ذلك امير المؤمنين ايده الله وهو
اعلى رأيا والسلام عليه ورحمة الله وبركاته) قال فلما قرأ المتوكل الكتاب رفع
رأسه الى نرجس الخادم وقال له امض الساعة الى محمد بن عبد الله بن طاهر
وادخل عليه داره بغتة من غير اذن وانظر الى ما يصنع ثم خذ منه جاريته
فلانة وأتني بها من غير تأخير فمضى نرجس من ساعته وكان محمد قد اصطبح
معها في ذلك اليوم فدخل عليهما نرجس من غير استئذان فلم يشعر محمد الا هو
واقف عليه فتغير وجهه وانتقع لونه وفاضت عيناه وارتعدت فرائصه لعلمه
ان نرجسا ما دخل عليه من غير اذن الا وقد اضمر له السوء فقال له يا نرجس ما الذي
اقدمك قال امير المؤمنين امرني ان آخذ جاريتك هذه قال يا نرجس هذا
يوم قد حضر شره وغاب خيره وقد ترى ما نحن فيه وانا لا اخالف ما امر به
امير المؤمنين ثم امر الخادم بكرسي فجلس عليه بعد ان امتنع ساعة وقال ان مثلي
لا يجلس مع مثلك ثم ان محمدا نظر الى الجارية وبكى بكاء شديدا وقال لها غني
لاتزود منك فاخذت العود وغنت بصوت حزين تقول

لله من لعذ بين وما هما	بشماتة العذال والحساد
اما الرحيل فحين جد تحملت	مهج النفوس به من الاجساد

من لم يبت والبين يصدع شمله	لم يدر كيف تفتت الاكباد

ثم انهما اعلنا بالبكاء والنحيب والشهيق فرحمهما الخادم ورق لهما حين عاين ما حل
بهما فقال ايها الاميران رايتما ان امضى وادعكما على ما انتما عليه واتعلل عنكما لامير
المؤمنين فعلت فقال يا نرجس من خلفه مثل ابي سويد كيف يمكنه التعلل ولكن ارفق
بنا فقالت الجارية والله يا سيدي لاملكني غيرك ابدا ولئن دفعتني اليه لاقتلن نفسي
فقال لها محمد لو كان غير امير المؤمنين لكان لي في ذلك اوسع حيلة ولقد وددت
ان ياخذ مني يا امير المؤمنين جميع ما املك ويعزلني عن عملي ويبقيك علي ولكن
هذا قضاء الله وقدره ثم التفت الى نرجس وقال لقد شاهدت مني ومن هذه
الجارية ما شهد قلبك علينا بالمحبة والمودة والالفة وليس يخفى عن علمك ان صنائع
المعروف تقي مصارع السوء ومثلك من يصنع المعروف مع مثلي فخذها وامض
بها الى امير المؤمنين وقل ما شئت مما يليق بمروتك ثم التفت اليها وقبلها وبكى
وبكت وبكى نرجس ثم اخذها وخرج وهي تبكي وتخمش خدها ووجهها ثم حملها
نرجس على بغلة امير المؤمنين وسار حتى دخل على المتوكل فلما رآه قال ما وراءك
يا نرجس فقال ورائي يا امير المؤمنين كل بلية ثم انه جلس بين يديه وقص عليه حالهما
ولم يخف منه شيئا فقال المتوكل وكل هذا الوجد يجد محمد من هذه الجارية فقال
يا امير المؤمنين والذي خفي اكثر مما ظهر وما اظنه يعيش بعدها فرق عليه قلب
المتوكل وقال يا نرجس ارجع بها اليه الساعة من وقتك هذا وادركه قبل ان
تزهق روحه وقد امرت له بمائة الف درهم ولها مع ذلك مثله وجعلت امر ابي
سويد اليه يصنع به ما يشاء ثم كتب له توقيعا بذلك ودفعه الى نرجس فرجع الخادم
بالجارية والتوقيع ولم يتمهل حتى دخل عليه فوجده عريانا يتقلب على حصر سامان
من شدة الكرب والوجد وقد احدقت به الجواري يروحنه بالمراوح فقال
ابشر يا محمد ان امير المؤمنين قد رد جاريتك عليك من غير ان يقع نظره عليها
وقد حكمك في ابي سويد ثم ناوله التوقيع بذلك ودخلت الجارية عليه فوثب

الى هذا اذ ليس فيه الا الخير والخيرة فاخذ الشهود كل واحد مائة وشهدوا ان اباها زوجها على صداق مبلغه كذا لو رفعوا فى الصداق الى غاية ما ترفع اليه صدقات الملوك فلما علم ابوها بذلك زاد نفارا واباء فتوثق الوزير وذلك القائد الى القاضى وقال انى تزوجت فلانة بنت فلان على هذا الصداق وهؤلاء شهدوا عليه ثم قد ناكرنى وانكر الشهود وقد اردت ان ادفع له حق ابنته واخذها فامر القاضى باحضار الشهود فشهدوا عنده واحضر مال النقد بين يدى القاضى والرجل على انكاره متماديا فامر القاضى بامضاء الحكم عليه وان تؤخذ ابنته منه احب اوكره وامر بحمل المال اليه فلما حصلت الجارية عند الوزير لم يزل ابوها يروم الوصول الى المعتصم وكان المعتصم غليظ الحجاب لا يصل اليه احد من غير الخاصة فقيل للرجل انه يحضر كل يوم ساعة من النهار على بنيان له يبصره فان استطعت ان تكون مع جملة رجال الخدمة تصل اليه وتكلمه بما اردت ففعل الرجل ذلك وغير شكله ودخل فى جملة رجال الخدمة للبناء فلما كان فى ذلك الوقت الذى كانت عادة امير المؤمنين المعتصم يقف على ذلك البناء خرج ذلك الرجل فترامى الى الارض وجعل يحثوا التراب على راسه ويستغيث فسأله عن شانه فقص عليه القصة فارسل المعتصم فى ذلك المقام خلف ذلك القائد واغلظ عليه فى القول فحملته هيبته له وقلة اقدامه على الكذب له ان وصف له الصورة على ما كانت عليه وهو يطمع ان يعذره فى ذلك اذ قد جعل لها من الصداق ما هو فوق قيمة قدرها وامر باحضار الشهود فصنعوا امثل صنيع صاحبهم وذلك كله رهبة له واجلالا ان يخاطبوه بكذب مع تخيلهم انه يصفح لهم عن هذه الزلة اذ قد ارادوا احياء نفس ذلك الوزير وايضا قد دفع له بين يدى القاضى نقدا لا يكون الا فى صدقات الملوك وقد جعل لها من الصداق ما هو فوق قيمة قدرها فكانه قد اخذها بحقها او باكثر من حقها فلما تحققت عنده جلية الخبر امر ان يصلب كل شاهد منهم على باب داره وان يوضع ذلك الوزير فى جلد ثور طرى السلخ ويضرب بالمرازب حتى يختلط عظمه

ولحمه ودمه ثم امر به لما صنع به ذلك ان يفرغ بين يدي تنور كانت عنده فلما
لعقت تلك التنور ذلك الدم امر الرجل صاحب البنت ان ياخذ ابنته و ياخذ كل ما
ذكرو المها على ذلك الوزير فى صداقها من عقار وعدور ومال ثم مات المعتصم وولى
ابنه المقتدر وكان صبيا صغير السن فعادت الاتراك الى ما كانت عليه من ذلك
والله تعالى اعلم (ويقرب من شبهها منه هذا المثال) ما ذكره فى حياة الحيوان فى ترجمة
يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب البلاد والمغرب من انه وقع بينه وبين
الاذفونش نصرانى طليطلة مكاتبات قال بعث الاذفونش الى الامير يعقوب
يتوعده ويتهدده ويطلب منه بعض حصون وكتب له رسالة من انشاء وزيره
ابن الفخار وهى (باسمك اللهم فاطر السموات والارض وصلى الله على السيد المسيح روح الله
وكلمته الفصيح اما بعد فانه لا يخفى على ذى ذهن ثاقب ولا ذى عقل لازب انك امير الملة الحنيفية كما انى امير
الملة النصرانية وقد علمت ما عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والكسل والتكاسل واهمال امر الرعية
واخلادهم الى الراحة والامنية وانا اسومهم بحكم القهر واخلاء الديار وسبى الذرارى
وامثل بالرجال واذيقهم عذاب الهوان وشديد النكال ولا عذر لك فى التخلف
عن نصرتهم اذا امكنتك القدرة وساعدك من عساكرك وجنودك كل ذى راى وخبرة
وانتم تزعمون ان الله تعالى قد فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم والان خفف
الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا رحمة منه ونحن الان نقاتل عشرة منكم بواحد منا لا
تستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا ولقد حكى عنك انك اخذت فى الاحتفال واشرفت
على ربوة القتال وتماطل نفسك سنة بعد اخرى تقدم رجلا وتوخر اخرى فلا
ادرى كان الجبن ابطا بك ام التكذيب بما وعد ربك ثم قيل لى انك لا تجد الى الجواز
سبيلا ولعله لا يسوغ لك التقحم فيه ميلا وها انا اقول لك ما فيه الراحة واعتذر
عنك ولك على ان تفى بالعهود والمواثيق والاستكثار من البرهان والاجئت
بجملتى اليك واقاتلك فى اعز الاماكن عليك فان كانت النصرة لك كانت غنيمة كبيرة
جاءت اليك وان كانت لى كانت يدى العليا عليك والله الموفق للشقاق لا رب غيره

ولا اخبر الاخبر قال فمزق يعقوب الكتاب وكتب على قطعة منه ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون الجواب ما ترى لا ما تسمع واستشهد ببيت المتنبي

ولا كتب الا المشرفية عنده	ولا رسله الا الخميس العرمرم

ثم امر بكتب الاستنفار واستدعاء الجيوش من الامصار وضرب السرادقات من يومه بظاهر البلد وصار الى البحر المعروف بزقاق سبتة فعبر فيه الى الاندلس ودخل الى بلاد الافرنج فكسرهم كسرة شنيعة وعاد بغنائمهم والله اعلم (ومن غرائب المنقول وعجائبه) عن الامير بدر الدين ابي المحاسن يوسف المهمندار المعروف بمهمندار العرب انه قال حكى لي الامير محمد شجاع الدين الشيرازي متولي القاهرة في ايام الكامل سنة ثلاثين وستمائة قال بتنا عند رجل بالصعيد فاكرمنا وكان الرجل شديد السمرة وهو شيخ كبير فحضر له اولاد بيض الوجوه حسان الاشكال فقلنا له هؤلاء اولادك قال نعم ثم قال كانكم انكرتم على بياضهم وسوادي قلنا نعم فقال هؤلاء كانت امهم افرنجية اخذتها ايام الملك الناصر صلاح الدين وانا شاب فقلنا وكيف اخذتها قال حديثي فيها عجيب وامري غريب فقلنا اتحفنا به فقال زرعت كتانا في هذه البلدة وقلعته ونفضته فصرفت عليه خمسمائة دينار ثم لم يبلغ الثمن اكثر من ذلك فحملته للقاهرة فلم يصل اكثر من ذلك فاشير علي بحمله الى الشام فحملته فلم يزد على تلك القيمة شيئا فوصلت به الى عكا فبعت بعضه لاجل والبعض تركته واكتريت حانوتا لابيع على مهل الى ان تنقضي المدة فبينما انا ابيع اذ مرت بي امرأة افرنجية ونساء الافرنج يمشون في الاسواق بلا نقاب فاتت تشتري مني كتانا فرأيت من جمالها ما ابهرني فبعتها وسامحتها ثم انصرفت واتت لي بعد ايام فبعتها وسامحتها اكثر من المرة الاولى فتكررت الي وعلمت اني احبها فقلت للعجوز التي كانت معها انني قد تلفت بحبها واريد منك الحيلة فقالت لها العجوز ذلك فقالت تروح ارواحنا الثلاثة انا وانت وهو نعارت

على الجواب فقلت لها اما انا فقد سمحت بروحی فی حبها واتفق الحال على ان ادفع لها خمسين دينارا فوزنتها وسلمتها للعجوز فقالت نحن الليلة عندك قال فمضيت ما جهزت ما قدرت عليه من مأكول ومشروب وشمع وحلوى فجاءت الافرنجية فاكلنا وشربنا وجن الليل ولم يبق غير النوم فقلت فی نفسی اما تستحی من الله وانت غريب تعصى الله مع نصرانية اللهم انی اشهدك انی قد عففت عنها فی هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك ثم نمت الى الصبح فقامت من السحر وهی غضبانة و مضت ومضيت الى حانوتی فجلست فيه فاذا هی قد عبرت علی والعجوز وهی مغضبة وكانها القمر فهلكت وقلت فی نفسی ومن هو انت حتى تترك هذه البارعة فی حسنها ثم لحقت العجوز وقلت لها ارجعی فقالت وحق المسيح ما ارجع لك الا بمائة دينار فقلت نعم بسم الله فمضيت فوزنت مائة دينار فلما حضرت الجارية عندی لحقتنی الفكرة الاولى وعففت عنها وتركتها حياء من الله تعالى ثم مضت و مضيت الى موضعی ثم عبرت علی بعد ذلك وقالت وحق المسيح ما عدت تفرح بی عندك الا بخمسمائة دينار او تموت كمدا فارتعت لذلك وعزمت على ان اصرف ثمن الكتان جميعه فبينما انا كذلك والمنادی ينادی معاشر المسلمين ان الهدنة التی كانت بيننا وبينكم قد انقضت وقد امهلنا من هنا من المسلمين الى جمعة فانقطعت عنی واخذت فی تحصيل ثمن الكتان الذی لی والمصالحة على ما بقی منه واخذت معی بضاعة حسنة وخرجت من عكا وفی قلبی من الافرنجية ما فيه فوصلت الى دمشق وبعت البضاعة باوفی ثمن بسبب فراغ الهدنة ومن الله علی بكسب وافر واخذت اتجر فی الجواری لعل يذهب ما بقلبی من الافرنجية فمضت ثلاث سنين وجرى للملك الناصر ما جرى من وقعة حطين واخذ جميع الملوك وفتح بلاد الساحل باذن الله تعالى فطلب منی جارية للملك الناصر فاحضرت له جارية حسناء فاشتراها منی بمائة دينار فاوصلوا الى تسعين دينارا وبقيت العشرة دنانير عنده فلم يجدوها فی خزانة الملك فی ذلك اليوم لانه انفق جميع الاموال

فلما حضرت الغنيمة جاء الملك فشاوروه على ذلك فقال امضوا به الى الخيمة التي فيها السبي من نساء الافرنج فخيروه في واحدة منهن يأخذها بالعشرة دنانير التي بقيت له فاتيت الخيمة فعرفت غريمتي فقلت اعطوني هذه الجارية فاخذتها ومضيت الى خيمتي وخلوت بها وقلت لها اتعرفيني قالت لا فقلت لها انا صاحبك التاجر الذي جرى لي معك ما جرى واخذت مني الذهب وقلت ما عدت تراني عندك الا بخمسمائة دينار وقد اخذتك ملكا بعشرة دنانير فقالت مد يدك انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاسلمت وحسن اسلامها فقلت والله لا وصلت اليها الا بامر القاضي فتوجهت الى ابن شداد وحكيت له ما جرى فتعجب وعقد لي عليها وباتت تلك الليلة عندي فحملت مني ثم رحل العسكر واتينا دمشق فبعد مدة يسيرة ارسل الملك يطلب الاسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك فردوا من كان اسيرا من الرجال والنساء ولم يبق الا التي عندي فطلبت مني فحضرت وقد تغير لوني فاحضرتها بين يدي الملك الناصر والرسول فقلت هذه اسلمت وصارت امرأتي فقال الملك الناصر بحضرة الرسول اترجعين الى بلادك او الى زوجك فقد فككنا اسرك واسر غيرك فقالت يا مولانا السلطان انا قد اسلمت وحملت وها بطني كما ترونه وليس لي رغبة في الرجوع الى بلادي ومالي رغبة الا في الاسلام وزوجي فقال لها الرسول ايما احب اليك هذا المسلم او زوجك الافرنجي فاعادت عبارتها الاولى فقال الرسول لمن معه من الافرنج اسمعوا كلامها ثم قال لي الرسول خذ زوجتك وتوجه فولت بها فطلبني ثانيا وقال ان امها ارسلت معي كسوة وقالت ان ابنتي اسيرة واشتهي ان توصل لها هذه الكسوة فتسلمت الكسوة ومضيت الى الدار ففتحت القماش فاذا هو قماشها بعينه قد سيرته لها امها ووجدت من داخله الصرتين الذهب الخمسين دينارا والمائة دينار كما هي بربطتي لم يتغير ، وهؤلاء الاولاد منها وهي التي صنعت لكم هذا الطعام والله اعلم (ويحكى ان بعض الملوك

ارسل رجلا من بطانتہ الی بعض الجہات لیعرف خبر عاملہا و یطالعہ باخبار الرعیۃ
فلما وصل الرجل فطن لہ العامل فارسل الیہ بمال و تحف ثم قال عرفت ماجئت لہ
وانا ارغب الیک فی کتاب تکتبہ الی الملک تذکر فیہ انی حسن السیرۃ وسالک طریق
العدل فان انت فعلت ذلک فلک منی ما تنتہی رغبتک الیہ من الخیر والعطاء وان
ابیت ذلک امرت الشرطیین ان ینہوا الی من امرک فی الملاء مایوجب قتلک اما
حدا او ما سیاسۃ فاقتلک بمحضر من قاضی البلد ووجوہ الناس فذہب کامس الماضی
فلما لم یجد الرجل بدا من موافقتہ ولم یکن لیعون مرسلہ کتب بحضرتہ کتابا الی الملک
اما بعد اعز اللہ الملک واکرمہ فانی قدمت الی مدینۃ کذا وکذا فوجدت العامل
فلانا آخذا بالحزم عاملا بالعزم قد ساوی بین رعیتہ وعدل بینہم فی اقضیتہ
وارضی بعضہم عن بعض وجعل طاعتہ علیہم فرضا وان لہم منزلۃ الاولاد و
اذہب ما بینہم من الاحقاد واراحہم من السعی فی الدنیا وفرغہم للعمل فی الاخری
اغنی القاصد وارضی الوارد فجمیع اہل عملہ داعون للملک یودون النظر الی
وجہہ الکریم والسلام) فلما وصل الکتاب منہ الی الملک فکر فیہ وقال لوزیرہ ان
فلانا لم یکن عندی بمنہم فان کتابہ ہذا یدل علی ظلم العامل فالتمس لی رجلا
یصلح لعملہ فانی قد عزلتہ فقال الوزیر اصلح اللہ الملک وکیف ذلک قال لان
قولہ آخذا بالحزم عاملا بالعزم ای انہ خائف منی لما اعتمدہ فی الولایۃ واما قولہ
ساوی بین رعیتہ وعدل بینہم فی اقضیتہ فمعناہ انہ لم یخص احدا بظلمہ بل الجمیع
سواء وقولہ وارضی بعضہم عن بعض ای ذہبت احقادہم لان الشدائد تذہب
الاحقاد وقولہ ان لہم منزلۃ الاولاد معناہ اخذ اموالہم ورای انہا لہ اخذا من
قولہ صلی اللہ علیہ وسلم انت ومالک لابیک وقولہ واراحہم من السعی فی الدنیا
معناہ انہ اخذ اموالہم ولم یترک لہم ما یسعون بہ ولا ما بہ یتجرون وقولہ فرغہم
للعمل فی الاخری معناہ انہم لزموا المساجد والعبادۃ لفقرہم وقولہ اغنی الوارد
وارضی القاصد فانہ یعنی نفسہ ای انہ اعطاہ مالا لیکتب الی بذلک واما قولہ

جميع اهل عمله داعون لنا معناه ان يبصرنا الله بامرهم ونطلع على ما هم فيه وقوله يودون النظر لوجهنا اى يشكون الينا ما القوه منه ويستغيثون بنا ثم ان الملك طلب العامل واحضره الى بابه وانصف الناس منه ورد عليهم ما كان العامل ظلمهم فيه واقتص منه فيما وجب عليه فيه القصاص وقابله على افعاله والله اعلم

وهذه قصيدة الزينبية

صرمت حبالك بعد وصلك زينب * والدهر فيه تصرم وتقلب
نشرت ذوائبها التى تزهو بها * سودا ورأسك كالثغامة اشيب
واستنفرت لما رأتك وطالما * كانت تحن الى لقاك وترغب
وكذاك وصل الغانيات فانه * آل ببلقعة وبرق خلب
فدع الصبا فلقد عداك زمانه * وازهد فعمرك مر منه الاطيب
ذهب الشباب فما له من عودة * وأتى المشيب فاين منه المهرب
دع عنك ما قد كان فى زمن الصبا * واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب
واذكر مناقشة الحساب فانه * لابد يحصى ما جنيت ويكتب
لم ينسه الملكان حين نسيته * بل اثبتاه وانت لاه تلعب
والروح فيك وديعة اودعتها * ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التى تسعى لها * دار حقيقتها متاع يذهب
والليل فاعلم والنهار كلاهما * انفاسنا فيها تعد وتحسب
وجميع ما خلفته وجمعته * حقا يقينا بعد موتك ينهب
تبا لدار لا يدوم نعيمها * ومشيدها عما قليل يخرب
فاسمع هديت نصيحة اولاكها * بر نصوح للانام مجرب
صحب الزمان واهله مستبصرا * ورأى الامور بما تؤوب وتعقب
لا تأمن الدهر الخؤن فانه * ما زال قدما للرجال يؤدب
وعواقب الايام فى غصاتها * غصص يذل لها الاعز الانجب

تعليك تقوى الله فالزمها تفز ... ان التقي هو البهي الاهيب

واعمل بطاعته تنل منه الرضا ... ان المطيع لربه لمقرب

فاقنع ففي بعض القناعة راحة ... واليأس عما فات فهو المطلب

فاذا طمعت كسيت ثوب مذلة ... فلقد كسي ثوب المذلة اشعب

وتوق من غدر النساء خيانة ... فجميعهن مكايد لك تنصب

لا تأمن الانثى حياتك انها ... كالافعوان يراع منه الانيب

لا تأمن الانثى زمانك كله ... يوما ولو حلفت يمينا تكذب

تغري بلين حديثها وكلامها ... واذا سطت فهي الصقيل الاشطب

وابدأ عدوك بالتحية ولتكن ... منه زمانك خائفا تترقب

واحذره ان لاقيته متبسما ... فالليث يبدو نابه اذ يغضب

ان العدو وان تقادم عهده ... فالحقد باق في الصدور مغيب

واذا الصديق رايته متملقا ... فهو العدو وحقه يتجنب

لا خير في ود امرئ متملق ... حلو اللسان وقلبه يتلهب

يلقاك يحلف انه بك واثق ... واذا توارى عنك فهو العقرب

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ منك كما يروغ الثعلب

وصل الكرام وان جفوك بهفوة ... فالصفح عنهم بالتجاوز اصوب

واختر قرينك واصطفيه تفاخرا ... ان القرين الى المقارن ينسب

ان الغني من الرجال مكرم ... وتراه يرجى ما لديه ويرغب

ويبش بالترحيب عند قدومه ... ويقام عند سلامه ويقرب

والفقر شين للرجال فانه ... حقا يهون به الشريف الانسب

واخفض جناحك للاقارب كلهم ... بتذلل واسمح لهم ان اذنبوا

ودع الكذوب فلا يكن لك صاحبا ... ان الكذوب يشين حرا يصحب

وزن الكلام اذا نطقت ولا تكن ... ثرثارة في كل ناد تخطب

واحفظ لسانك واحترز من لفظه — فالمرء يسلم باللسان ويعطب
والسر فاكتمه ولا تنطق به — ان الزجاجة كسرها لا يشعب
وكذاك سر المرء ان لم يطوه — نشرته السنة تزيد وتكذب
لا تحرصن فالحرص ليس بزائد — في الرزق بل يشقي الحريص ويتعب
ويظل ملهوفا يروم تحيلا — والرزق ليس بحيلة يستجلب
كم عاجز في الناس ياتي رزقه — رغدا ويحرم كيس ويخيب
وارع الامانة والخيانة فاجتنب — واعدل ولا تظلم يطيب المكسب
واذا اصابك نكبة فاصبر لها — من ذا رايت مسلما لا ينكب
واذا رميت من الزمان بريبة — اونالك الامر الاشق الاصعب
فاضرع لربك انه ادنى لمن — يدعوه من حبل الوريد واقرب
كن ما استطعت عن الانام بمعزل — ان الكثير من الورى لا يصحب
واحذر مصاحبة اللئيم فانه — يعدي كما يعدي السليم الاجرب
واحذر من المظلوم سهما صائبا — واعلم بان دعاءه لا يحجب
واذا رايت الرزق عز ببلدة — وخشيت فيها ان يضيق المذهب
فارحل فارض الله واسعة الفضا — طولا وعرضا شرقها والمغرب
ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتي — فالنصح اغلى ما يباع ويوهب

انتهى من حياة الحيوان وما احسن قول صالح بن عبد القدوس

المرء يجمع والزمان يفرق — ويظل يرقع والخطوب تمزق
ولان يعادي عاقلا خير له — من ان يكون له صديق احمق
فارغب بنفسك ان تصادق احمقا — ان الصديق على الصديق مصدق
وزن الكلام اذا نطقت فانما — يبدي عقول ذوي العقول المنطق
ومن الرجال اذا استوت احلامهم — من يستشار اذا استشير فيطرق
حتى يجيل بكل واد قلبه — فيرى ويعرف ما يقول وينطق

لا الفينك ثاويا فى غربة ... ان الغريب بكل سهم يرشق
ما الناس الا عاملان فعامل ... قد مات من عطش وآخر يغرق
لو يرزقون الناس حسب عقولهم ... الفيت اكثر ما ترى يتصدق
لكنه فضل المليك عليهم ... هذا عليه موسع ومضيق
واذا الجنازة والعروس تلاقيا ... ورايت دمع نوائح يترقرق
سكت الذى تبع العروس مبهتا ... ورايت من تبع الجنازة ينطق
واذا امرؤ لسعته افعى مرة ... تركته حين يجر حبل يفرق
بقى الذين اذا يقولوا يكذبوا ... ومضى الذين اذا يقولوا يصدقوا

(وذكر ابن الجوزى فى الاذكياء وغيره) ان عمران بن حطان كان احد الخوارج وهو القائل يمدح عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنهما الله تعالى على قتل الامام (على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه)

يا ضربة من تقى ما اراد بها ... الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
انى لاذكره يوما فاحسبه ... اوفى البرية عند الله ميزانا
اكرم بقوم بطون الارض اقبرهم ... لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا

فبلغت القاضى ابا الطيب الطبرى رحمه الله هذه الابيات فقال مجيبا له

انى لابرء مما انت قائله ... عن ابن ملجم الملعون بهتانا
انى لاذكره يوما فالعنه ... دينا والعن عمران بن حطانا
عليك ثم عليه الدهر متصلا ... لعائن الله اسرارا واعلانا
فانتم من كلاب النار جاء لنا ... نص الشريعة برهانا وتبيانا

اشار ابو الطيب رحمه الله تعالى الى قوله صلى الله عليه وسلم الخوارج كلاب النار انتهى من حياة الحيوان ومنه ما روى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فشهد عليه انه سرق جملا لهم فامر به النبى صلى الله عليه وسلم ان يقطع فولى الرجل وهو يقول اللهم صل على محمد

حتى لا يبقى من صلاتك شيء وبارك على محمد حتى لا يبقى من بركاتك شيء وسلم على محمد حتى لا يبقى من السلام شيء فتكلم الجمل وقال يا محمد انه بريء من سرقتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم من ياتيني بالرجل فابتدره سبعون من اهل بدر فجاؤا به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا هذا ما قلت آنفا فاخبره بما قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك نظرت الملائكة يخترقون سكك المدينة حتى كادوا يحولون بيني وبينك ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لتردن على الصراط ووجهك اضوء من القمر ليلة البدر انتهى

(وهذه القصيدة يقال انها لامير المؤمنين الراضي بالله)

زيادة المرء في دنياه نقصان ... وربحه غير محض الخير خسران
وكل وجدان حظ لا ثبات له ... فان معناه في التحقيق فقدان
يا عامرا لخراب العمر مجتهدا ... بالله هل لخراب الدهر عمران
ويا حريصا على الاموال تجمعها ... انسيت ان سرور المال احزان
دع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها ... فصفوها كدر والوصل هجران
احسن الى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الانسان احسان
وكن على الدهر معوانا لذي امل ... يرجو نداك فان الحر معوان
من جاد بالمال مال الناس قاطبة ... اليه والمال للانسان فتان
من كان للخير مناعا فليس له ... عند الخليقة اخدان واخوان
لا تخدشن بمطل وجه عارفة ... فالبر يخدشه مطل وليان
حسب الفتى عقله خلا يعاشره ... اذا تحاماه اخوان وخلان
لا تستشر غير شخص حازم فطن ... وقد استوت منه اسرار واعلان
فللتدابير فرسان اذا ركضوا ... فيها ابروا كما للحرب فرسان
ورافق الرفق في كل الامور فلم ... يندم رفيق ولم يذممه انسان
ولا تكن عجلا في الامر تطلبه ... فليس يحمد قبل النضج بحران
هما رضيعا لبان حكمة وتقى ... وساكنا وطن مال وطغيان

من مدّ طرفا بفرط الجهل نحو هوى … اغضى عن الحق يوما وهو خزيان
من استشار صروف الدهر قام له … على حقيقة طبع الدهر برهان
من عاشر الناس لاقى منهم نصبا … لان طبعهم بغي وعدوان
ومن يفتش عن الاخوان مجتهدا … فجل اخوان هذا الدهر خوان
من يزرع الشر يحصد فى عواقبه … ندامة ولحصد الزرع إبان
من استنام الى الاشرار نام وفى … قميصه منهم صل وثعبان
من سالم الناس يسلم من غوائلهم … وعاش وهو قرير العين جذلان
وان اساء مسيء فليكن لك فى … عروض زلته صفح وغفران
اذا نبا بكريم موطن فله … وراءه فى بسيط الارض اوطان
لا تحسبن سرورا دائما ابدا … من سره زمن ساءته ازمان
يا ظالما فرحا بالعز ساعده … ان كنت فى سنة فالدهر يقظان
يا ايها العالم المرضى سيرته … ابشر فانت بغير الماء ريان
دع التكاسل فى الخيرات تطلبها … فليس يسعد بالخيرات كسلان
صن حر وجهك لا تهتك غلالته … فكل حر لحر الوجه صوّان
لا تحسب الناس طبعا واحدا فلهم … غرائز ليس يحصيهن انسان
من استعان بغير الله فى طلب … فان ناصره عجز وخذلان
واشدد يديك بحبل الله معتصما … فانه الركن ان خانتك اركان
لا ظل للمرء يغنى عن تقى ورضى … وان اظلته اوراق وافنان
يا رافلا فى ثياب المال منتشيا … من كاسه فاقد الرشد نشوان
لا تغترر بشباب ناعم خضل … فكم تقدم قبل الشيب شبان
ويا اخا الشيب لو ناصحت نفسك لم … يكن لمثلك فى الاسراف امعان
هب الشبيبة تبدى عذر صاحبها … ما بال شيبك يستهويه شيطان
كل الذنوب فان الله يغفرها … ان شيع المرء اخلاص وايمان

وكل كسر فان الله يجبره	وما الكسر قناة الدين جبران
خذها سرائرا امثال لهذبة	فيها لمن يبتغي التبيان تبيان
ما ضر حسانها والطبع صائغها	ان لم يضعها فريج السعر حسان

وذيل عليها بعضهم فقال

وكن لسنة خير الخلق متبعا	فانها لنجاة العبد عنوان
فهو الذي شملت للخلق انعمه	وعمهم منه في الدارين احسان
ومذ أتى ابصرت عمي القلوب به	سبل الهدى ووعت للحق آذان
جبينه قمر قد زانه خفر	وثغره در ثغر ومرجان
فالبدر يخجل من انوار بهجته	والشمس من حسنه الوضاح تزدان
به توسلنا في محو زلتنا	لربنا انه ذو الجود منان
يارب صل عليه ما همى مطر	فاينعت منه اوراق واغصان
وابعث اليه سلاما زاكيا عطرا	والآل والصحب لا تفنيه ازمان

وعن حماد الراوية قال كنت محبا للوليد بن عبد الملك فلما ولى اخوه يزيد الخلافة هربت الى الكوفة فبينما انا في المسجد الاعظم اذا اتاني رسول محمد بن يوسف الثقفي وقال اجب الامير فدخلت عليه فقال ورد كتاب امير المؤمنين على بحملك اليه وبالباب نجيبان فاركب احدهما ودفع اليه كيسا فيه الف دينار وقال هذه نفقة لمنزلك فدخلت دمشق في اليوم الثامن واستأذن لي الرسول فدخلت عليه فاذا هو جالس في دار مبطلة بالرخام الاحمر وفيها سرادق خز احمر في وسط قبة حمراء من خز فرشها وكل ما فيها احمر وعلى رأسه جاريتان عليهما ثياب حمر بيد واحدة منهما ابريق وفي احدى يدي الاخرى نبيذ احمر وفي يد الاخرى نبيذ ابيض فلما واجهته سلمت عليه بالخلافة فرد على السلام وقال ادن يا حماد اتدري فيم بعثت اليك قلت لا يا امير المؤمنين قال في بيت شعر ذهب عني ولا قلت من اي عروض وقافية قال لا ادري الا انه بيت فيه ابريق فقلت في نفسي ان لم

تغن الرواية يوما فالآن ففكرت ساعة ثم قلت نعم يا امير المؤمنين لعله قول

البنيع اليمانى او عدى بن زيد العبادى

بكر العاذلون فى وضح الصبح ... يقولون لى اما تستفيق

ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موهوق

لست ادرى اذا اكثر العذل فيها ... اعدو يلومنى ام صديق

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت ... قينة فى يمينها ابريق

فصاح يزيد وقال هو والله الشعر بعينه وشرب وقال يا جارية اسقيه فسقتنى

كاسا اذهبت ثلث عقلى ثم استعاد الشعر وشرب وقال اسقيه فسقتنى فقلت

يا امير المؤمنين ذهب ثلثا عقلى فقال سل حاجتك قبل ان يذهب الثلث

الاخير فقلت احدى هاتين الجاريتين فقال هما لك بما لهما وما عليهما ومائة

الف تحسن بها سيرك ثم ناولتنى الجارية كاسا فشربتها وانصرفت ونهضت

وقد ذهب عقلى فعدل بى الى دار الضيافة فانتبهت آخر الليل واذا بشمع يوقد

والجاريتان يرصان الامتعة والبغال تحمل مالهما من اثاث وغيره واصبحت قبضت

المال وانصرفت وانا ايسر اهل الكوفة انتهى ولما وقف الشيخ تقى الدين بن حجة

رحمه الله على هذه الحكاية قال انظر ايها المتادب الى نفاق عظيم الادب فى ذلك الادب

وبشهادة انسان البيت الذى طلب حماد الراوية بسببه من العراق الى دمشق واجيز عليه

بالجاريتين والمائة الف تانف نفسى ان انظم فى سلك قصيدة من قصائدى

(وهو هذا البيت)

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت ... قينة فى يمينها ابريق

وكنت اريد ان اكون فى ذلك العصر ويسمع يزيد بن عبد الملك من نظمى

(فى هذا الباب قولى)

فى ليلة رقم البدر المنير لها ... طارا له بعصا الجوزاء نقرات

وبان لى من لماها حين تبسم لى ... فوق اللثا درر وعقيقات

والراح دبت على فهمی قصورها	لكن لها ضاع فی الكاسات نفحات
كانت علامات تحقيقی فقا فی	هی المنازل لی فيها علامات
مذ انشأنا سجعنا فی محاسنها	مخردين ولا انشاء شجعات
هذا وافواه كاسانی قد ابتسمت	لما جبتها تغور لؤلؤيات
ومن يقل حركات الدهر ما سكنت	فللحباب على التسكين جزمات

والطف من ذلك ما حكاه محمد بن يزيد المبرد قال كان ابو عثمان المازنی قد
جاء اليه يهودی وسأله ان يقرئه كتاب سيبويه وبذل له مائة دينار فامتنع
ابو عثمان من ذلك فقلت له سبحان الله ترد مائة دينار مع فاقتك وحاجتك
الى درهم واحد فقال نعم يا ابا العباس اعلم ان كتاب سيبويه يشتمل على ثلثمائة
آية من كتاب الله ولا ارى ان امكن منها كافرا فسكت ولم يتكلم قال المبرد
فما مضت الا ايام حتى جلس الواثق يوما للشرب وحضر ندماؤه فغنت جارية

فی المجلس هذا الشعر

اظلوم ان مصابكم رجلا	اهدى السلام تحية ظلم

فنصبت رجلا فلحنها بعض الحاضرين من الندماء وقال الصواب الرفع لانه
خبر ان فقالت الجارية ما حفظته من معلمی الا هكذا ثم وقع النزاع بين
الجماعة فمن القائل الصواب معه ومن القائل الصواب معها فقال الواثق من
بالعراق من اهل العربية ممن يرجع اليه فقالوا بالبصرة ابو عثمان المازنی و
هو اليوم واحد عصره فی هذا العلم فقال الواثق اكتبوا الى والينا بالبصرة يسيره
الينا معظما مبجلا فما كان الا ايام حتى وصل الكتاب الى البصرة فامر الوالی
ابا عثمان بالتوجه وسيره على بغال البريد فلما وصل دخل على الواثق فرفع مجلسه
وزاد فی اكرامه وعرض عليه البيت فقال الصواب مع الجارية ولا يجوز فی رجل
غير النصب لان مصاب مصدر بمعنى الاصابة ورجل منصوب به والمعنى ان
اصابتكم رجلا اهدى السلام تحية ظلم خبر ان ولا يتم الكلام الا به ففهم

الواثق كلام ابي عثمان وعامران احق ما قالته واعجب به وانقطع الرجل الذي نكر على الجارية ثم امر الواثق لابي عثمان المازني بالف دينار واتحفه بتحف وهدايا كثيرة لاهله ووهبت له الجارية جملة اخرى ثم سيره الى بلده مكرما فلما وصل جاءه المبرد فقال له ابو عثمان كيف رايت يا ابا العباس تركت لله مائة فعوضني الفا فقال المبرد من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه انتهى وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت الله الاسم الاعظم فجاءني جبريل به مختوما وهو اللهم اني اسالك بالاسم المخزون المكنون الطهر الطاهر المطهر المقدس المبارك الحي القيوم قالت عائشة بابي وامي علمنيه فقال يا عائشة نهينا عن تعليمه النساء والصبيان والسفهاء اهـ فائدة كان ابو محمد عبد الله بن يحيى الصعبي من اصحاب الشافعي وكان اماما صالحا عالما من اهل اليمن من اقران صاحب البيان من تصنيفه احترازات المهذب والتعريف في الفقه وروي ان ناسا ضربوه بالسيوف فلم تقطع سيوفهم فيه فسئل عن ذلك فقال كنت اقرا ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وحفظناها من كل شيطان رجيم وحفظا من كل شيطان مارد وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ان كل نفس لما عليها حافظ ان بطش ربك لشديد الى آخر السورة وينبغي ان يزاد فيها ان ربي على كل شيء حفيظ ثم قال كنت خرجت يوما مع جماعة فرايت ذئبا يلاعب شاة عجفاء ولا يضرها بشيء فادنونا منه نفر منها الذئب فوجدنا في عنق الشاة كتابا مربوطا فيه هذه الآيات المتقدمة انتهى فائدة قال معاذ بن جبل احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس فخرج سريعا فثوب بالصلاة فصلى وتجوز في صلاته فلما سلم دعا بصوته فقال لنا مصافكم كما انتم ثم انفتل الينا فقال اما اني ساحدثكم ما حبسني عنكم الغداة اني قمت من الليل فتوضأت وصليت

ماقدر لی فنعست فی صلاتی حتی استثقلت فاذا انا بربی تعالی فی احسن صورۃ فقال یا محمد فقلت لبیک یا رب قال فیم یختصم الملاء الاعلی قلت رب لا ادری قال تعالی فی الکفارات والدرجات وفی روایۃ قلت فی الکفارات والدرجات قال فما هن قلت مشی الاقدام الی الجماعات والجلوس فی المساجد بعد الصلوات واسباغ الوضوء علی المکروهات قال فیم قلت اطعام الطعام ولین الکلام والصلوۃ باللیل والناس نیام قال سل قلت اللهم انی اسألک فعل الخیرات وترک المنکرات وحب المساکین ان تغفر لی وترحمنی واذا اردت بعبادک فتنۃ فاقبضنی الیک غیر مفتون اسألک حبک وحب من یحبک وحب کل عمل یقربنی الی حبک فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم انها حق فادرسوها ثم تعلموها قال ابو عیسی هذا حدیث حسن صحیح انتهی من حیاۃ الحیوان فی حرف النون وقال ذکر لرسول الله صلی الله علیه وسلم الشرک فقال هو اخفی فیکم من دبیب النمل وسادلک علی شیء اذا فعلته اذهب الله عنک صغار الشرک وکباره تقول اللهم انی اعوذ بک ان اشرک بک شیئا وانا اعلم واستغفرک لما لا اعلم انک انت علام الغیوب تقولها ثلاث مرات انتهی

فائدۃ اذا علقت عین الهدهد علی صاحب النسیان ذکر ما نسیه ودمه اذا قطر فی البیاض العارض فی العین اذهبه وروی احمد والبزار ورجال احمد ثقات من حدیث ابی هریرۃ ان رسول الله صلی الله علیه وسلم رأی رجلا یشرب قائما فقال له ایسرک ان یشرب معک الهر قال لا قال فقد شرب معک الشیطان وفی تاریخ ابن النجار فی ترجمۃ محمد بن عمر الحنبلی عن انس بن مالک قال کنت جالسا عند عائشۃ رضی الله عنها ابشرها بالبراءۃ فقالت والله لقد هجرنی القریب و البعید حتی هجرتنی الهرۃ وما عرض علی طعام ولا شراب فکنت ارقد وانا جائعۃ فرایت فی منامی فتی فقال مالک حزینۃ فقلت مما ذکر الناس فقال ادعی بهذه یفرج الله عنک فقلت وما هی قال قولی دعاء الفرج یا سابغ النعم ویا دافع النقم ویا فارج الغمم ویا کاشف الظلم ویا اعدل من حکم ویا حسیب من ظلم ویا ولی من

ظلم ویا اول بلا بدایة ویا آخر بلا نهایة ویا من له اسم بلا کنیة اجعل لی من امری فرجا ومخرجا قالت فانتبهت وانا یلنه شبعانة وقد انزل الله برائتی وجاء نی الفرج انتهی من حیاة الحیوان وهذا الدعاء روی الطبرانی باسناد صحیح قطعة منه عن انس ان النبی صلی الله علیه وسلم مر باعرابی وهو یدعو فی صلاته یقول یا من لا تراه العیون ولا تخالطه الظنون ولا یصفه الواصفون ولا تغیره الحوادث ولا یخشی الدوائر یعلم مثاقیل الجبال ومکاییل البحار وعدد قطر الامطار وعدد ورق الاشجار وعدد ما اظلم علیه اللیل واشرق علیه النهار ولا تواری منه سماء سماء ولا ارض ارضا ولا بحر الا ویعلم ما فی قعره ولا جبل الا یعلم ما فی وعره اجعل اللهم خیر عمری آخره وخیر عملی خواتیمه وخیر ایامی یوم لقائک فوکل النبی صلی الله علیه وسلم بالاعرابی رجلا فقال اذا صلی فاتنی به فلما صلی اتاه به وقد کان اهدی للنبی صلی الله علیه وسلم ذهب من بعض المعادن فلما اتی الاعرابی وهب له الذهب وقال ممن انت ایها الاعرابی قال من بنی عامر بن صعصعة فقال صلی الله علیه وسلم هل تدری لم وهبت لک هذا الذهب قال للرحم التی بیننا وبینک یا رسول الله قال صلی الله علیه وسلم ان للرحم حقا ولکن وهبت لک الذهب لحسن ثنائک علی الله عز وجل انتهی من حرف الطاء وفی کتاب ثمار القلوب للثعالبی فی الباب الثالث عشر منه ان الملک بهرام جور لم یکن فی العجم ارمی منه ومن غریب ما اتفق له انه خرج یوما یتصید علی جمل وقد اردف جاریة یعشقها فعرضت له ظباء فقال للجاریة فی ای موضع تریدین ان اضع هذا السهم من هذه الظباء قالت ارید ان تشبه ذکرانها باناثها واناثها بذکرانها فرمی ظبیا ذکرا بنشابة ذات شعبتین فاقتلع قرنیه ورمی ظبیة بنشابتین اثبتهما فی موضع القرنین ثم سالته ان یجمع ظلف الظبی واذنه بنشابة واحدة فرمی اذن الظبی ببندقة فلما اهوی بیده الی اذنه لیحک رماه بنشابة فوصل اذنه بظلفه ثم اهوی الی الجاریة مع هواه بها فرمی بها الی الارض واوطأها الجمل بسبب ما اشترطت علیه

وقال ما اردت الاظهار عجزي فلم نلبث الا يسيرا وماتت انتهى حكاية في القطا يقال نزل عمرو بن امامة على قوم من مراد فطرقوه ليلا فاثاروا القطا من اماكنها فراتها امرأة يقال لها حذام فلما رأت القطا طار ليلا نبهت زوجها مع رجال من قومها فقالت لهم لو ترك القطا ليلا لنام فلم يلتفتوا الى قولها واخلدوا الى مضاجعهم

(فقام رجل منهم وقال)

اذا قالت حذام فصدقوها	فان القول ما قالت حذام

فنفر القوم والتجوا الى واد قريب منهم واعتصموا به حتى اصبحوا وامتنعوا من عدوهم فضرب به المثل انتهى بتقديم وتأخير وعن ابي جعفر الخالدي قال ودعت ابا الحسن الصغير المدني فقلت له زودني شيئا فقال اذا ضاع منك شئ واردت ان يجمع الله بينك وبين ذلك الشئ او ذلك الانسان فقل يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد اجمع بيني وبين كذا فان الله يجمع بينك وبين ذلك الشئ او ذلك الانسان انتهى من حرف الالف وهذه ابيات

لصيد اللخم في البحر	وصيد الاسد في البر
وقضم الثلج في القر	ونقل الصخر في الحر
واقدام على موت	وتحويل الى القبر
لاشهى من طلاب العز	ف ممن عاش في الفقر

قوله اللخم بضم اللام واسكان الخاء المعجمة ضرب من السمك ضخم يقال له الكوسج وهو القرش انتهى من حياة الحيوان في حرف اللام وذكر بعض اهل التواريخ ان ملكا من الملوك خرج يدور في ملكه فوصل الى قرية عظيمة فدخلها منفردا فاشتد العطش فوقف بباب دار من دور القرية وطلب ماء فخرجت اليه امرأة جميلة بكوز ماء وناولته اياه فلما نظر لها افتتن بها فراودها عن نفسها وكانت المرأة عارفة به فعلمت انها لا تقدر على الامتناع منه فدخلت واخرجت له كتابا وقالت له انظر في هذا الكتاب الى ان اصلح من امري ما يجب واعود فاخذ الملك الكتاب

بركتهما عندهم حين يريد السفر رواه الطبراني وقال في تتمة اخرى قال الشيخ قطب الدين
القسطلاني مما حفظت من والدتي ام محمد آمنة وكانت وفاتها في صفر سنة ست
وخمسين وستمائة اللهم بتلألؤ نور بهاء حجب عرشك من اعدائي احتجبت و
بسطوة الجبروت ممن يكيدني استترت وبطول حول حجب عرشك من اعدائي
احتجبت وبشديد قوتك من كل سلطان تحصنت وبديوم قيوم دوام ابديتك
من كل شيطان استعذت وبمكنون السر من سر سرك من كل هم وغم تخلصت
يا حامل العرش عن حملة العرش يا شديد البطش يا حابس الطير والوحش احبس عني
من ظلمني واغلب من غلبني كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز انتهى
وقال الشيخ قطب الدين ومما حفظته من دعاء والدتي من الادعية التي تنفع في
الحجب عن الاعداء اللهم بسر الذات وبذات السر هو انت انت هو لا اله الا انت احتجبت
بنور الله وبنور عرش الله وبكل اسم لله من عدوي وعدو الله بالف الف لا حول
ولا قوة الا بالله ختمت على نفسي ودينى واهلي ومالي وولدي وجميع ما اعطاني ربي
بخاتم الله القدوس المنيع الذي ختم به اقطار السموات والارض حسبنا الله ونعم
الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل وقال الكسائي دخلت
على الوليد ذات يوم وهو في ايوانه وبين يديه مال كثير قد امر بتفرقته على خدمه
الخاصة وبيده درهم تلوح كتابته وهو يتاملة وكان كثيرا ما يحدثني فقال هل
علمت اول من سن هذه الكتابة في الذهب والفضة قلت هو يا سيدي عبد
الملك بن مروان قال فما كان السبب في ذلك قلت لا اعلم غير انه اول من احدث
هذه الكتابة قال ساخبرك كانت القراطيس للروم وكان اكثر من بمصر نصرانيا
على دين ملك الروم وكانت تطرز بالرومية وكان طرازها ابا وابنا وزوجة
وبنتا فلم يزل كذلك صدر الاسلام كله ونظر فيه واذا فيه الزجر عن الزنا وما
اعد الله تعالى لفاعله من العذاب الاليم فاقشعر جلده ونوى التوبة وصاح
بالمراة واعطاها الكتاب ورد ذاهبا وكان زوج المراة غائبا فلما حضر اخبرته الخبر

فتحير في نفسه وخاف ان يكون قد وقع غرض الملك فيها فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك ومكث على ذلك مدة فاعلمت المرأة اقاربها بحالها مع زوجها فرفعوه الى الملك فلما مثل بين يدي الملك قال اقارب المرأة اعز الله مولانا الملك ان هذا الرجل قد استاجر منا ارضا للزراعة فزرعها مدة ثم عطلها فلا هو يزرعها ولا هو يتركها لنوجرها لمن هو يزرعها وقد حصل الضرر للارض ونخاف فسادها بسبب التعطيل لان الارض اذا لم تزرع فسدت فقال الملك لزوج المرأة ما يمنعك من زرع ارضك فقال اعز الله مولانا الملك انه قد بلغني ان الاسد قد دخل ارضي وقد هبته ولم اقدر على الدنو منها لعلمي انه لا طاقة لي بالاسد ففهم الملك القصة فقال له يا هذا ان ارضك طيبة صالحة للزراعة فازرعها بارك الله لك فيها فان الاسد لن يعود اليها ثم امر له ولزوجته بصلة حسنة وصرفهما انتهى من حرف الالف

(فائدة) الفرزدق اسمه همام بن غالب والفرزدق لقب غلب عليه والفرزدق قطع العجين الواحدة فرزدقة ولقب به لغلظه وقصره انتهى (فائدة عظيمة) قال الاطباء اذا اردت ان تعرف ان المرأة عقيم ام لا فمرها ان تحمل بثومة في قطنة وتمكث سبع ساعات فان فاح من فمها رائحة الثوم فعالجها بالادوية فانها تحمل باذن الله تعالى والا فلا وهي مجربة والله اعلم (فائدة) قال شيخ الاسلام محيي الدين النووي في اذكاره في باب اذكار المسافر عند ارادته الخروج من بيته يستحب له عند ارادة الخروج ان يصلي ركعتين لحديث المطعم بن المقداد الصحابي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما خلف احد عند اهله افضل من ركعتين يصلي على ما كان عليه الى ان ملك عبد الملك فتنبه له وكان فطنا فبينما هو ذات يوم جالس اذ مر به قرطاس فنظر الى طرازه فامر ان يترجم بالعربية ففعل ذلك فانكره وقال ما اغلظ هذا في دين الاسلام ان يكون طراز القراطيس هكذا وهي تعمل في الاواني والثياب وهما يعملان بمصر وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد فامر بالكتاب الى عبد العزيز بن مروان وكان عامله بمصر

بابطال ذلك الطراز الذي يعمل على الثياب والقراطيس والستور وغير ذلك وان
تعمل صناع القراطيس سورة التوحيد وشهد الله انه لا اله الا هو وهذا طراز القراطيس
خاصة الى هذا الوقت ولم ينقص ولم يزد ولم يتغير وكتب الى عمال الآفاق جميعا
بابطال ما في اعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من وجد عنده
بعد هذا النهي شئ منه بالضرب الوجيع والحبس الطويل بعد ما اثبت القراطيس
بالطراز المحدث بالتوحيد وحمل الى بلاد الروم منها وانتشر خبرها ووصل
الى ملكهم فترجم لدذلك الطراز فانكره وعظم عليه واستشاط غيظا فكتب الى عبد
الملك ان اعمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك للروم ولم تزل تطرز بطراز
الروم الى ان ابطلته فان كان من تقدمك من الخلفاء قد اصاب فقد اخطأت و
ان كنت قد اصبت فقد اخطأوا فاختر من هاتين الخلتين ايهما شئت واحببت وقد
بعثت اليك بهدية تليق بمحلك واحببت ان تردد طرز تلك القراطيس الى ما كان
عليه وجميع ما كان يطرز اولا لاشكرك عليها وتأمر بقبض الهدية وكانت عظيمة
القدر فلما قرأ عبد الملك كتابه رد الرسول واعلمه انه لا جواب له ورد الهدية فانصرف
بها الى صاحبه فلما وافاه اضعف الهدية ورد الرسول الى عبد الملك وقال اني ظننت
انك استقللت الهدية فلم تقبلها ولم تجبني الى كتابي فاضعفت الهدية وانا ارغب
اليك الى مثل ما رغبت فيه اولا من رد الطراز الى ما كان عليه اولا فقرأ عبد الملك الكتاب
ولم يجبه ورد الهدية فكتب اليه ملك الروم كتابا يقتضي اجوبة كتبه ويقول انك
قد استخففت بجوابي وهديتي ولم تسعفني بحاجتي فتوهمتك استقللت الهدية
فاضعفتها فجريت على سبيلك الاول وقد اضعفتها لك ثالثا وانا احلف بالمسيح
لتأمرن برد الطراز الى ما كان عليه اولا لآمرن بنقش الدراهم والدنانير فانك تعلم
انه لا ينقش شئ منها الا ما ينقش في بلادي ولم ار الدراهم والدنانير نقشت
في بلاد الاسلام فتنقش عليها شتم نبيك فاذا قرأته ارفض جبينك عرقا فاحب
ان تقبل هديتي وترد الطراز الى ما كان عليه اول الامر وكانت هدية بررتني بها

ويبقى الامر بيني وبينك فلما قرأ عبد الملك الكتاب صعب عليه وعظم وضاقت به الارض وقال احسبني اشأم مولود ولد في الاسلام لاني جنيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من شتم هذا الكافر ما يبقى الى ابد الدهر ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب اذ كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم فجمع اهل الاسلام واستشارهم فلم يجد عندهم رأيا يعمل به فقال له روح بن زنباع انك لتعلم المخرج من هذا الامر ولكنك تتعمد تركه فقال ويحك بمن قال عليك بالباقر من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم قال صدقت ويكنه يا روح الرأي فيه قال نعم نكتب الى عامله بالمدينة ان ارسل الى محمد بن علي بن الحسين مكرما ومتعه بمائة الف درهم لجهازه وثلثمائة درهم لنفقته وارح عليه في جهازه وجهاز من يخرج معه من اصحابه وحبس الرسول قبله الى موافاة محمد بن علي فلما وافاه اخبره الخبر فقال له محمد رضي الله عنه لا يعظم هذا عليك فانه ليس بشئ من جهتين احداهما ان الله عز وجل لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم في رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية تدعو في هذا الوقت بصناع يضربون سككا للدراهم والدنانير وتجعل النقش عليها سورة التوحيد وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما في وجه الدرهم والدينار والاخر في الوجه الثاني وتجعل في مدار الدرهم او الدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه والسنة التي تضرب فيها تلك الدراهم والدنانير وتعمد الى وزن ثلاثين درهما عددا من الثلاثة اصناف التي العشرة منها وزن عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن ستة مثاقيل وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل فتكون اوزانها جميعا احدا وعشرين مثقالا فتجزئها من الثلاثين فيصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل وتصب صنجات من قوارير لا تستحيل الى زيادة ولا نقصان فتضرب الدراهم على وزن عشرة والدنانير على وزن سبعة مثاقيل وكانت الدراهم في ذلك الوقت انما هي الكسروية التي يقال لها اليوم البغلية لان رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بسكة كسروية في الاسلام مكتوب عليها

صورة الملك وتحت الكرسى مكتوب بالفارسية (نوش خور) اى كل هنيئا
وكان وزن الدرهم منها قبل الاسلام مثقالا والدراهم التى كان وزن العشرة منها
وزن ستة مثاقيل والعشرة وزن خمسة مثاقيل هى السمرية الخفاف والثقال
ونقشها نقش فارس ففعل ذلك عبد الملك وامره محمد بن على بن الحسين رضى الله
عنه ان يكتب السكة فى جميع بلدان الاسلام وان يتقدم الى الناس فى التعامل بها
وان يتهدد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير وغيرهما و
ان تبطل وترد الى مواضع العمل حتى تعاد الى السكة الاسلامية ففعل عبد الملك
ذلك ويرد رسول ملك الروم اليه بذلك ويقول ان الله عز وجل مانعك مما قد
اردت ان تفعل وقد تقدمت الى عمالى فى اقطار البلاد بكذا وكذا وبابطال
السكك وطراز الرومية فقيل لملك الروم افعل ما كنت تهددت به ملك العرب
فقال انما اردت ان اغيظه بما كتبت اليه لانى كنت قادرا عليه بالمال وغيره برسوم
الروم فاما الآن فلا افعل لان ذلك لا يتعامل به اهل الاسلام وامتنع من الذى
قال وثبت ما اشار به محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم الى اليوم ثم رمى يحيى
الرشيد بالدرهم الى بعض الخدم انتهى من حياة الحيوان وقال نصر الله بن مجلى
وكان من الثقات واهل السنة رايت على بن ابى طالب رضى الله عنه فى المنام
فقلت يا امير المؤمنين تفتحون مكة وتقولون من دخل دار ابى سفيان فهو
آمن ثم يتم على ولدك الحسين ما تم فقال اما سمعت ابيات ابن الصيفى فى هذا
قلت لا فقال اسمعها منه ثم انتبهت فبادرت الى دار حيص بيص فذكرت له الرؤيا
فشهق وبكى وحلف بالله انها لم تخرج من فيه او خطه لاحد وما نظمها الا فى
ليلة ثم انشدنى

ملكنا فكان العفو منا سجية	فلما ملكتم سال بالدم ابطح
وحللتم قتل الاسارى وطالما	غدونا عن الاسراء نعفو ونصفح

واسم حيص بيص سعيد بن محمد ابو الفوارس التميمى الشاعر المشهور ويعرف بابن

الصيفى ولقب بجيص بيص لانه رأى الناس يوما فى حركة مزعجة وامر شديد يد فقال ماللناس فى حيص بيص فبقى هذا اللقب عليه ومن محاسن شعره

يا طالب الرزق فى الآفاق مجتهدا	اقصر عناك فان الرزق مقسوم
الرزق ياتى الى من ليس يطلبه	وطالب الرزق يسعى وهو محروم

ولہ ایضا

يا طالب الطب من داء اصيب به	ان الطبيب الذى ابلاك بالداء
هو الطبيب الذى يرجى لعافية	لا من يذيب لك الترياق فى الماء

ولہ ایضا

اله عما استأثر الله به	ايها القلب ودع عنك الحرق
فقضاء الله ليس يدفعه	حول محتال اذا الامر سبق

ولہ ایضا

انفق ولا تخش اقلالا فقد قسمت	على العباد من الرحمن ارزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية	ولا يضر مع الاقبال انفاق

(ومما جاء فى الذكاء والفهم) ما حكى عن المأمون انه غضب على عبد الله بن طاهر وشاور اصحابه فى الايقاع به وكان قد حضر فى ذلك المجلس صديق له فكتب اليه كتابا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم يا موسى) فلما فضه ووجد ذلك تعجب وجعل يطيل النظر اليه ولا يفهم معناه وكانت له جارية واقفة على راسه فقالت له يا سيدى انى افهم معنى هذا فقال وما هو قالت انه اراد قوله تعالى يا موسى ان الملاء يأتمرون بك ليقتلوك وكان قد عزم على الحضور الى المأمون فثنى العزم عن ذلك واعتذر المأمون فى عدم الحضور فكان سبب سلامته واحسن من ذلك ما ذكره ابن خلكان قال ان بعض الملوك غضب على بعض عماله فامر وزيره ان يكتب له كتابا يشخصه به وكان للوزير بالعامل عناية فكتب اليه كتابا وكتب فى آخره ان شاء الله تعالى وجعل فى صدر النون شدة فتعجب العامل كيف وقعت و

هذه الحركة من الوزير اذ من عادة الكتاب ان لا يشكلوا كتبهم ففكر فی ذلک فظهر له انه اراد ان الملاء يأتمرون بك ليقتلوك فکشط الشدة وجعل مكانها الفا وختم الكتاب واعاده فلما وقف عليه لون برسر بذلك وفهم انه اراد انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها انتهی وفی تاریخ بغداد ووفيات الاعيان ان اباحنيفة رضی الله عنه كان له جار اسكافی يعمل نهاره فاذا رجع الی منزله ليلا تعشی ثم شرب فاذا دب الشراب فيه غنی وقال

اضاعونی وای فتی اضاعوا		ليوم كريهة وسداد ثغر	

ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتی يأخذه النوم وابو حنيفة يسمع صوته كل ليلة وكان ابو حنيفة يصلی الليل كله ففقد ابو حنيفة صوته فسأل عنه فقيل اخذه العسس منذ ليال فصلی ابو حنيفة الفجر من غده ثم ركب بغلته واتی الی دار الامير فاستأذن عليه فقال ائذنوا له واقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتی يطأ البساط ففعل به ذلك فوسع له الامير من مجلسه وقال له ما حاجتك قال اشفع فی جاری فقال الامير اطلقوه وكل من اخذ فی تلك الليلة فخلوهم ايضا وذهبوا وركب ابو حنيفة بغلته وخرج والاسكافی يمشی وراءه فقال له ابو حنيفة يا فتی هل اضعناك فقال بل حفظت ورعيت فجزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ثم تاب الرجل ولم يعد الی ما كان يفعل وقال الشافعی قلت لمالك هل رايت ابا حنيفة قال نعم رايت رجلا لو كلمك فی هذه السارية ان يجعلها ذهبا لقام بحجته (فائدة) اذا عسر علی المرأة ولادتها فليكتب لها بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون (فائدة اخری للصداع) ذكر فی حياة الحيوان ان مسلمة بن عبد الملك لما حاصر عمورية حصل له صداع فلم يركب فی الحرب فقال اهل عمورية للمسلمين ما لاميركم لا يركب فقالوا اعرض له صداع فارسل لنا برنسا فقالوا البسوه له يزول عنه ما يجد فلبسه فشفی ففتشوا فيه فلم يجدوا فيه شيئا غير بطاقة مكتوب فيها هذه الآيات بسم الله الرحمن الرحيم ذلك تخفيف من

ربكم وحجر بسم الله الرحمن الرحيم يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا بسم الله الرحمن الرحيم الآن خفف
الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص بسم الله الرحمن الرحيم حمعسق بسم الله الرحمن الرحيم
واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان بسم الله الرحمن الرحيم
الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا بسم الله الرحمن الرحيم وله ما سكن في
الليل والنهار وهو السميع العليم) فقال المسلمون من اين لكم هذا هذا انما انزل على
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وجدنا هذا محفوظا في حجر في كنيستنا قبل ان
يبعث نبيكم بسبعمائة عام انتهى قال الحافظ ابن عساكر ويكتب للصداع ايضا
(بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا
الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا كهيعص حمعسق كم لله من نعمة
على عبد شاكر وغير شاكر وكم لله من نعمة في قلب خاشع وغير خاشع وكم لله من
نعمة في كل عرق ساكن وغير ساكن اذهب ايها الصداع بعز عز الله بنور وجه الله
وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين) فانه نافع
وعن ابي الدرداء قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بنا كلب فما بلغت رجله
يده حتى مات فلما فرغ صلى الله عليه وسلم قال من الداعي على هذا الكلب آنفا
فقال رجل من القوم انا يا رسول الله قال فما قلت قال قلت اللهم اني اسألك بان
لك الحمد لا اله الا انت الحنان المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام
اكفنا هذا الكلب بما شئت فقال صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله بالاسم الاعظم
اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى وهذا الحديث في السنن الاربعة ومسند
احمد وكتابي الحاكم وابن الحبان قيل وكانت صلوٰة العصر يوم الجمعة وان الرجل
الداعي سعد بن ابي وقاص انتهى من حياة الحيوان (فائدة منه ايضا) تكتب
هؤلاء الكلمات وتجعل في انبوبة وتدفن في الزرع والكرم فانه لا يؤذيه الجراد
باذن الله تعالى وهي بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

وسلم اللهم اهلك صغارهم واقتل كبارهم وافسد بيضهم وخذ بافواههم عن معايشنا وارزاقنا انك سميع الدعاء اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واستجب منا يا ارحم الراحمين وهو عجيب مجرب فائدة قال القرافي اتفق الناس على تكفير ابليس بقضيته مع آدم عليه السلام وليس مدرك الكفر فيها الامتناع من السجود والا لكان كل من امر بالسجود وامتنع منه كان كافرا وليس كذلك ولا كان كفره بكونه حسد آدم عليه السلام على منزلته من الله تعالى والا لكان كل حاسد كافرا ولا كان كفره بعصيانه وفسوقه والا لكان كل عاص وفاسق كافرا وقد اشكل ذلك جماعة من الفقهاء وينبغي انه انما كفر بنسبة الحق جل جلاله الى الجور والتصرف الذي ليس بمرضي ويظهر ذلك من فحوى قوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ومراده ان الزام العظيم الجليل بالسجود للمفضول من الجور والظلم وهذا وجه كفره لعنه الله تعالى وقد اجمع المسلمون على ان من نسب الله تعالى لذلك فهو كافر انتهى من حياة الحيوان ومنه قول الشاعر

خليلي ان قالت بثينة ما له	اتانا بلا وعد فقولا لها لها
اتى وهو مشغول بعظم الذي به	ومن بات طول الليل يرعى السها سها
بثينة تزري بالغزالة في الضحى	اذا برزت لم يبق يوما بها بها
لها مقلة كحلاء وخد مورد	كان اباها الظبي او امها مها
دهتني بود قاتل وهو متلفي	وكم قتلت بالمزج من ودها دها

هي من مزج النغف بنون وغين معجمتين مفتوحتين ثم فاء دود يكون في انف الابل والغنم الواحدة نغفة انتهى عن الاصمعي وقال ابو عبيدة هو الدود الابيض يكون في النوى وما سوى ذلك الدود ليس بنغف وروى مسلم عن النواس بن سمعان في حديثه الذي رواه في الدجال ويبعث الله ياجوج وماجوج فيرسل عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ومعنى قوله

فرهى قتلى وقيل للواحدة فريس من فرس الذئب الشاة وافترسها

(حكاية الهامة)

روى ابو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود قال كنت عند كعب الاحبار وهو عند عمر ابن الخطاب فقال كعب الاحبار يا امير المؤمنين الا اخبرك باغرب شئ قرأته فى كتب الانبياء ان هامة جاءت الى سليمان بن داؤد عليهما السلام فقالت السلام عليك يا نبى الله فقال وعليك السلام يا هامة اخبرينى كيف لا تأكلين من الزرع قالت يا نبى الله ان آدم اخرج من الجنة بسببه قال فكيف لا تشربين الماء قالت لانه غرق فيه قوم نوح فمن اجل ذلك لا اشربه فقال لها كيف تركت العمران وسكنت الخراب قالت لان الخراب ميراث الله تعالى فانا اسكن ميراث الله قال الله تعالى وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين فالدنيا ميراث الله كلها قال سليمان فما تقولين اذا جلست فوق خربة قالت اقول اين الذين كانوا يتنعمون فيها قال سليمان فما صياحك فى الدور اذا مررت عليها قالت اقول ويل لبنى آدم كيف ينامون وامامهم الشدائد قال سليمان عليه السلام فما لك لا تخرجين بالنهار قالت من كثرة ظلم بنى آدم لانفسهم قال فاخبرينى ما تقولين فى صياحك قالت اقول تزودوا يا غافلين وتهيؤا لسفركم سبحان خالق النور فقال سليمان ليس فى الطيور طير انصح لابن آدم ولا اشفق عليه من الهامة وما فى قلوب الجهال ابغض منها والهامة بتخفيف الميم على المشهور طير الماء انتهى من حياة الحيوان وفى كتاب فردوس الحكم قال آية من كتاب الله تعالى من قرأها يأمن من الهوام انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم فائدة اليحمور حمار الوحش وفى كتاب العرائس لابى الفرج بن الجوزى ان بعض طلبة العلم خرج من بلاده فرافقه شخص فى الطريق فلما كان قريبا من المدينة التى قصدها قال له ذلك الشخص قد صار لى عليك حق وذمة وانا رجل من الجان ولى اليك حاجة قال وما هى

قال اذا اتيت مكان كذا وكذا فانك تجد فيه دجاجات بينهن ديك ابيض فاسأل
عن صاحبه واشتره منه واذبحه فهذه حاجتي اليك قال فقلت له يا اخي وانا ايضا
اسألك حاجة قال وما هي قلت اذا كان للانسان مارد لا تعمل فيه العزائم وألح
بالآدمي مناماً داوده قال يؤخذ له وتر قدر شبر من جلد اليحمور ويشد به ابهاما
المصاب من يديه شداً وثيقاً ثم يؤخذ له من دهن السداب البري ويقطر في انفه
الايمن اربعاً وفي الايسر ثلاثاً فان الماسك به يموت ولا يعود الى احد بعده قال فلما
دخلت المدينة اتيت الى ذلك المكان فوجدت الديك لعجوز فسألتها بيعه فابت
فاشتريته منها باضعاف ثمنه فلما اشتريته وملكته تمثل لي من بعيد وقال لي بالاشارة
اذبحه فذبحته فخرج علي عند ذلك رجال ونساء فجعلوا يضربونني ويقولون يا
ساحر فقلت لست بساحر فقالوا انك منذ ذبحت الديك اصيبت شابة عندنا
بجني وانه منذ مسكها لم يفارقها فطلبت منهم وتراً قدره شبر من جلد يحمور وشيئا
من دهن السداب البري فأتوا بهما فشددت ابهامي يدي الشابة شداً وثيقاً فلما
فعلت بها ذلك صاح وقال انا علمتك على نفسي ثم قطرت من الدهن في انفها الايمن
اربعاً وفي الايسر ثلاثاً فخر من وقته ميتاً وشفى الله تلك الشابة ولم يعاودها بعده
شيطان (فائدة) دم اليربوع يؤخذ ويطلى به الشعر الذي ينبت في الجفن بعد ان
ينتف يذهب باذن الله تعالى (فائدة) عين الهدهد اذا علقت صاحب النسيان
ذكر ما نسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب على خصمه وقضيت حوائجه وظفره
بريد ولحمه اذا اكل مطبوخاً نفع من القولنج ودمه اذا قطر في البياض العارض في العين
اذهبه وان بخر بمخه برج حمام لم يقربه شئ يؤذيه والله اعلم وحكى القاضي شهاب
الدين بن فضل الله في كتابه مسالك الانصار في ممالك الامصار في ترجمة
الحاكم بامر الله ابي علي منصور قال فبينما هو في موكبه قبلي بركة الحبش اذ مر برجل
على بستان له وحوله عبيده فاستسقاه ماء فسقاه ثم قال يا امير المؤمنين قد
اطمعتني في السؤال فان رأى امير المؤمنين ان يكرمني بنزوله لاحظى بتمام السعد

فاجابه لذلك فنزل بجيشه فاخرج الرجل مائة بساط ومائة نطع وسادة ومائة طبق فاكهة ومائة جام حلوى ومائة زبدية سكرية فبهت الحاكم وقال ايها الرجل خبرك عجيب هل علمت بنا فاعددت هذا قال لا والله يا امير المؤمنين وانما انا تاجر من رعيتك لى مائة محضية فلما اكرمتني بالنزول عندى اخذت من كل واحدة شيئا من فرشها وزائد اكلها وشربها فان لكل واحدة فى كل يوم طبق طعام وطبق فاكهة وجام حلوى وزبدية شراب فسجد امير المؤمنين شكرا لله تعالى وقال الحمد لله الذى جعل فى رعايانا من يسع حاله هذا ثم امر بما فى بيت المال من الدراهم المضروبة فى تلك السنة فكانت ثلاثة آلاف الف وسبعمائة الف ولم يركب حتى احضرها واعطاها للرجل وقال له استعن بهذا على حالك ومروتك ثم ركب وانصرف وحكى اسحاق بن ابراهيم الموصلى قال دعانى يحيى بن خالد فدخلت عليه فوجدت الفضل وجعفرا ولديه جالسين بين يديه فقال لى يا ابا اسحاق اصبحت اليوم مهموما فاردت الصبوح لا تسلى فغننى صوتا لعلى ارتاح له فغنيته

اذا نزلوا بطحاء مكة اشرقت	بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما خلقت الا لجود اكفهم	وما خلقوا الا لاعواد منبر

فسر وارتاح وامر لى بمائة الف وامر لى كل واحد من ولديه بمائة الف فحمل المال جميعه بين يديه فاخذته وانصرفت وحكى عن مخارق قال اصبحت السماء مغيمة واصبح الرشيد مع حرمه فامرنا بالانصراف واذن لنا ان نقيم فى منازلنا ثلاثة ايام فمضى الجلساء اجمعون الى منازلهم فقلت والله لاذهبن الى استاذى ابراهيم الموصلى فاعرف خبره ثم اعود وامرت من عندى ان يهيؤا لى مجلسا الى وقت رجوعى فجئت الى دار ابراهيم وقلت للبواب اخبر استاذك فاخبره فقال لى ادخل فدخلت فاذا هو جالس فى رواق وبين يديه قدر تغرغر واباريق تزهر وستارة منصوبة والجوارى خلفها فقلت ما بال الستارة لا اسمع من ورائها صوتا فقال اقعد

ويحك انى اصبحت على ما ترى فاتانى خبر ضيعة بجوارى وقد كنت طلبتها زمانا وتمنيتها فلم املكها وقد اعطى فيها الآن مائة الف فقلت وما يمنعك منها وقد اعطاك اضعاف هذا المال قال صدقت ولكن نفسى غير طيبة باخراج هذا المال وقال خذ هذا القضيب ونقر بقضيب فى يده على مدورة والقى عليه

نام الخليون من وهم ومن سقم	وبت من كثرة الاحزان لم انم
ياطالب الجود والمعروف مجتهدا	اعمد ليحيى حليف الجود والكرم

قال فاخذته واحكمته ثم قال امض الساعة الى باب الوزير يحيى بن خالد وادخل عليه وحدثه بما رايت واذكر الضيعة وعرفه انى صنعت له هذا الصوت فاعجبنى ولم اجد من يستحقه الا جاريته دنانير وانى القيته عليك لتلقيه عليها وائتنى بما يكون من الخبر قال فجئت الى الباب واستأذنت واعلمته فامر بنصب الستارة والقيت الصوت على الجارية مرارا حتى احكمته فقال لى تقيم عندنا او تنصرف قلت انصرف اطال الله بقاء مولانا الوزير فقال يا غلام احمل معه عشرة آلاف واحمل الى ابراهيم مائة الف فحملت مالى واتيت الى منزلى فنثرت على من عندى من الجوارى دراهم من تلك البدرة اكلت وشربت بقية يومى فلما اصبحت قلت والله لاذهبن الى استاذى واعرف خبره واتيت ودخلت فوجدته على مثل ما كان بالامس فقلت له ما الخبر الم يأتك المال قال نعم غير انه لما دخل منزلى بخلت نفسى باخراجه والقى على صوتا آخر اتيت به الفضل بن يحيى وحدثته بما كان من ابيه بالامس فامر ان يحمل معى عشرون الفا ولابراهيم مائتا الف وفعلت مثل ما فعلت بالامس وغدوت اليه لما اصبحت فوجدته على مثل حاله بمثل عذره والقى على صوتا غيره اتيت به جعفر بن يحيى واخبرته بما كان من ابيه واخيه فامر ان يحمل معى ثلاثون الفا والى ابراهيم ثلثمائة الف فحملت معى اليه فبكى ابراهيم وقال وصلت الى ستمائة الف وانا جالس فى مجلسى لم ابرح منه فعلى مثل هؤلاء يبكى فرحم الله ادواحهم اجمعين وقال اسحاق غدوت يوما وانا منحصر من ملازمة امير المؤمنين

فعرضت نفسي على ان الطوف في الصحراء والفرج وقلت لغلماني اذا جاء رسول الخليفة او غيره فلا تعرفوه مكاني فطفت وعدت وقد حمي النهار فوقفت في فناء استريح فلم البث ان جاء خادم يقود حمارا فارها وعليه جارية راكبة عليها افاخر الثياب ورايت لها قواما حسنا وظرفا فائقا فحدثتني نفسي انها مغنية ثم دخلت الدار التي انا واقف عليها ثم لم البث ان جاء شابان جميلان واستأذنا فاذن لهما فدخلا ودخلت معهما فظنا ان صاحب الدار دعاني وظن صاحب البيت انني معهما وجلسنا فاتي بالطعام فاكلنا وبالشراب فوضع ودخلت الجارية وفي يدها عود فغنت وشربنا فسالهما صاحب المنزل عني فاخبراه انهما لا يعرفاني فقالوا هذا طفيلي لكنه ظريف فاجملوا عشرتي فشربنا ودار الكاس فغنت

(الجارية تقول)

ذكرتك اذ مرت بنا ام شادن	امام المطايا وهي بالشرب تسمح
من المولعات الرمل قد ابد تحرها	شعاع الضحى من وجهها يتوضح

فادته اذ احسنا ثم غنت اصواتا من القديم والحديث تقول

قل لمن صد عاتبا	ونأى عني جانبا
قد بلغت الذي اردـ	ـت وان كنت لاعبا

فاستعدته منها لاصحح عليها فاقبل علي احد الرجلين يشتمني ويقول ما راينا طفيليا اصفق وجها منك لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت وهذا غاية المثل طفيلي ويقترح فاطرقت وجعل صاحبه يكفه وهو لا يلتفت ثم قاموا الى الصلاة وتأخرت بعدهم قليلا واخذت عود الجارية وشددت طبقته واصلحته اصلاحا محكما وعدت الى موضعي وعادوا واخذ ذلك الرجل في عربدته علي وانا صامت واخذت الجارية العود وجسته فانكرت حاله وقالت من جس عودي قالوا ما جسه احد قالت بلى والله لقد جسه حاذق متقدم وشد طبقته واصلحه اصلاح متمكن من الصناعة قلت لها انا فقالت بالله خذه واضرب فاخذته وضربت

ضربا عجيبا فيه نقرات محركة فما بقي منهم احد الا وثب وجلس بين يدي وقال صاحب المجلس اقسم بالله ان لك في هذه الصناعة اصواتا غريبة فبالله عليك الا عرفت بنفسك فقلت انا اسحاق الموصلي ووالله اني لاتيه على الخليفة اذا طلبت وانتم تروز صاحبكم هذا يسمعني ما اكره لكوني تادبت معكم وحللت عندكم ووالله لا نطقت بحرف ولا جلست حتى تخرجوا هذا المقوت فقال لصاحبه من مثل هذا خفت عليك واخذوا بيده وسحبوه واخرجوه وعادوا فبادرت وغنيت الاصوات التي غنتها الجارية من صنعتي فقال لي الرجل لك في خصلة قلت ماهي تقيم عندنا اسبوعا والمكافاة الجارية والجهاز لك قلت نعم افعل واقمت عنده اسبوعا لا يعرف احد اين انا والمامون يطلبني في كل حين وكل موضع ولم يقع احد على خبري فلما انقضت الايام تسلمت الجارية والجهاز والخادم وجئت بذلك الى منزلي وركبت من وقتي الى المامون فلما رآني قال يا ابا اسحاق ويحك اين كنت فاخبرته الخبر فقال علي بالرجل الساعة ندللتهم على موضعه فاحضره وساله المامون فاخبره القصة فقال انت ذو مروءة وسبيلك ان تعان عليها وامر له بمائة الف وقال له لا تعاشر ذلك النذل المعربد انتهى ومن كلام الاحوص في حضرة يزيد غنته جارية بين يديه

اذا رمت عنها سلوة قال شافع	من الحب ميعاد السلو المقابر
ستبقى لها في مضمر القلب والحشا	سريرة ود يوم تبلى السرائر

فطرب يزيد وقال لمن الشعر قالت لا ادري قال ابعثوا الى الزهري وكان قد ذهب من الليل شطره فأتي به فلما صعد اليه قال لا بأس عليك لم ندعوك الا لخير فجلس وساله عن قائل هذا الشعر فقال للاحوص قال ما فعل به قال قد طال حبسه فامر بتخلية سبيله وان يدفع له اربعمائة دينار ثم قدم عليه بعد ذلك فاجازه واحسن اليه احسانا جزيلا وكانت المغنية جارية يزيد بن عبد الملك انتهى وحكى مسرور الخادم ان الرشيد قصد الركوب في غير عادته فقلت له اين تريد يا امير المؤمنين في هذا الوقت قال الى منزل ابراهيم الموصلي قال فمضى حتى انتهى الى منزل ابراهيم

الموصلی فخرج وتلقاه وقبل حافر حماره وقال یا امیر المؤمنین فی مثل هذه الساعة
تظهر قال نعم شوق طرق بی الیلت ثم نزل وجلس فی طرف الایوان واجلس
ابراهیم فقال له ابراهیم یا سیدی استنبط شیئا تاکله قبل الشراب قال نعم فجاء بمطعوم
کانما کان معدّا له فاصاب منه یسیرا ثم عاد بشراب حمل معه فقال له الموصلی یا
سیدی اغنیك ام تغنیك اماؤك قال بل الجواری فخرجت جواری ابراهیم فاخذن
صدر الایوان وجانبیه فقال ابراهیم ایضربن کلهن ام واحدة واحدة فقال بل
یضربن اثنتان اثنتان وواحدة تغنی قال فضربت اثنتان و

غنت واحدة منهن فقالت

اذا دعا باسمها داع یحدثنی	کادت لها مهجتی من حرها تقع
لو ان لی صبرها او عندها جزعی	لکنت اعقل ما آتی وما ادع
لا احمل اللوم فیها والغرام بها	ما کلف الله نفسا غیر ما تسع

ثم غنت اخری فقالت

طرقتك زائرة فحیی خیالها	بیضاء تخلط بالجمال دلالها
هل یطمسون من السماء نجومها	باکفهم او یطمسون هلالها
شهدت من الانفال آخر آیة	فاردتم وبجالکم ابطالها

ثم غنت اخری فقالت

شطت سعاد واضحی البین قد ابدی	واورثتك سقاما تصدع الکبدا
فما احتیالك اذ جد الرحیل بهم	وخلفوك غداة البین منفردا
لا استطیع لهم صبرا ولا جلدا	ولا تزال احادیثی بهم جددا

قال فقام حتی وصل صدر الایوان واخذ بجانبیه والرشید یسمع ولا ینصب
لشیء من غنائهن الی ان غنت صبیة من صدر الایوان من حاشیة الصفة

هذین البیتین لابی نواس

یا موئم الوزن فی داعیت قواحم	اقبس بما شئت من قلبی بمقباس

ما اقبح الناس فی عینی واسمجهم	اذا نظرت فلم انظرك فی الناس

فطرب الرشید لغنائها واستعاد الصوت مرارا وشرب ارطالا وسأل الجاریة عن صانعه فاسکتت فاستدناها فتقاعست فامر بها فاقبلت بین یدیه فاخبرته بشیء اسرته الیه فدعا بحماره فرکبه ثم التفت الی ابراهیم الموصلی فقال له ما ضرك ان تکون خلیفة فکادت روحه تخرج حتی دعا بعد ذلك وادناه قال وکان الذی اخبرته به سران الصنعة فی الصوت لاخته علیه بنت المهدی وکانت الجاریة لها فوجهتها الی ابراهیم الموصلی یطارحها ومن قول

(ابی نواس)

دع عنك لومی فان اللوم اغراء	وداونی بالتی کانت هی الداء
صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها	لو مسها حجر مسته سراء
من کف ذات حرفی ذی ذکر	لها محبان لوّاط وزناء
قامت بابریقها واللیل معتکر	فلاح من وجهها فی البیت لالاء
فارسلت من فم الابریق صافیة	کانما اخذها للعقل اخفاء
رقت علی الماء حتی لا یلائمها	لطافة وخفی من شکلها الماء
فلو مزجت بها نورا لمازجها	حتی تولد انوار واضواء
دارت علی فتیة ذل الزمان لهم	فما یصیبهم الا بما شاؤا
فقل لمن یدعی فی العلم توسعة	حفظت شیئا وغابت عنك اشیاء

(وقال الشاعر)

کعصفورة فی کف طفل یهینها	تذوق مرار الموت والطفل یلعب
فلا الطفل ذو عقل یرق لحالها	ولا الطیر مطلوق الجناحین یهرب

وروی البیهقی فی الشعب عن مالك بن دینار قال مثل قراء هذا الزمان مثل رجل نصب فخا فجاء عصفور فدنا الی الفخ وقال مالك متغیبا فی التراب فقال للتواضع قال لم حنیت قال من طول العبادة قال فما هذه الحبة

التى فى نبلت قال اعددتها للصائمين فلما امسى تناول الفيح فى عنقه فقال العصفور ان كان العباد يخنقون خنقتك فلا خير فى هذه العبادة اليوم انتهى قال الشافعى رضى الله عنه اربعة اشياء تزيد فى الجماع اكل العصافير واكل الاطريفل واكل الفستق واكل الجرجير واربعة اشياء تزيد فى العقل ترك الفضول من الكلام والسواك و مجالسة الصالحين والعمل بالعلم واربعة تقوى البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان واربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم و كثرة شرب الماء على الريق وكثرة اكل الحموضة انتهى من حرف العين ودخل ابن الخياط المكى على المهدى ومدحه فامر له بخمسين الف درهم فسأله ان يأذن له فى تقبيل يده فاذن له فقبلها وخرج فما انتهى الى الباب حتى فرقها جميعا فعوتب فى ذلك

وانشد يقول

لمست بكفى كفه ابتغى الغنى	ولم ادر ان الجود من كفه يعدى
فلا انا منه ما افاد ذو الغنى	افدت واعدانى فاتلف ما عندى

فبلغ بها المهدى فامر له بخمسين الف دينار انتهى

اقول لمقلتيه حين نامت	وسحر النوم فى الاجفان سارى
تبارك من توفاكم بليل	ويعلم ما جرحتم بالنهار

الامام احمد بن حنبل ومناقبه رضى الله عنه

مات سنة مائتين واحدى واربعين وحرر من حضر فى جنازته فكانوا ثمانمائة الف ومن النساء ستين الفا واسلم يوم موته رضى الله عنه عشرون الفا من اليهود والنصارى والمجوس انتهى وقال الامام النووى فى تهذيب الاسماء واللغات ان المتوكل امران يقاس الموضع الذى وقف الناس فيه للصلاة على الامام احمد فبلغ مقام الفى الف وخمسمائة وقد حزن عليه رضى الله تعالى عنه المسلمون و اليهود والنصارى والمجوس وقال محمد بن خزيمة لما بلغنى موت الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه اغتممت غما شديدا فرايته فى المنام وهو يتبختر فى مشيته فقلت يا

اباعبد الله ما هذه المشية فقال مشية الخدام فی دار السلام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لی وتوجنی والبسنی نعلین من ذهب وقال یا احمد هذا بقولك القرآن کلامی غیر مخلوق ثم قال الله تعالی یا احمد ادعنی بتلك الدعوات التی بلغتك عن سفیان التی کنت تدعو بهن فی دار الدنیا فقلت یا رب اسألك بقدرتك علی کل شئ ان تسألنی عن شئ واغفر لی کل شئ فقال جل وعلا یا احمد هذه الجنة فادخل فیها وانشد بعضهم فی تاریخ موت الائمة الاربعة ومولدهم الامام ابی حنیفة والامام مالك والامام الشافعی والامام احمد بن حنبل رضی الله عنهم اجمعین

تاریخ نعمان یکن سیف سطا	ومالك فی قطع جوف ضبطا
والشافعی صین ببرند	واحمد بسبق امر جعد
فخذ علی ترتیب نظم الشعر	میلادهم فموتهم فالعمر

وکذا فی تاریخ الائمة الخمسة المحدثین الامام الترمذی وابوداود والامام المسلم والنسائی والامام البخاری وقد جمع ذلك بعضهم فی بیت واحد فقال

اذا رمت المحدثین فلتحبس	تکن مثل المشافة فی الحیاة
تخط درعه مارص نسج	بنور المحدث للوفاة

بیان ذلك التاء اشارة للترمذی والدال اشارة لابی داود والمیم اشارة للامام مسلم والنون للنسائی والبا للبخاری والله اعلم ویحکی انه اتی برجل مدنی سکران الی بعض الولاة فامر باقامة الحد علیه وکان الرجل طویلا والجلاد قصیرا فلم یتمکن من ضربه فقال الجلاد للمدنی تقاصر لیینالك الضرب فقال ویلك الی اکل الفالوذج تدعونی والله لوددت انی اکون اطول من عوج بن عنق وانت اقصر من یاجوج وماجوج لیستظرفه الامیر وخلی سبیله

(انتهی من خطبة الکمیت ومن قول ابن المعتز)

وجاءنی فی قمیص اللیل مستترا	یستعجل الخطو من خوف ومن حذر
ولاح ضوء صباح کاد یفضحنا	مثل القلامة قد قدت من الظفر

وكان ماكان مما لست اذكره ‏ فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

ولبعضهم عفا الله عنه

جرى دمعي من الحال الذي بي ‏ كجري الماء في اول ابيب
ومع هذا فلا اقطع رجاء بي ‏ لان الله الطف من ابي بي

ومن كلام الشافعي رضي الله عنه

لم يبق طعم الفقر من هو في غنى ‏ ومصحح الاعضاء ليس كمبتلى
كم فاقة مستورة بمروءة ‏ وضرورة قد غطيت بتجمل
وتبسم من تحته قلب شجي ‏ قد صار منه غمة لا تنجلي
والناس جمعا عند كل كفؤه ‏ والهم مفترق وما احد خلي
لو سود الهم الملابس لم تجد ‏ بيض الثياب على امرئ في محفل
واذا اراد المرء يجلو همه ‏ عن نفسه من نفسه لا ينجلي

ومن كلام العارف بالله تعالى الشيخ عبد الرحيم البرعي رحمه الله في ارض اليمن

رياض نجد بكم جنان ‏ قضيبة نورها حسان
وترب واديكمو بنجد ‏ مسك وحصباؤها جمان
والروض من شعبكم عبير ‏ والزهر ورد وزعفران
والجار في ربعكم عزيز ‏ والحر في ارضكم يصان
فكم سفكتم دمي ودمعي ‏ اما على القاتل الضمان
وكم اخفي الهوى ودمعي ‏ من شدة الوجد ترجمان
يا لائمون اقصروا ملامي ‏ رفقا بمن قلبه ملان
لا تذكروا الظاعنين عندي ‏ فلي وللظاعنين شان
قالوا هواهم عليك حتم ‏ فقلت عهد الهوى يصان
قالوا فكم تكتم التصابي ‏ قلت المعنى بهم معان

قالوا افتقد فارقوا ربعا … قلت هم الناس حيث كانوا

قالوا اذعهم فقلت كلا … لعل دهرا قضى بلان

ليت الصبا الحاجري ينبي … عن جيرة البان يوم بانوا

هل عهدهم عهدهم بنجد … باق ام استوطنوا فخانوا

يا محسنا بالزمان ظنا … هل تدر ما يفعل الزمان

لا تتبع النفس في هواها … ان اتباع الهوى هوان

واخجلتي من عتاب ربي … ان قيل اسرفت يا فلان

الى متى انت في الملاهي … تصبر مرخى لك العنان

لو خوفتك الجحيم بطشي … وشوقتك قلبك الجنان

عندي لك الصفح وهو بري … وعندك السيف والسنان

ما تستحي كاتبا كريما … يحصي به الفعل واللسان

وتستحي شيبة تراها … في النار مسجونة تهان

انت شجاع على المعاصي … وانت عن طاعتي جبان

لم ينهك الشيب عن حدودي … ولا رسولي ولا القران

ترضى بان تنقضي الليالي … وما انقضى حربك العوان

اي اوان تتوب فيه … هل بعد قطع الرجا اوان

اثر غيري على لكن … كما يدين الفتى يدان

يا سيدي هذه عيوبي … وانت في الخطب مستعان

يا من له في العصاة شان … البر والعطف والحنان

يا من ملا بره النواحي … لم يخل من بره مكان

عفوا فاني رهين ذنب … حاشاك ان يغلق الرهان

فاغفر لعبد الرحيم والطف … بخائف ما له امان

وسامح الكل من ذنوب … عذابها يشهد البنان

	وصلِ یا ذا العلا وسلم	علی من اخلاقہ حسان

وهذه قصيدة الامام الولی العارف بالله تعالی ابی محمد بن ابی عمران البشکری نفعنا الله به قال العلامة برهان الدين بن فرحون احد اصحاب ناظمها ان بعض الصالحين رأى النبی صلی الله عليه وسلم فی المنام قال البدر واشك هل كان هو الشيخ او غيره وانشد هذه القصيدة فلما بلغ آخرها قال النبی صلی الله عليه وسلم رضيناها

(رضيناها وهی هذه)

دار الحبيب احق من تهواها	وتحن من طرب الی ذكراها
وعلی الجفون اذا همهت بزورة	یا ابن الكرام عليك ان تغشاها
فلانت انت اذا حللت بطيبة	وظللت ترتع فی ظلال رباها
مغنی الجمال من الخواطر والسنی	سلبت قلوب العاشقين حلاها
لا تحسب المسك الذكی كتربها	هيهات اين المسك من رياها
طابت فان تبغی لطيب یا فتی	فادم علی الساعات لثم ثراها
وابشر ففی الخبر الصحيح تقررا	ان الاله بطيبة سماها
واختصها بالطيبين لطيبها	واختارها ودعا الی سكناها
لا كالمدينة منزل وكفی بها	شرفا حلول محمد بفناها
خصت بهجرة خير من وطی الثری	واجلهم قدرا واعظمهم جاها
كل البلاد اذا ذكرن كاسن كاحرف	فی اسم المدينة لا خلا معناها
حاشا مسمی القدس فهی قريبة	منهی ومكة انها اياها
لا فرق الا ان ثم لطيفة	مهما بدت يجلو الظلام سناها
جزم الجميع بان خير الارض ما	قد حاز ذات المصطفی وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت	كالنفس حين زكت زكا ماواها
وبهذه ظهرت مزية طيبة	فغدت وكل الفضل فی معناها
حتی لقد خصت بهجرة حبه	الله شرفها به وحباها

ما بين قبر للنبي ومنبر حيا الاله رسوله وسقاها

هذي محاسنها فهل من عاشق كلف شجي ناحل بنواها

اني لارهب من توقع بينها فيظل قلبي موجعا اواها

ولقلما ابصرت حال مودع الا رثت نفسي له وشجاها

فلكم اراكم قائلين جماعة في اثر اخرى طالبين سواها

قسما لقد كسي فؤادي بينكم جزعا وفجر مقلتي مياها

ان كان يزعجكم طلاب فضيلة فالخير اجمعه لدى مثواها

او خفتم ضراءها فتأملوا بركات بلغتها فما ازكاها

اف لمن يبغي الكثير لشهوة ورفاهة لم يدر ما عقباها

فالعيش ما يكفي وليس هو الذي يطغي النفوس الى خسيس مناها

يا رب اسأل منك فضل قناعة بيسيرها وتحصنا بحماها

ورضاك عني دائما ولزومها حتى توافي مهجتي اخراها

فانا الذي اعطيت نفسي سؤلها فقبلت دعواها فيا بشراها

بجوار اوفى العالمين بذمة واعز من بالقرب منه يباها

من جاء بالآيات والنور الذي داوى القلوب من العمى فشفاها

اولى الانام بخطة الشرف التي تدعى الوسيلة خير من يعطاها

انسان عين الكون سر وجوده يس اكسير المحامد طاها

حسبي فلست اني ببعض صفاته لو ان لي عدد الورى افواها

كثرت محاسنه فاعجز حصرها فغدت وما تلقى لها اشباها

اني اهتديت من الكتاب بآية فعلمت ان علاه ليس يضاها

ورايت فضل العالمين محددا وفضائل المختار لا تتناها

كيف السبيل الى تقصي مدح من قال الاله وحسبك جاها

ان الذين يبايعونك انما هم من يقال يبايعون الله

هذا الفخار فهل سمعت بمثله — واها لشأنها الكريمة واها
صلوا عليه وسلموا فبذا لكم — تهدى النفوس لرشدها وغناها
صلى عليه الله غير مقيد — وعليه من كاتبه انماها
وعلى الاكابر آله سرج الهدى — اكرم بعترته ومن والاها
وكذا السلام عليه ثم عليهم — وعلى صحابته التقى زكاها
اعنى الكرام اولى النهى اصحابه — فئة التقى ومن اهتدى بهداها
والحمد لله الكريم وهذه — انجزت وظنى انه يرضاها

(وهذا آخرها والحمد لله وحده ولبعضهم شعرا)

لله فى ملكه خاتم — تجرى مقادير على نقشه
لا تنبش الشر تبلى به — واحذر على نفسك من نبشه
مصارع الدهر لها سطوة — تنزل السلطان عن عرشه
اذا طغى الكبش بلحم الكلا — ادرج رأس الكبش فى كرشه
اذا بغى المرء على جنسه — لا بد ان ينكب فى فرشه

قوله صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك ذكر العلامة الشمس العلقمى فى حاشيته
على الجامع الصغير عن جابر قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ان ابى اخذ مالى فقال النبى صلى الله عليه وسلم للرجل اذهب فأتنى بابيك فنزل
جبرئيل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك
اذا جاء الشيخ فاسأله عن شئ قاله فى نفسه ما سمعته اذناه فلما جاء الشيخ قال له النبى
صلى الله عليه وسلم ما بال ابنك يشكوك اتريد ان تأخذ ماله فقال يا رسول الله
هل انفقه الا على احدى عماته او خالاته او على نفسى فقال عليه الصلوة والسلام
ايها الشيخ دعنا من هذا اخبرنى عن شئ قلته فى نفسك ما سمعته اذناك فقال
الشيخ والله يا رسول الله ما يزال الله عز وجل يزيدنا بك يقينا لقد قلت فى نفسى
شيئا ما سمعته اذناى فقال له قل فانا اسمع فقال

غذيتك مولودا وعلتك يافعا ... اعل بما يجني عليك وانهل
اذا ليلة ضافتك بالسقم لم ابت ... لسقمك الا ساهرا اتململ
كاني انا المطروق دونك بالذي ... طرقت به دوني وعيناي تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وانها ... لتعلم ان الموت شيء مسجل
فلما بلغت السن والغاية التي ... لها مدة قد كنت فيك اؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة ... كانك انت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق ابوتي ... جعلتك كالجار المجاور يفعل

قال فحينئذ اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بجلباب ابنه وقال له انت ومالك لابيك انتهى وحكى الاصمعي قال خرجت في طلب الاعاجيب من الاحاديث فلاحت لي بلدة بيضاء كانها الحمامة فدخلتها فاذا هي خراب وليس بها ديار ولا انيس فبينما انا ادور في نواحيها اذ سمعت كلاما فطار قلبي فانصت فاذا به كلام موحش فسللت سيفي ودخلت ذلك المكان فاذا انا برجل جالس وبين يديه صنم وفي يده قضيب وهو يبكي وينكث به الارض ويقول

اما وصليب الله لو كنت عاشقا ... لمت كما ماتت وما ضمني لحدي
وكنا تسلى بالحديث وبالمنى ... وبالعبرات السابلات على خدي
واني وان لم ياتني الموت سرعة ... لامسي على جهد واضحي على جهد

قال فلما سمعت ذلك منه هجمت عليه فلم يشعر بي الا ان قلت له السلام عليك فرفع راسه وقال وعليك السلام من اين انت ومن جاء بك الى هذا المكان فقلت الله جاء بي قال صدقت وهو الذي اغربني في هذا المكان فقلت له ما بالك تشير الى هذا الصنم الذي بين يديك فقال لي ان حديثي عجيب وامري غريب فقلت له حدثني به ولا تخف منه شيئا فقال لي اعلم انا كنا قوما من بني تميم وكنا على دين المسيح وكان دعاؤنا مستجابا وكانت هذه الصنم ابنة عمي وكنت انا واياها فلما كبرت حجبها عمي عني فكنت احبها سرا فبينما انا ذات ليلة وانا عندها اذ سمعت عمي يدق الباب

فادخلتني سردابا وقامت هي ففتحت الباب ودخل عمي فقال لها ابن عبد المسيح فقالت اني لم اره فقال لها اني سمعت كلامه عندك فقالت لم تسمع شيئا وانما خيل لك فقال لها والله ان لم تصدقيني والا دعوت عليك ان كنت كاذبة فيمسخك الله حجرا فقالت لماذا كنت كاذبة فرفع طرفه الى السماء وقال اللهم يارب الاولين والآخرين ان كنت تعلم ان ابنتي هذه كاذبة في قولها فامسخها حجرا فمسخها الله حجرا ولي اربعون سنة في هذا المكان وانا انقوت من نبات الارض واشرب من هذه الانهار واتسلى بالنظر الى هذه الصنمة الى ان يحكم الله بالموت ثم بكى وانشد يقول

وحق الذي ابكى واضحك والذي	امات واحيى والذي خلق الخلقا
لئن قلت ان الحب قد يقتل الفتى	وان الفتى بعد التفرق لا يبقى
لقد قلت حقا وا سال العبرة التي	تسيل وسيل الدمع مني لا يرقى

قال الاصمعي ثم قام ذلك الشاب وتوارى عني بجدار من تلك الجدر ونزع المسح الذي كان عليه ولم يبق عليه الا ما يواري سواته فتاملته فاذا عيناه تدور في ام رأسه فقلت في نفسي هذا اراد ان يطلعني على نحول جسده ثم اقبل علي وهو عريان وقال لي يا فتى اني قائل ثلاثة ابيات وكائن مني ما كان فاذا انا مت فكفني انا واياها في هذه الجبة وادفنا في هذا الجون وضمنا بالتراب واكتب على قبرنا هذه الابيات

من لم يكن يحسب ان الهوى	قاتل فلينظر الى مضجعي
لم يبق لي حيل ولا قوة	الا خيال الشمس في موضعي
اشكو الى الرحمن جهد البلا	اشارة بالطرف والاصبع

قال الاصمعي هذا وانا انظر اليه واسمع شعره واتعجب منه ومن امر الصنمة واذا به وقع على الارض مستلقيا على قفاه وشهق شهقة فارقت روحه جسده قال الاصمعي فكفنتهما ودفنتهما في ذلك الجون وكتبت على قبرهما تلك الابيات وتركتهما وانصرفت وانا متعجب غاية العجب انتهى ولما عزم احمد بن طيلون على بناء الجامع المعروف به في

مصر القاهرة انفق عليه مائة الف دينار ورتب فيه للعلماء والفقراء وارباب الشعائر والبيوت في كل شهر عشرة الآف دينار وللصدقة في كل يوم مائة دينار وكان مشتملا على خصال حميدة منها ان فقيرا كان بجواره وله امرأة وبنت وكانا يغزلان الصوف للسوق لتجهيز البنت وان البنت لم تفارق البيت وما نظرت الى السوق قط ولا خرجت فسألت امها واباها ان تخرج معهما الى السوق فتواعدا بذلك فلما قصدا بيع الغزل خرجت معهما الى السوق فمروا بباب الامير المسمى بالفيل وتمادا الاب والام وتركاها ولم يشعرا بوقوفها فبقيت البنت حائرة لا تدري اين تذهب وكانت ذات جمال عظيم فخرج الامير المسمى بالفيل فلما رآها افتتن بها فمسكها ودخل بها ثم امر الجواري ان يغسلوها وينظفوها ويلبسوها احسن الملبوس ويطيبوها بانواع الطيب ويجلوها له ففعلن ذلك فدخل عليها وازال بكارتها هذا وابواها قد حزنا عليها ولم يزالا يطوفان عليها جميع الاماكن فلم يقعا لها على خبر فلم يزالا يبكيان عليها فلما جن الليل واذا بشخص يطرق الباب فخرج ابوها وفتح الباب فقال الرجل لابيها ان الامير المسمى بالفيل اخذ ابنتك وازال بكارتها فلما سمع ذلك كاد يجن وكان لاحمد بن طيلون مؤذن وكان قد عاهده على انه اذا حدثت فاحشة من الفواحش يؤذن في غير الوقت ليحضره ويستفهم منه الواقعة وكان المؤذن بينه وبين ابي البنت صداقة فجاء اليه واخبره بخبره فصعد واذن فسمعه احمد بن طيلون فارسل خلفه فاخبره بالقضية فاستدعى بابوي البنت وخباهما في خزنة وكان وقت مجيء الفيل للخدمة فلما دخل على عادته قال له هنيئا بالعروس الجديدة فقال ومن اين لي عروس جديدة قال اتنكر مني وهذا ابوا الجارية وامها واخرجهما اليه فلما راهما نكس رأسه خجلا من الامراء الحاضرين فقال له احمد بن طيلون ارفع راسك ثم قال لابيها تزوج ابنتك مملوكي هذا على صداق قدره الف دينار مقدمة وخمسمائة دينار مؤجلة فقال نعم فامر باحضار الشهود وعقد العقد بينهما ووضعوا خطوطهم ثم بعد انصراف الشهود امر السياف بضرب عنق الفيل فرماه بين يديه وقطع رأسه

وقال احمد بن طيلون لابی الجاریة ابنتك ورثت زوجها وقد مكنتها مما بقي من
تركته فامضوا مع السلامة فانصرفوا شاكرين لانعامه داعين له على افعاله

فانظر الى هذ الفضل والمنن العظيم

والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ومما نقل عن بعضهم

توق رعاك الله تسعا من البشر فصحبتهم تقضي الى البؤس والضرر
وهم احول مع اعرج ثم احدب كذا كوسج يتلون نشاطا مع الكدر
واياك والانف الطويل واصفرا فانهما بيت الخيانة والخطر
كذا اغائر الصدغين خارج جبهة كذا ازرق العينين فالحذر الحذر
توقاهمو تحيا سليما من الردا وباعدهمو يا ذا الفراسة والنظر

الخاتمة الطبع

قد تم طبع هذا الكتاب المستطاب * في المطبع اسلاميه
وقد وقع الفراغ في يوم الخامس والعاشر من شهر
ربيع الاولى في سنة ١٢٨٩ تسع وثمانين بعد الالف
من الهجرة النبوية على صاحبها افضل
الصلاة وازكى التحية
والتسليم

٥٥٥
٥